مكتبة الجيلاني
٣

في الباطن والظاهر
المسمى

جلاء الخاطر

تأليف
الشيخ عبد القادر الجيلاني
رحمه الله تعالى

تحقيق

خالد الزرعي   عبد الناصر سري

دار ابن القيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعَة الأولى ١٩٩٤

الصف التصويري : اللجين ـ دمشق ـ هاتف: ٨٨٦٦١٩

في الباطن والظاهر

المسمّى

جلاء الخاطر

تأليف

شيخ الإسلام وسلطان الأولياء

أبي محمد عبد القادر بن أبي صالح عبد الله بن جنكي دوست الجيلاني الشافعي الحنبلي

رحمه الله تعالى

(٤٧٠ - ٥٦١ هـ)

تحقيق

خالد الزرعي | عبد الناصر سرّي

الإهداء

- إلى روحيّ اللذين زقّا لنا العلوم كما يزقُّ الطائر فرخه.
- إلى المخلصينِ الودودين اللذين علمانا العمل بالعمل والمحبة للخلق والصبر على الحقّ.
- إلى المربيين الشيخ حسين خطاب والشيخ محمد خير ياسين رحمهما الله وجمعنا بهما تحت لواء سيد المرسلين ﷺ.

المحققان

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

الحمد لله كما ينبغي لجلال وجه ربّنا وجماله وجلاله، وكما يحبّ ربّنا ويرضى. حمداً كثيراً دائماً بدوام وجه الله.

وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له وأنّ محمّداً عبده ورسوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

وبعد: فهذا كتاب جلاء الخاطر في الباطن والظاهر للشيخ عبد القادر الجيلاني، وهو عبارة عن مجالس كان يلقيها الشيخ رحمه الله بمدرسته بباب الأزج صباح كل جمعة وأحد ومساء كل ثلاثاء.

وهو تتمة لكتاب الفتح الربّاني الذي تنتهي مجالسه مساء الثلاثاء في السادس من رجب (٥٤٥)هـ، بينما يبدأ هذا الكتاب صباح الجمعة التاسع من رجب (٥٤٥)هـ، وينتهي في العشرين من رمضان (٥٤٦)هـ.

تجمع الكتب التي رصدت حياة الشيخ على أن الفتح الرباني، وجلاء الخاطر من الكتب الصحيحة المعروفة للشيخ[1]؛ لذلك لن نبحث في نسبة الكتاب، وإن بدا بسهولة ويسر أنّ الكتابين من جمع طلاب الشيخ في المجالس التي كان يلقيها وخصوصاً عند الدعاء في نهاية كتابنا. فالشيخ لم يكن متفرغاً للبحث والتأليف.

(١) انظر معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ٥/٣٠٧، وكشف الظنون لحاجي خليفة ٦٦٢ و٨٧٩ و١٢٤٠، وإيضاح المكنون ١/٢٥٧، وهدية العارفين ١/٥٩٦ و٥/٤٣٥، وقلائد الجواهر في مناقب عبد القادر الجيلاني للتادفي الحلبي، والآثار الخطية للمكتبة القادرية ص١٠.

وجلاء الخاطر مجموعة دروس للعامّة والخاصّة؛ وهي دروس في الآفات النفسية والخلقية التي تعترض صحة العلاقة بين الإنسان وربّه، إنّه يحلّل الآفة بعين ثاقبة تنفذ إلى خفايا القلوب، ترى ما فيها مما سوى الله عزّ وجلّ، وتصف لها الدواء الإلهي الذي وصفه كتاب الله وسنّة رسوله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم.

فالحسد، والنفاق، والمنازعة، وضعف الإيمان، وسوء الأدب، وسوء الخلق، والظلم.... وغيرها كثير من الآفات التي يشرّحها ويصف لها الدواء.

وللصوفي الصادق في جلاء الخاطر صفات وخصائص يلحّ الشيخ عليها، كالالتزام بكتاب الله وسنة نبيّه صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، كالصبر، والزهد والحياء وحسن الخلق ومحبة الله عزّ وجلّ والرضا والإستقامة ومخالفة النفس والخوف والرجاء. ومن ذلك قوله: «كل حقيقة لا تشهد لها شريعة فهي زندقة». «نقف على تل السلامة، على السنّة وترك البدعة، على تلّ التوحيد والإخلاص وترك الرياء والنفاق، ورؤية الخلق بعين العجز والضعف والقهر، نرضى بالقضاء، ونترك التسخط، ونتمسك بالصبر، ونترك الشكوى».

- في هذا المخطوط يبدو أسلوب الوعظ بارزاً ومباشراً من شيخ كبير علا كعبه في سماء العلم. وخيف جانبه إجلالاً ووقاراً.

- وقد اعتمدنا بتحقيق هذا الكتاب على مخطوطتين من مكتبة الأسد الوطنية. الأولى برقم /٤٨٤٩/ بخط نسخي جميل أسميناها (أ) واعتمدناها أساساً لعملنا لقدمها ووضوح خطها. والثانية برقم /٨٤١٨/.

- قابلنا النسختين وثبتنا عبارات (أ) إلاّ إذا اضطربت فيها العبارة، عند ذلك ثبتنا عبارة (ب) وأشرنا إلى ذلك في الحاشية.

- قمنا بضبط النص وترقيمه وتفصيله.

- ما رأيناه ضرورياً لإيضاح المعنى ولم نجده في المخطوطتين أضفناه ضمن

حاصرتين؛ ومن ذلك عند ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم. التزمنا وضع وآله وصحبه ضمن حاصرتين.

- قمنا بتخريج الآياتِ الكريمات باسم السورة وترتيبها في القرآن الكريم، ورقم الآية.

- خرّجنا الأحاديث النبوية، ولم نلتزم الحكم عليها؛ بل اكتفينا بالإشارة إلى مصادرها التي أوردتها.

- ترجمنا ما ورد من الأعلام.

- أغنينا الكتاب ببعض الشروحات المقتضبة لبعض المسائل، والله وليّ التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل.

* * *

ترجمة الشيخ
عبد القادر الجيلاني

اسمه ونسبه:

الشّيخُ الإمام الزّاهد العارف القُدوة، شيخ الإسلام، سلطان الأولياء، إمام الأصفياء، مُحيي الدّين والسّنة ومميت البدعة، أبو محمّد عبد القادر بن أبي صالح عبدالله[1] بن جنكي دوست[2] بن يحيى بن محمّد بن داود بن موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن[3] بن عليّ بن أبي طالب[4]. [5]

مولده وموطنه وأوصافه:

ولد الشّيخ ـ رحمه الله تعالى ـ بمنتصف شهر رمضان في سنة إحدى وسبعين وأربع مئة بجيلان[6]، وبها أمضى فترة شبابه الأوّل إلى أن بلغ الثامن عشرة

---

(١) قال ابن رجب في «الطبقات» هو: عبد القادر بن أبي صالح بن عبدالله ـ أي: بزيادة لفظ (ابن) ـ. وقال ابن الوردي في «تتمة المختصر في أخبار البشر»، ج٢/١٠٧ هو: عبد القادر بن أبي صالح موسى جنكي دوست. وقال الزركلي في «الأعلام»، ج٤/٤٧ هو: عبد القادر بن عبدالله.

(٢) قال الحلبي في «قلائد الجواهر»، ٣: هذا لفظ أعجمي ومعناه: يحب القتال. والله أعلم.

(٣) قال ابن شاكر الكتبي في «فوات الوفيات»، ج٢/٣٧٣: ينتهي نسبه إلى الحسين بن علي بن أبي طالب.

(٤) «الطبقات»: لابن رجب. جامع كرامات الأولياء: للنبهاني، ج٢/٢٠٤.

(٥) انظر سير أعلام النبلاء ج٢٠/٤٣٨ .

(٦) سير أعلام النبلاء: للذهبيّ، ج٢٠/٤٣٩ .

سنة، فارتحل إلى بغداد، ودخلها سنة ثمان وثمانين وأربع مئة[1]، واستمر فيها إلى نهاية حياته.

كان الشّيخ ـ رحمه الله تعالى ـ نحيف البدن، مربوع القامة، عريض الصّدر، عريض اللّحية، طويلها، أسمر اللّون، مقرون الحاجبين، ذا صوت جَهْوَرِيّ، وحسن الجوارِ، لا يؤذي أحداً، ويتّبع الحق والهدى. وكان ذا قدر عليّ، وعلم وفيّ.[2]

نشأته وطلبه العلم:

رأت عينا الشّيخ ـ رحمه الله تعالى ـ النّور في بيئة معروفة بالعلم، ومُؤيَّدة بالكرامات؛ فأبوه من كبار علماء جيلان، وأمّه من عُرِفَت بالكرامات، وهي ابنة أبي عبدالله الصّومعي العارف العابد الزّاهد، فاستنشق الهواء من بيوت العلم والفقه والمعرفة والحقيقة.

عَلِمَ ـ رحمه الله تعالى ـ أنّ طلب العلم فريضة على كلّ مسلم ومسلمة، فشمّر عن ساعد الجدّ والتّحصيل، وسارع في طلبه، قاصداً أعلام الهدى من علماء هذه الأمّة فابتدأ حياته بقراءة القرآن العظيم حتّى أتقنه. درسه على يد أبي الوفا عليّ بن عقيل الحنبلي، وأبي الخطّاب محفوظ الكَلْواذَانِي الحنبليّ، وغيرهم كثير.

وسمع الحديث النّبويّ الشّريف على أيدي كثير من مشاهير عصره من الحفّاظ، كأبي غالب محمّد بن الحسن الباقلاّني، وغيره.

وتفقّه على أيدي مشاهير عصره من العلماء الفقهاء، كأبي سعد المُخرِّمي، الّذي أخذ عنه الخرقة الشّريفة.

---

(١) سير أعلام النبلاء: للذهبيّ، ج٤٤٣/٢٠ نقلاً عن ابن النجار في «تاريخه».

(٢) مختصر طبقات الحنابلة: لابن شطي، ٤١.

وتعلّم الأدب واللّغة على يد أبي زكريا يحيى بن عليّ التّبريزيّ. وصاحب حمّاد الدّباس وأخذ عنه علم الطّريقة.

فألمّ بعلوم الشّريعة والطّريقة واللّغة والأدب، حتّى بلغ شأواً بعيداً، فكان إمام الحنابلة، وشيخهم في عصره، وأظهر الله تعالى الحكمة من قلبه على لسانه في مجالس الوعظ.

صنّف مقامات عديدة في الأصول والفروع، وفي أهل الأحوال والحقائق[1].

مناقبه:

للشّيخ عبد القادر ـ رحمه الله تعالى ـ صفات حميدة، ومآثر كثيرة، فقد اشتهر بالأحوال والكرامات حتّى تواترت عنه.

قال الشيخ عزّ الدّين بن عبد السّلام: ما نُقلت إلينا كرامات أحد بالتّواتر

---

(١) ومنها الفتح الرباني وفتوح الغيب، والفيوضات الربانية، والغنية لطالبي طريق الحق...

وهناك كتب كثيرة نسبت للشيخ الجيلاني ولم تثبت صحة نسبتها إليه. منها خصائص المصطفى، وسر الأسرار الذي قمنا بتحقيقه مشتركاً مع الأخ غسان عزقول، وأشرنا في نسبته للشيخ الجيلاني رحمه الله؛ ولكن بعد المزيد من البحث الدراسة تبيّن أنه ليس للشيخ. ذلك لوجود بعض الاقتباسات المتأخرة بعد الشيخ؛ كالاقتباس من تفسير البيضاوي المتوفى سنة ٦٤٥ هـ، بينما توفي الشيخ عبد القادر سنة ٥٦١ هـ. ولوجود مصطلحات ما عرفت إلا في القرن الهجري العاشر، كمصطلح الخلوتي، ولتكراره باستمرار، وكذلك لوجود دلائل أخرى، كتناقض أسلوبي عرض طريقة الوصول إلى الحق عزوجل بين كتابي سر الأسرار وكتاب الطريق إلى الله بتحقيق غسان عزقول، ونعتقد أن كلا الكتابين منسوب إلى الشيخ الجيلاني والله أعلم.

إلاّ الشّيخ عبد القادر[1]. وكذا قاله شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه الله تعالى ـ[2].

دان جميع العلماء والأولياء في عصره للشّيخ؛ ففي الفقه بزّ أقرانه العلماء، وخضعت له رقاب الأولياء، كما اشتهر عنه قوله: (قدمي هذه على رقبة كلّ ولي لله). وقد اعترفت له سائر العلماء وسائر الأولياء بذلك، وبايعوه بالسّلطنة عليهم، فأضحى سلطان الأولياء.

قال ـ رحمه الله تعالى ـ حاثّاً على التّمسك بالكتاب والسّنّة والتزام نهج أتباع الرّسول صلّى الله عليه وآله وصحبه وسلم: كلّ حقيقة لا تشهد لها الشّريعة فهي زندقة، طِرْ إلى الحقّ عزّ وجلّ بجناحي الكتاب والسّنّة، ادخل عليه ويدك في يد الرّسول صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، اجعله وزيرك ومعلّمك، دع يده تزيّنك وتمشطك وتعرضك عليه[1].

كان ـ رحمه الله تعالى ـ يتكلّم على الخواطر في مجلسه رغم أنّ مجلسه يضمّ سبعين ألفاً، وقد كثر تواتر الرّوات حول ذلك، يقول الشّيخ أبو بكر العماد ـ رحمه الله تعالى ـ كنت قرأت في أصول الدّين، فأوقع عندي شكّاً، فقلت: حتّى أمضي إلى مجلس الشّيخ عبد القادر، فقد ذُكر أنّه يتكلّم على الخواطر، فمضيت وهو يتكلّم، فقال: اعتقادنا اعتقاد السّلف الصّالح والصّحابة. فقلت في نفسي: هذا قاله اتّفاقاً، فتكلّم ثمّ التفت إلى ناحيتي، فأعاده، فقلت: الواعظ قد يلتفت، فالتفت إليّ ثالثة، وقال: يا أبا بكر، فأعاد القول، ثمّ قال: قم قد جاء أبوك. وكان غائباً، فقمت مبادراً، وإذا أبي قد جاء[2].

---

(١) شذرات الذهب في أخبار من ذهب: لابن العماد الحنبلي، ج٤/٢٠٠ .

(٢) تتمة المختصر في أخبار البشر: لابن الوردي، ج٢/١١١ .

(٣) الفتح الرباني والفيض الرحماني: للجيلاني، المجلس الرابع والأربعون.

(٤) سير أعلام النبلاء: للذهبيّ، ج٢٠/٤٤٢ .

كان ـ رحمه الله تعالى ـ سريع الدّمعة، شديد الخشية، كثير [الورع]، مجاب الدّعوة، كريم الأخلاق، طيّب الأعراق، أبعد النّاس عن الفحش، أقرب الناس إلى الحقّ، شديد البأس إذا انتهكت محارم الله، ولا يغضب لنفسه، ولا ينتصر لغير الله، ولا يردّ سائلاً ولو بأحد ثوبيه[1].

وفاته:

أمضى الشّيخ ـ رحمه الله تعالى ـ الفترة الأولى من حياته في طلب العلوم وجمعها وتحصيلها، ثم تصدّر أربعون سنة مجلس الكلام والوعظ، في مدرسته بباب الأزج، من سنة (٥٢١ هـ) إلى سنة ٥٦١ هـ).

أمّا مدة التّدريس والفتوى بمدرسته، فكانت ثلاث وثلاثون سنة، من سنة (٥٢٨ هـ) إلى سنة (٥٦١ هـ)[٣].

لم يدّخر الشّيخ ـ رحمه الله تعالى ـ وقتاً إلاّ وأنفقه في العلم والجِدّ، من تحصيل وتدريس، وفُتيا، وتوجيه، ووعظ، وإرشاد، وأحوال، ومقامات، وكشف، ومشاهدة، فكان العالِم والزّاهد والعابد والعارف.

عُمِّرَ الشّيخ ـ رحمه الله تعالى ـ تسعين سنة، وانتقل إلى الله تعالى في عاشر ربيع الآخر، سنة إحدى وستين وخمس مئة، وشيّعه خلق لا يحصون، ودفن بمدرسته ـ بباب الأزج ببغداد ـ رحمه الله تعالى[1].

---

(١) تفريج الخاطر: الأربلي، ١٥ .

(٢) مختصر طبقات الحنابلة: لابن شطي، ٤١ .

بسم الله الرحمن الرحيم

[٢/أ]

قال الشيخ الإمام، العالم، العلامة، العامل، الزاهد، العابد، العارف، الورع، شيخ المشايخ، حجة الإسلام، قطب الأنام، ناصر السنة، قامع البدعة، تاج العارفين، وحجة السّالكين، ركن الشريعة، وزين الحقيقة، وعَلَم الطريقة، سيد الأولياء، وإمام الأصفياء، مصباح الأتقياء، وسراج أهل الغَنَاء[1]، الشيخ أبو محمد، سيد عبد القادر بن أبي صالح الجيلي، سبط أبي عبدالله الصومعي ـ قدس الله روحه / ونور ضريحه ـ وحشرنا في زمرته وأماتنا في محبته، ونفعنا ببركته [٢/ب] وبكلامه في الدنيا والآخرة، وصلى الله على سيدنا ونبيّنا وشفيعنا محمد، وعلى [آله وصحبه] وسلّم تسليماً كثيراً كثيراً، والحمد لله رب العالمين ـ في مجالس أوّلها تاسع رجب يوم الجمعة، وآخرها عشرون من شهر رمضان من سنة ست وأربعين وخمس مائة.

يا غلام: إياك والحسد؛ فإنه بئس القرين، وهو الذي خرب بيت إبليس وأهلكه؛ وجعله من أهل النار، وجعله ملعون الحق عزّ وجلّ وملائكته وأنبيائه وخلقه. / فكيف يحسن للعاقل أن يحسد وقد سمع قوله عزّ وجلّ ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا [٣/أ] بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ﴾ [سورة الزخرف ٤٣/٣٢]، وقولَه تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [سورة النّساء ٤/٥٤]، وقولَ النبيّ صلّى الله عليه [وآله وصحبه] وسلم: «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب[2]». وقولُ

---

(١) الغَنَاء: بالفتح، النفع.

(٢) أخرجه أبو داود، كتاب الأدب، باب الحسد ٤٩٠٣، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن =

بعض العلماء: «لله درُّ الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله». الحاسد معادٍ لله تعالى؛ لأنه ينازعه في فعله وفي خلقه فيقصمه.

إني زاهد في كلامي وفيكم، وما في بيوتكم من بضائعكم وأموالكم وهداياكم؛ فما دمت على هذا تُنْفَعُون بكلامي إن شاء الله تعالى، وما دامت عين المتكلم في / عمائمكم وقمصانكم وجيوبكم لا تُنْفَعون بكلامه ما دام يتردّد على [٣/ب] دُخانكم[٣]، ويطمع فيكم لا تنفعون بكلامه، يكون كلامه قشراً فارغاً لا لبَّ فيه، عظماً بلا لحم، ومرارة بلا حلاوة، وصورة بلا معنى. كلام الطامع لا يخلو من درحنه[٤] ومداهنة لا يمكنه المحاققه[٥]. كلام الطامع فارغ كالطمع؛ لأن حروفه كلها فارغه: الطاء والميم والعين.

= النبي صلى الله عليه [وآله وصحبه] وسلم، قال: «إياكم والحسد؛ فإن الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب». أو قال العشب.

والحسد: هو تمني العبد زوال النعمة عن غيره سواء أراد رجوعها عليه أم لا. وهو حرام؛ لأن فيه نسبة الظلم إلى الله تعالى، وقد يطلق مجازاً على الغبطة كما في الحديث الذي رواه ابن ماجه، كتاب الزهد، «باب الحسد» رقم ٨٠٤٢ عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله وصحبه] وسلم: «لا حسد إلاّ في اثنتين: رجل آتاه الله مالاً فسلطه على هَلَكته في الحق. ورجل آتاه الله حكمة فهو يقضي بها ويعلمها». قال المناوي في «فيض القدير» جـ٣/٤١٤: قال الغزالي: الحسد هو المفسد للطاعات، الباعث للخطيئات، حسبك أن الله تعالى أمر بالاستعاذة من شرّ الحاسد ﴿ومن شر حاسد إذا حسد﴾ [سورة الفلق ١١٣/٥] كما أمر بالاستعاذة من شرّ الشيطان. فانظرْ كم له من شرّ وفتنة حتى أنزله منزلة الشيطان والساحر. وقد قال بعض العلما: «لله در الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله». ونحن نقول: «لله درء الحسد ما أخذله بدأ بصاحبه فقتله» ونسأل الله السلامة والعافية.

(٣) دخانكم: مكان طبخكم.

(٤) درحنت الناقة على ولدها؛ أي رئمته بعد نفار، والدرحمين بالحاء المهملة: الرجل الثقيل، =

يا عِباد الله، اصدقوا وقد أفلحتم. الصادق لا يرجع. الصادق في توحيد الله تعالى لا يرجع بقول نفسه وهواه وشيطانه، الصادق في محبته لا يسمع العذل، ولا يُدْخَل في أذنه /. الصادق في محبة الله عزّ وجلّ ورسوله والصّالحين من عباده [٤/أ] لا يرجع بقول منافق ممقوتٍ مخذول. الصادق يَعْرف الصادق، والكاذب يعرف الكاذب. الصادق هِمّته عالية في السّماء لا يضرّه قول قائل: (إن الله عزّ وجلّ غالب على أمر، إذا أرادك لأمرٍ هيأك له).

يا غلام: لو كان عندك ثمرة العلم وبركته لما سعيت إلى أبواب السلاطين في حظوظ نفسك وشهواتها. العالم لا رِجلان له يسعى بهما إلى أبواب السلاطين والخلق، والزاهد لا يدان له يأخذ بهما أموالِ الناس، والمحبّ لله لا عينان له ينظر بهما إلى غيره. المحبّ الصّادق لو لقيَ الخلق كلّهم ما جلا[٦] له النظر / إلى غير [٤/ب] محبوبه، ولا تَكْبر في عيني راسه الدنيا، ولا تكبر في عيني قلبه الآخرى، ولا يكبر في عيني سرّه غير المولى.

زعاق[٧] المنافق من لسانه ورأسه، وزعاق الصّادق من قلبه وسرّه: قلبه على باب ربّه عزّ وجلّ، وسرّه داخل عليه، لا يزال يصرخ على الباب حتى يدخل الدار. أنت كذاب والله في جميع أحوالك، ما تعرف الطريق إلى باب الله عزّ وجلّ! كيف تدل عليه وأنت أعمى؟ كيف تقود غيرك وقد أعماك هواك وطبعك، ومتابعتك لنفسك، ومحبتك لدنياك، ورياستك، وشهواتك؟ ويلك تحب

= والدرخبين: الداهية. والدرخميل: مما يستدرك على الدرخمين وهو الضخم من الإبل. انظر تاج العروس مادة (درجنه).

(٥) المحاققة: المجادلة في الحق أو الصدق في القول.

(٦) ما جلا: ما اكتحل.

(٧) زعاق المنافق: أي غير صادق في صراخه واستغاثته وخوفه من الله عزوجل.

[٥/أ] البقاء في الدنيا / وهو شيء لا يقع بيدك! متى تهتدي إلى باب ربك عزّ وجلّ؟! متى تقدّم الآخرة على الدنيا؟! متى تقدّم الخالق على الخلق؟! متى تقدم الصلاة على دكانك وأرباحك؟! متى تقدم السائل على نفسك؟! متى تقدم أمر الله عزّ وجلّ والإنتهاء عن نهيه؟! والصبر على الآفات التي تأتي منه على هواك وعادتك؟! متى تقدم إجابته على إجابة خلقه؟!.

يا غلام: كن عاقلاً أنت في هوس(٨)، باطلٍ بلا حق، ظاهرٍ بلا باطن، علانيةٍ بلا سرّ، تقدّم إليّ ما دامت المعاصي على ظاهرك قبل أن تصل إلى قلبك فتصير مصرّاً ثم ينتقل الإصرار فيصير كفراً، / تدارك الأمر، احفظ باليسير [٥/ب] الكثيرَ، تداركْ ما دام الحبل طرفه بيدك، قال النبي صلى الله عليه [وآله وصحبه] وسلم: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له، ولو عاد في اليوم سبعين مرة؟(٩)».

---

(٨) الهوس: طرف من الجنون، وقال الزمخشري دوران في الرأس، تقول العرب: الناس هوسى والزمان أهوس: أي الناس يأكلون طيبات الزمان، والزمان يأكلهم بالموت. انظر التاج مادة (هوس).

(٩) أخرجه ابن ماجه في «سننه» كتاب الزهد، باب ذكر التوبة، ٤٢٥٠ ، عن أبي عبيد الله ابن عبد الله عن أبيه، وأخرجه الديلمي في [الفردوس]، ٢٤٣٢ عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله وصحبه] وسلم: «التائب من الذنب كمن لا ذنب له، وإذا أحب الله عبداً لم يضرّه ذنب». قال الزبيدي في «إتحاف السادة المتقين»، جـ٤/٥٠٦ ، مضيفاً على الحديث: ثم تلا قول الله تعالى: ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ [سورة البقرة ٢/٢٢٢]. قال السيوطي في «الفتح الكبير»، جـ٣/١١ [عن سلمان رضي الله عنه قال]: ما من شيء أحبّ إلى الله من شابّ تائب، وما من شيء أبغض إلى الله من شيخ مقيم على معاصيه، وما في الحسنات حسنة أحبّ إلى الله تعالى من حسنة تُعمل في ليلة الجمعة أو في يوم الجمعة، وما من الذنوب ذنب أبغض إلى الله تعالى من ذنب يُعمل في ليلة الجمعة أو يوم الجمعة، قال القشيريّ في «الرسالة»، ٧٧: التوبة أوّل منزل من منازل السالكين، وأول مقام من مقامات الطالبين.

إذا سمعت من الرسول صلى الله عليه [وآله وصحبه] وسلم وعملت بقوله، وأحسنت العشرة معه باتباعك أصحابه، قدّم قلبك إلى ربك عزّ وجلّ، وأسمعه كلامه. من تحقّقت طاعة الله وعبوديته له قُدْرَةٌ على سماع كلامه.

موسى عليه السلام جاء إلى قومه ومعه التوراة، فيها أمرٌ ونهي، فقالوا له: ما نقبل منك حتى نرى وجه الله، ونسمع كلامه، فقال / لهم: إني ما أراني وجهه [٦/أ] كيفي يريكم وجهه؟! فقالوا: إذا لم يُرنا وجهه فأسمعنا[١٠] كلامه. فأوحى الله عزّ وجلّ إليه قل لهم: إنْ أرادوا أنْ يسمعوا كلامي فليصوموا ثلاثة أيام، فإذا كان اليوم الرابع فليتطهروا ويلبسوا ثياباً جدداً طاهرة، ثم ائت بهم حتى يسمعوا كلامي. فأخبَرَهم موسى بذلك، ففعلوا. ثم جاءوا إلى الموضع الذي كان يناجي فيه ربه عزّ وجلّ من الجبل ـ وكان قدِ اختار من قومه سبعين رجلاً من علمائهم وزهادهم ـ فخاطبهم الحق عزّ وجلّ، فصعقوا كلّهم، وبقي موسى عليه السلام وحده، فقال يا ربّ أمتّ / خيار أمتي، وبكى. فرحم الله بكاءه، فأحياهم، [٦/ب] فقاموا على أرجلهم، وقالوا: يا موسى لا طاقة لنا على سماع كلام الله عزّ وجلّ، فكن أنت الواسطة بيننا وبينه. فكلّم الله عزّ وجلّ موسى، وهو يُسْمعهم ويعيد عليهم قوله[١١]؛ إنما قَدِر على سماع كلامه بقوّة إيمانه، وتحقق طاعته وعبوديته. ولم يقدروا أنْ يسمعوا منه لضعف إيمانهم، فلو قَبِلوا منه ما جاءهم به في التوراة، وأطاعوه في الأمر والنهي، وتأدّبوا ولم يجرؤوا على ما قالوا لقدروا على سماع كلام الحق عزّ وجلّ.

يا غلام: اجتهد في / طاعة ربك بكل جهدك، واجْهد أن تعطي من [٧/أ] حرمك، وتصل من قطعك، وتعفو عمن ظلمك. اجتهد أن تكون بنيتك مع

---

(١٠) في (أ) «فسمعنا».

(١١) انظر «البداية والنهاية» جـ١/ ٢٨٩ ط دار المعارف.

العباد وقلبك مع رب العباد. اجتهد أنّك تصدق ولا تكذب. اجتهد أنك تخلص ولا تنافق، كان لقمان الحكيم يقول: (يا بني لا تُرِي الناس أنّك تتّقي الله عزّ وجلّ وقلبك فاجر)، ويلك لا تكن ذا وجهين وذا لسانين وذا فعلين كفلان وفلان. إني مُسلَّط على كل كذّاب منافق دجّال، مُسلّط على كل عاصٍ لله عزّ وجلّ، أكبرهم إبليس وأصغرهم الفاسق. إني مسلَط محارب / لكل ضالّ مضلّ، داع إلى الباطل، مستعيناً على ذلك بلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. [٧/ب]

اللهم وفّقنا لما يرضيك عنّا، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

مجلس

ويلك: قد نبت النفاق على قلبك، تحتاج إلى الإسلام، والتوبة وقطع الزنار، كن عاقلاً، سوف ترى إذا انجلى الغبار أفرس تحتك أم حمار، ولتعلمن نبأه بعد حين. من سمع كلامي وعمل به وأخلص فيه صار من المقربين؛ لأنّه كلام لا قشر فيه. ويلكم تدّعون محبة الله عزّ وجلّ وتقبلون بقلوبكم على غيره، لما صدق مجنون ليلى في محبتها ما كان يقبل قلبه غير ليلى. أقبل يوماً على قوم، فقالوا له: من أين جئت؟ فقال: ليلى. فقالوا إلى أين تريد / تمضي؟ فقال ليلى[١٢]. إذا صدق القلب [٨ أ] في محبّة الله عزّ وجلّ صار كموسى عليه السلام حيث قال الله تعالى في حقه: ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ﴾ [سورة القصص ١٢/٢٨]. لا تكذب فمالك قلبان، بل هو قلب واحد، بأيّ شيء امتلأ، فما يسع فيه شيء آخر. قال الله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ﴾ سورة الأحزاب [٤/٣٢]. قلب يحب الخالق والخلق لا يصح. قلب تكون فيه الدنيا والآخرة لا يصح. الجاهل بالله عزّ وجلّ يرائي وينافق، والعالم به لا يفعل ذلك. الأحمق يعصي الله عزّ وجلّ، والعاقل يطيعه، والمبغض يعصيه والمحبّ يطيعه. الحريص على جمع الدنيا يرائي وينافق / وقصير الأمل لا يفعل ذلك، الناسي للموت يُرائي، والذّاكر [٨ ب] له لا يُرائي. الناسي نظرات الله عزّ وجلّ يرائي والمراقب لنظراته لا يرائي. الغافل يرائي والمستيقظ لا يرائي. أولياء الله عزّ وجلّ لهم منبه ينبّههم[١٣]، معلم

---

(١٢) انظر الأغاني: ٧٤/٢.

(١٣) في (أ): ينبئهم.

يعلمهم، يهيء الله عزّ وجلّ لهم أسباب التعليم، قال النبي صلى الله عليه [وآله وصحبه] وسلم: «لو أن المؤمن على قلّة جبل لقيض الله عزّ وجلّ له عالماً يعلمه»[١٤].

لا تستعر كلمات الصالحين وتتكلم بها وتدعيها لنفسك. العارية لا تَخْفى. اكتسِ من مالك لا من العاريه. إزرع القطن بيدك، واسقه بيدك وربه بجهدك، [٩/أ] ثم انسجه وخيطه والبسه. / لا تفرح بمال غيرك وثياب غيرك. إذا أخذت كلام غيرك فتكلمت به وادعيته مَقَتَتْك[١٥] قلوب الصّالحين. إذا لم يكن لك فعل فلا قول لك. ظاهر الأمر معلّق على العمل، قال الله عزّ وجلّ: ﴿ ادْخُلُوا الجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُون﴾ [سورة النحل ٣٢/١٦]. المؤمن لا يُتْعب الملائكة بالكلام في الهوس وفيما لا يعنيه، قلبه يخشى الحقّ عزّ وجلّ، فلا جرم تخشاه جوارحه، يخرس لسان قلبه فيخرس لسان فيه، يخمد قلبه من هيبته فتخمد جوارحه فتكون الملائكة في راحة. يا غلام: لك ذنوب مزدحمه بعضها فوق بعض على عاقبة مبهمة مشكلة [٩/ب] غير مبيّنة، هي إمّا لك وإمّا عليك. / انتبه للموت ليس لك عن موتك فوت. دع ما أنت فيه من القال والقيل والاشتغال بما لا يعنيك. قصّر أملك، وقلِّل حرصك فأنت ميت عن قريب، وربّما كان موتك وأنت قاعد ها هنا[١٦]. قد جئت برجليك [وقد] تُحْمَل إلى بيتك على جنازة. المؤمن يشتفي من نفسه إذا جاءتها الأذيّة يقول لها: وعظْتك فلم تتّعظي، من هذا حذّرتك يا جاهلة[١٧] يا كافرة يا عدوّة الله كلّ من لا يحاسب نفسه ولا يجادلها[١٨] لا يفلح. قال النبي صلى الله عليه [وآله

---

(١٤) لم نعثر عليه.

(١٥) في (أ): فتشتك.

(١٦) قصد الموت في مجلس وعظه هذا.

(١٧) إشارة إلى قوله تعالى ﴿إنَّ النَّفْسَ لأمّارة بالسوء﴾ [سورة يوسف ٥٣/١٢].

(١٨) في (ب): ويخاقتها.

وصحبه] وسلم: «من لم يكن له واعظ من نفسه لم ينفعه / وعظ واعظ»(١٩). من [١٠/أ] أراد الفلاح فليعظ نفسه ويزهّدْها ويجاهدها. الزهد ترك المحرّمات، ثم ترك الشبهات(٢٠)، ثم ترك المباحات، ثم ترك الحلال المطلق في جميع الحالات حتى لا يبقى متروك في الجملة. حقيقة الزهد ترك الدنيا والآخرة، وترك الشهوات واللذات، وترك الوجود، وطلب الحالات والدرجات والكرامات والمقامات، وكل شيء سوى ربِّ البريات، حتى لا يبقى إلا الخالق عزّ وجلّ الذي إليه المنتهى وهو غاية الآمال، إليه تصير الأمور. من المتكلمين من يتكلم عن قلبه، ومنهم من يتكلم عن سرّه، ومنهم من / يتكلم عن نفسه وهواه وشيطانه. وعادة المؤمن [أَنْ] [١٠/ب] يتفكر ثم يتكلم، والمنافق يتكلم ثم يتفكر. لسان المؤمن وراء عقله وقلبه، ولسان المنافق أمام عقله وقلبه. اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مُؤْمِنِينَ وَلاَ تَجْعَلْنَا مُنَافِقِيْنَ، وآتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وفي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ. آمين.

---

(١٩) لم نجده بهذا اللفظ، ويشهد له ما رواه أحمد في الزهد ص٧٠، عن مالك بن دينار، قال: أوحى الله تعالى إلى عيسى: أن يا عيسى عظ نفسك؛ فإن اتعظت فعظ الناس، وإلا فاستحي مني.

(٢٠) في (أ): الشهوات.

مجلس

يا غلام: القلب إذا عمل بالكتاب والسنة قرب، فإذا قرب علم وأبصر ما له وما عليه، ومالله عزّ وجلّ وما لغيره وما للحق وما للباطل. إذا كان المؤمن له نور ينظر به فكيفَ لا يكون للصديق المقرب. المؤمن له نور ينظر به؛ ولهذا حذّر النبي صلى الله عليه [وآله وصحبه] وسلم من نَظَرِه فقال: «إتقوا فراسة المؤمن / [١١/أ] فإنّه ينظر بنور الله عزّ وجلّ»[٢١].

والعارف المقرب يُعْطَى أيضاً نوراً يَرَى به قُرْبَه من ربه عزّ وجلّ، ويرى قُرْب ربِّه عزّ وجلّ من قلبه، ويرى أرواح الملائكة والنبيّين وقلوب الصديقين وأرواحهم، يرى أحوالهم ومقاماتهم، كل هذا في سويداء قلبه وصفاء سرّه، وهو أبداً في فرحةٍ مع ربّه عزّ وجلّ، وهو واسطة يأخذ منه ويفرق على الخلق. منهم من يكون عليم اللِّسان والقلب، ومنهم من يكون عليم القلب ألْكن[٢٢] اللّسان، وأمّا المنافق فهو عليم اللِّسان ألكن القلب، كلُّ علمه[٢٣] في لسانه؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم: «أَخْوَفُ مَا أَخَافُ / [١١/ب] عَلَى أُمَّتي كلَّ منافق عليم اللّسان»[٢٤].

---

(٢١) أخرجه الترمذي، كتاب التفسير، باب من سورة الحجر، ٣١٢٧ ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه وأخرجه الديلمي في «الفردوس»، ٦٥٥٤ ، عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ «المؤمن ينظر بنور الله عزّوجلّ الذي خلق منه».

(٢٢) ألكن: الذي لا يقيم العربية من عجمة لسانه (انظر اللسان مادة لَكَنَ).

(٢٣) في (ب): عمله.

(٢٤) رواه ابن عدي في «الكامل»، عن أبي عثمان النهدي، قال: كنت تحت منبر عمر بن

يا غلام: إذا دخلت عندي فاطوِ علمك ورؤية نفسك. أُدْخُل بلا شيء مفلساً، إذا جئت وأنت ترى علمك ونفسك حُجِبْتَ عن هذا الأمر الذي أشير إليه. ويلك تبغضني لأني أقول الحق وأحاقِقُك!. ما يبغضني ويجهلني إلاّ جاهل بالله تعالى كثير القول قليل العمل، وما يحبّني إلا عالم بالله عزّ وجلّ كثير العمل قليل القول. المخلص يحبّني والمنافق يبغضني. السُّنّي يحبّني والبدعي يبغضني. إن أحببتني فنفْعُ ذلك عائد إليك، وإن أبغضتني فضرر ذلك عائد إليك، ما أنا واقف مع مدح الخلق وذمِّهم. ليس على وجه الأرض أحد أخاف / منه ولا أرجوه لا من [١٢/أ] الإنس ولا من الجنّ، ولا من الحيوانات والحشرات، ولا من جميع المخلوقات. لا أخاف إلاَّ مِنَ الحقِّ عزَّوجلّ. كلّما أمّنني ازددت من الخوف؛ لأنه فعّال لما يريد، ﴿لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ﴾ [سورة الأنبياء ٢١/٢٣]. يا غلام: لا تشتغل بغسل ثيابك وتذر ثياب قلبك وسخة، اغسل قلبك أولاً، ثم اغسل الثوب ثانياً. اجمع بين الغسلين والطهارتين. اغسل ثيابك من الوسخ واغسل قلبك من الذنوب. لا تغترَّ بشيء فإنّ ربّك فعّال لما يريد؛ ولهذا حكي عن بعض الصالحين أنه زار أخاً له في سبيل الله، فقال له: يا أخ تعال حتى نبكيَ على علم الله فينا.

ما أحسن ما قال هذا العابد الصالح / قد كان عارفاً بالله عزّ وجلّ. وقد[١٢/ب] سمع قول النبي صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم: «يعمل أحدكم بعمل أهل الجنة حتى لا يبقى بينه وبينها إلا ذراع»[٢٥].

الخطاب وهو يخطب في الناس، فقال في خطبته: سمعت رسول الله صلى الله عليه [وآله وصحبه] وسلم يقول: «أخوف ما أخاف على أمتي كل منافق عليم اللّسان». الكامل في ضعفاء الرجال جـ٣/٩٧٠.

(٢٥) قطعة من حديث، أخرجه مسلم، كتاب القدر، باب كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه، ٢٦٤٣ ، أوله: عن عبدالله قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه [وآله وصحبه] وسلم، وهو الصادق المصدوق: «إنّ أحدكم يُجْمَعُ خلقه في بطن أمّه أربعين يوماً. ثم يكون في

ـ يا غلام: إنما يتبينَّ لك علم الله عزّ وجلّ فيك إذا رجعت إليه[٢٦]بكل قلبك وهمّك ولازمت باب رحمته، وجعلت بينك وبين الشهوات سدّاً من حديد، وتجعل القبر والموت نصب عيني رأسك وقلبك، وتراقب نظرات الحقِّ عزّ وجلّ إليك، وعلمه بك وحضوره عندك وتستغني بالفقر[٢٧] وترضى بالإفلاس وتقنع بالقليل مع حفظ الحدود؛ وهي امتثال الأمر والانتهاء عن النهي، والصبر على ما يرد من القدر [١٣/أ] فإذا دمت على / هذا لقي قلبك ربك، ودخل عليه سِرُّ سرّك فحينئذ تنكشف الأشياء لك، ترى عين العين، وتصير كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: (لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً). وقيل له: هل رأيت ربك، فقال:

ذلك علقة مثل ذلك. ثم يكون في ذلك مضغة مثل ذلك. ثم يرسل الملك فينفخ فيه الروح. ويؤمر بأربع كلمات: بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد، فوالذي لا إله غيره إن أحدكم ليعمل بعمل أهل الجنة حتى لا يبقى بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار، فيدخلها. وإن أحدكم ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها. اهـ.

(٢٦) في (أ): فيه.

(٢٧) الفقر: شعار الأولياء وحلية الأصفياء، واختيار الحق سبحانه وتعالى لخواصه من الأنبياء والأتقياء، والفقراءُ صفوةُ الله عزّوجلّ من عباده، ومواضع أسراره بين خلقه، بهم يصون الخلق وببركاتهم يبسط عليهم الرزق، والفقراء الصُبَّر جلساء الله عزّوجلّ. قال رسول الله صلى الله عليه [وآله وصحبه] وسلم: «يدخل فقراء أمتي الجنة قبل أغنيائهم بخمسمئة عام» رواه الترمذي، «كتاب الزهد»، باب ما جاء أنّ فقراء المهاجرين يدخلون قبل أغنيائهم، بخمسمئة عام، ٢٣٥٤ ، كما أخرج الديلمي في «الفردوس»، ٤٤٢٢ ، عن ابن عباس رضي الله عنه قال: (الفقر فقران؛ فقر الدنيا، وفقر الآخرة، فقر الدنيا غنى الآخرة، وغنى الدنيا فقر الآخرة. ذلك الهلاك، حبّ مالها وزينتها، فذلك فقر الآخرة وعذاب الدنيا).

لم أكن أعبد ربّاً لم أره(٢٨).

وسئل بعض الصالحين هل رأيت ربك، فقال: لو لم أره لتقطعت مكاني. فإن قال قائل: كيف تراه؟ فأقول: إذا خرج الخلق من قلب العبد ولم يبقَ فيه سوى الحقّ عزّ وجلّ يراه ويقربه كما يشاء، يُريه باطناً كما أُرِي غيرُهُ ظاهراً، يريه كما أري نبينا محمد صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم ليلة المعراج(٢٩)، كما شاء. يُري هذا العبد نفسه ويقرّبه ويحدثه / مناماً، وقد يجذب قلْبَه إليه يقظة، يُغمض عيني [١٣/ب] وجوده فيراه بعيني قلبه كما هو عليه من حيث الظاهر، ويعطيه معنى آخر فيراه به، يرى صفاته، يرى كراماته وفضلَه وإحسانه والظفر به. يرى برَّه وكنفه. من تحققت عبوديته ومعبوديته ومعرفته لا يقول: أرني ولا ترني ولا أعطني ولا تعطني، يصير فانياً مستغرقاً؛ ولهذا كان يقول بعض من وصل إلى هذا المقام: إيش عليَّ منّي، ما أحسن ما قال: أنا عبده وليس للعبد مع السّيّد اختيار ولا إرادة. اشترى رجل مملوكاً، وكان ذلك المملوك من أهل الدين والصلاح، فقال: يا مملوك ايش تريد تأكل؟ / فقال له: ما تطعمني. فقال له: ما الذي تريد أن تلبس؟ فقال: [١٤/أ] ما تلبسني. فقال له: أين تريد أنْ تقعد مِنْ داري؟ فقال: موضعاً تقعدني فيه.

---

(٢٨) ذكره الغزالي في الإحياء، أنه من كلام عامر بن عبدالله في [فضل حكايا وأخبار في صلاة الخاشعين ٢/٣٠٨].

(٢٩) إشارة لقول النبي صلى الله عليه [وآله وصحبه] وسلم: «رأيت ربي على صورة شاب أمرد». الحديث ذكره السيوطي في اللآلىء جـ١/٣٠، عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال ابن صَدَقة عن أبي زرعة: حديث ابن عباس لا ينكره إلّا معتزليّ. روى في بعضها «بفؤاده». والحديث إن حمل على المنام فلا إشكال في المقام، وإنْ حمل على اليقظة، أجاب ابن الهمام بأن هذا حجاب الصورة، وكأنه أراد بهذا الكلام أن تمام المرام يتصور بحمله على التجلي الصوري، فإن من المحال الضروري حمله على التجلي الحقيقي، فالله تبارك وتعالى منزّه عن الجسم والصورة والجهات والله أعلم.

فقال له: ما الذي تحبّ أنْ تعمل من الأشغال؟ فقال: ما تأمرني. فبكى الرّجل وقال: طوبى لو كنت مع ربّي عزّ وجلّ كما أنت معي. فقال المملوك يا سيّدي وهل للعبد مع سيّده إرادة واختيار؟! فقال له: أنت حرّ لوجه الله عزّ وجلّ، وأريد أن تقعد عندي حتى أخدمك بنفسي ومالي. كلُّ من عرف الله عزّ وجلّ لا تبقى له إرادة ولا اختيار، ويقول: إيش علي مني. لا يزاحم القدر في أموره ولا في أمور غيره؟!.

اسمعوا يا معترضين، يا منازعين، يا مسيئي الأدب، اسمعوا منّي، فإني / [١٤/ب] منادٍ بين يدي الأنبياء، من جملة اتباعهم وسماسرتهم: إني أحثكم[٣٠] على الكتاب والسُّنة، ثم على قلبي. كل من له قلب مقرّب من الله عزّ وجلّ لا يخفى عليه ما أقول: آحاد أفراد من عباد الله عزّ وجلّ يزهدُون في الخلق، ويستأنسون بقراءة القرآن، وبقراءة كلام الرّسول صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم، فلا جرم تصير لهم قلوب مستأنسة بالحقّ عزّ وجلّ، قريبة منه، يرون بها نفوسهم ونفوس غيرهم، تصّح قلوبهم فلا يخفى عليهم شيء مما أنت عليه، يتكلمون على خواطركم، ويخبرونكم بما في بيوتكم.

ويحك كن عاقلاً لا تزاحم القوم بجهلك، بعدما خرجْتَ من الكُتّابِ صَعِدت [١٥/أ] تتكلم / على الناس بعد سواد المداد في يدك وثيابك، وترقيت تتكلم على الناس، هذا أمر يحتاج إلى إحكام الظاهر وإحكام الباطن، ثم الفَناء به عن الكلّ.

يا غافلين عما يراد بهم: اذكروا قيام الساعة، اذكروا القيامة الخاصة، والقيامة العامة؛ القيامة الخاصة: موت كل واحد منكم، والقيامة العامة: هي التي وعد الله عزّ وجلّ بها. اذكروا وتذكّروا قوله عزّ وجلّ: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ

---

(٣٠) في (أ): أحكم لكم.

وَفْدًا، وَنَسُوْقُ الْمُجْرِمِيْنَ إلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ [سورة مريم ١٩/٨٥ ـ ٨٦]. وفداً: جماعات وركباناً. ووِرداً: عطاشاً.

المتّقون يحشرون حشراً، والمجرمون يساقون سوقاً. رحم الله عبداً ذكر هذا اليوم، وزاحم المتقين اليوم حتى يحشر معهم / في ذلك اليوم. يا تاركي التَّقْوى، [١٥/ب] يوم القيام يحشر المتقون إلى الرحمن وفداً ركباناً والملائكة حولهم، تتصوّر أعمالهم صُوَراً، يركبون النّجب؛ فيكون نجيبُهُ عمله وحليتُهُ وعمامته. عمله الأعمال تَتَصور صوراً مليحة وصوراً قبيحة. مفتاح التّقوى التوبة، والثبات عليها مفتاح القرب من الله عزّ وجلّ، التوبة هي أصل كل خير وفرعه؛ ولهذا لا يَفْتُرُّ الصالحون عنها في جميع أحواهم.

توبوا يا مذنبين يا عصاة، صالحوا ربكم بواسطة التوبة. هذا لقلب لا يصلح للحقّ عزّ وجلّ وفيه ذرّة من الدنيا وطمع واحد من الخلق، فإنْ أردتم صحبته فأخرجوا هؤلاء كليهما من قلوبكم، وهذا لا يضركم؛ / فإنكم إذا اتصلتم به [١٦/أ] أتتكم الدنيا والخلق، وأنتم معه على بابه. هذا شيء مجرّب، قد جرّبه الزاهدون التاركون المتورّعون.

ياغلام: عليك بإخلاص العمل لله عزّ وجلّ في صلاتك وصيامك وحَجّك وزكاتك وجميع أفعالك. اتخذ عنده عهداً قبل وصولك إليه، ما هذا العهد [إلا] توحيداً، وإخلاصاً، وسنة، وجماعة، وصبراً، وشكراً، وتفويضاً، وللخلق رفضاً، وله طلباً، وعن غيره إعراضاً، وعليه إقبالاً بقلبك وسرّك؛ فلا جرم يعطيك في الدنيا قُرْباً وفي الكلّ زهداً، وله حبّاً، وإليه شوقاً، وفي الآخرة يعطيك من قربه ونعمه مالا عين رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر(٣١). يا غلام: تعلق

(٣١) إشارة لما ورد في البخاري، كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنّة وأنّها مخلوقة، ٣٠٧٢، قوله صلى الله عليه [وآله وصحبه] وسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال

[١٦/ب] بذيل رحمة ربّك / عزّ وجلّ، وإذا جاء إبليس حتى يغرّك ويبدّلك فاستغث بالله منه حتّى يردّه عنك، اِستغث به كما استغاث مَنْ قبلَك. أحسن عملك، ثم أحسن ظنّك بربّك عزّ وجلّ، حُسْنُ الظنّ به مع طاعته يَعْمَلُ معك أشياء كثيرة. حسْن الظنّ بالله عزّ وجلّ وبأنبيائه وبرسُله والصالحين من عباده فيه خير كثير. ويلك: تدعي أنك صوفي وأنت كَدِر. الصوفي من صفا باطنه وظاهره بمتابعة كتاب الله عزّ وجلّ وسنة رسوله، فكلما ازداد صفاؤه خرج من بحر وجوده، وترك إرادته [١٧/أ] واختياره ومشيئته. مَنْ صفا قلبه كان النبي صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم / سفيراً بينه وبين ربّه عزّ وجلّ. أساس الخير متابعة النبي صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم في قوله وفعله.

كلّما صفا قلب العبد رأى النبي صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم في منامه يأمره بشيء وينهاه عن شيء. يصير كلّه قلباً ويُعْزَل[٣٢] بنيّته. يصير سرّاً بلا جهر، صفاء بلا كدر. إخراج الكلّ من القلب، قَلْع الجبال الرواسي يحتاج إلى معاول المجاهدات، والصّبر على المكابدات ونزول الآفات، لا تطلبوا مالا يقع بأيديكم. طوبى لكم عملتم بهذا السواد على البياض[٣٣]، وكنتم مسلمين. طوبى لكم كونوا

رسول الله صلى الله عليه [وآله وصحبه] وسلم، قال الله تعالى: «أعددت لعبادي الصالحين، مالا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، فاقرؤا إن شئتم ﴿فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرّة أعين﴾ [سورة السجدة ١٧/٣٢]. كما أخرجه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأصلها، ٢٨٢٤.

(٣٢) في (أ): تنعزل.

(٣٣) يقول الشيخ الجيلاني: السواد بمنزلة خالٍ على وجه جميل، يزيد به حسن جماله وملاحته، فإذا نظر أهل القربة إلى جماله لا يقبل نور بينهم غير الله عزوجل ولا ينظرون إلى ما سوى الله تعالى بالمحبة؛ بل يكون محبوبهم ومطلوبهم هو الله تعالى في الدارين ولا يقصدون غير الله تعالى؛ لأن الله تعالى خلق الإنسان لمعرفته ووصله. انظر سر الأسرار المنسوب للشيخ

يوم القيامة في زمرة المسلمين ولا تكونوا في زمرة الكافرين. طوبى لنا نقعد في أرض الجنة أو على بابها ولا تكون من أصحاب الدركات. تواضعوا ولا تتكبّروا. [١٧/ب] التواضع يرفع والتكبر يضع. قال النبي صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم: «من تواضع لله رفعه الله عزّ وجلّ»(٣٤). لله عباد يعملون من الخيرات أعمالاً كالجبال، كأعمال من تقدم، وهم يتواضعون لله عزّ وجلّ ويقولون: مالنا عمل يدخلنا الجنّة؛ فإنْ دخلنا فبرحمة الله عزّ وجلّ، وإنْ لم ندخلها فبعدْله. لا يزالون وقوفاً معه على قدم الإفلاس، توبوا واعترفوا بتقصيركم وعجزكم. التوبة حياة، الحقّ عزّ وجلّ يحيي الأرض بعد موتها بالغيث ويحيي القلوب بعد موتها بالتوبة واليقظة.

يا عصاة توبوا / لا تقنطوا من رحمة ربكم عزّ وجلّ، ولا تيأسوا من روحه. [١٨/أ] يا موتى القلوب دوموا على ذكر ربكم عزّ وجلّ، وتلاوة كتابه، وسنّة نبيه، وحضور مجالس الذكر، وقد حَيَت قلوبكم كما تحيا الأرض الميتة بنزول الغيث عليها. دوام الذكرِ سببٌ لدوام الخير في الدنيا والآخرة. إذا صحّ القلب صار الذكر دائماً فيه، يكتب في جوانبه وعلى جملته فتنام عيناه وقلبه ذاكر لربّه عزّ وجلّ، يرث ذلك من نبيّه محمد صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم(٣٥).

كان بعض الصالحين رحمة الله عليه له سبحة يسبّح بها فنام وهي في يده،

الجيلاني ص١٠١ تحقيق خالد الزرعي وغسان عزقول.

(٣٤) أخرجه أحمد في المسند، ٣/٧٦. كما رواه ابن ماجه في الزهد، باب البراءة من الكبر والتواضع، ٤١٧٦. عن أبي سعيد الخدري، كما رواه أبو يعلى في المسند، ١١٠٩، بلفظ (عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله صلى الله عليه [وآله وصحبه] وسلم قال: «من تواضع لله درجة رفعه درجة، حتى يجعله في عليين. ومن تكبّر على الله درجة يضعه الله درجة، حتى يجعله في أسفل السافلين»).

(٣٥) إشارة لما أخرجه البخاري في «صحيحه»، عن عائشة رضي الله عنها، كتاب المناقب، باب كان النبي صلى الله عليه [وآله وصحبه] وسلم تنام عينه ولا ينام قلبه، ٣٣٧٦.

[١٨/ب]فانتبه وهي تدور في يده من غير أنْ يديرها ولسانه يسبّح . / القومُ ينامون غَلَبَةً سِنَة، وفيهمّ من يتكلّف النوم ساعة من الليل حتى يستعين بها على سهر بقيته، يعطي النفس بعض حقّها حتى تسكت عنه ولا تؤذيه. كان بعض الصالحين يتكلف النوم في بعض الليالي ويتهيء له من غير حاجة إليه، فسُئل عن ذلك، فقال: يرى قلبي ربّي عزّ وجلّ.

صدق في قوله؛ لأن مَنَام الصّادق وحي من الله تعالى، كانت قرّه عينيه في نومه. المقرّب من الحقّ عزّ وجلّ له ملائكة متوكلون به يحفظونه في جميع أوقاته، إذا نام قعدوا عند رأسه وعند رجليه يحفظونه من بين يديه ومن خلفه والشيطان [في] [١٩/أ]ناحية لا يقدر [أن] يقربه، ينام في حفظ الله عزّ وجلّ، وينتبه / في حفظه، يتحرك ويسكن في حفظه. اللهم اجعلنا في حفظك في جميع الأحوال، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

مجلس

عن النبي صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم أنه قال: «من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه»[٣٦] كلُّ مَنْ حَسُنَ إسلامه وتحقق، أقبل على ما يعنيه وأعرض عما لا يعنيه. والاشتغال بما لا يعني شغل البطالين المهوسين. المحروم من رضاء مولاه من لم يعمل بما أمر، واشتغل بما لم يؤمر به، هذا هو الحرمان بعينه، والمَقْتُ بعينه والطرد بعينه[٣٧]. ويحك: امتثل الأمر وانته عن النهي، ووافق في الآفات ثم سلم نفسك إلى يد القدر بلا لِمَ وكيف. نظر الله عزّ وجلّ لك مع علمه بك خير من نظرك لنفسك / مع جهلك بربّك. اقنع بعطاه، واشتغل بالشكر عليه، ولا تطلب [١٩/ب] منه الزيادة؛ فإنك ما تدري خيرته في أيّ شيء هي.

الزهد راحة لقلوب الزاهدين الطائعين. ثقل الزهد على البنية[٣٨] وثقل المعرفة على القلب، وثقل القرب على السرّ. إزهد واقنع واشكر وارض عن ربك عزّ وجلّ ولا ترض عن نفسك. أحسن الظنّ بربك[٣٩] وأسيء الظنّ بنفسك. اترك الشهوات فتركها فيه الشفاء، وصفاء القلوب. الشبع من الحلال يعمي القلب، فكيف من الحرام؟! ولهذا قال النبي صلى الله عليه و[آله وصحبه]

---

(٣٦) رواه الترمذي في «الزهد»، باب «ما جاء مَنْ تكلم بالكلمة ليضحك الناس»، ٢٤٣٣، عن أبي هريرة، انظر صحيح سنن الترمذي باختصار الألباني. كما رواه ابن ماجه في «الفتن»، باب كف اللسان في الفتن، ٣٩٧٦.

(٣٧) والطرد بعينه: زيادة من (ب).

(٣٨) البُنْيَة: الجسد.

(٣٩) في (أ): بغيرك.

وسلم: «الحمية رأس الدّواء والبطنة رأس الدّاء. وعوّدوا كل الجسم بما [٢٠/أ] اعتاد»[٤٠]. قد جمع صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم / علم الأبدان في هذه الكلمات الثلاث. البطنة تطفيء نور الفطنة. ومصباح الحكمة ونور الولاية. ما دمت مع الدنيا والخلق فعليك بالحمية؛ لأنّك في المارستان. فإذا وصل قلبك إلى الحقّ عزّ وجلّ كان أمرك إليه، يتولاك هو وأنت في معزل عنك، كيف لا يتولّاك وقد صلحت له؟! قال عزّ من قائل: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾. [سورة الأعراف ٧/١٩٦].

يا غلام: لا تنزعج لمجيء القدر فإنّ القدر لا يردّه رادّ، ولا يصدّه صادّ. كل مقضي كائن، رضيَ من رضي وسخط من سخط. اشتغالك في الدنيا يحتاج إلى نيّة صالحة، وإلا فأنت ممقوت، قل في جميع أمورك: لا حول ولا قوة إلا بالله العليّ [٢٠/ب] العظيم. إجعل ساعة للدنيا وساعة / للآخرة، وساعة لنفسك، وساعة لأهلك، وبقيّة الساعات لربّك عزّ وجلّ. اشتغل بطهارة قلبك أولاً فإنّه فريضة، ثم تعرّض للمعرفة، فإذا ضيّعْتَ الأصل لا يقبل منك الاشتغال بالفرع. ما تنفعك طهارة الجوارح من نجاسة القلب؟! طهّر جوارحك بالسّنة، وقلبك بالعمل بالقرآن، احفظ قلبك حتى تنحفظ جوارحك، كل إناء ينضح بما فيه[٤١]، أيّ شيء كان في قلبك ينضح منك على جوارحك. تواضع؛ فكلما تواضعْت طهرت وكبرت

---

(٤٠) ذكره القاري في الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة بلفظ (المعدة بيت الداء، والحمية رأس الدواء. وقال: من كلام الحارس بن كَلَده طبيب العرب.

وقال القاري في الإحياء مرفوعاً: «البطنة أصل الداء، والحمية أصل الدواء، وعوّدوا كل جسدٍ بما اعتاد». قال العراقي في تخرج أحاديث الأحياء: لم أجد له أصلاً. انظر الأسرار المرفوعة ص٣٢٠ .

(٤١) ذكره الميداني بلفظ «كل إناء يرشح بما فيه». ثم قال: ويروى «ينضح بما فيه» انظر مجمع الأمثال للميداني (١٦٢/٢) .

ورفعت. إذا لم تتواضع فأنت جاهل بالله وبرسله وأنبيائه وأوليائه وبحكمه وبعمله وقدره وقدرته ودنياه وآخره. كم تسمع ولا تَعْقل؟! وتَعْقِل ولا تعمل؟! وتعمل ولا تخلص؟! وجودك / وعدمه سواء. إذا كنت تجيء إلى عندي ولا تعمل بقولي [٢١/أ] فلماذا تجيء؟! تضيّق على الحاضرين!. ما تزال قاعداً في دكانك، متقلباً في خراب بيتك، فإذا جئت إلى ها هنا تجيء فرجة. تسمع كأنّك ما سمعت! يا صاحب المال إنس مالك وتعال اقعد بين الفقراء، وذِلّ لله عزّ وجلّ ولهم، يا صاحب النسب انس نسبك وتعال، النسب الصحيح نسب التقوى، قيل للنبي صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم: مَنْ آلك يا محمد؟ قال صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم: «كل تقي من آل محمد»[٤٢]. لا تأتني بأقدام نسبك بل ائتني بأقدام تقواك، كن عاقلاً عما يقع بيدك. ما عند الله بمجرد النسب فحسب، بل حتى يصح لك نسب التقوى، قال عزّ من قائل: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [سورة الحجرات ٤٩/١٣]. لا خير فيك يا صبي ويا شاب / ويا شيخ ويا مريد، [٢١/ب] إذا لم تصفّ لقمتك من الحرام.

الأكثر منكم الأعم يأكلون مأكولاً مشوباً حراماً صريحاً. من أكل الحرام اسودّ قلبه، ومن أكل الشبهات تكدّر قلبه. النفوس والأهوية يُهوِّنون عليكم أكل

(٤٢) أخرجه الطبراني في المعجم الصغير، باب من اسمه جعفر، عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: سئل النبي صلى الله عليه [وآله وصحبه] وسلم: من آل محمد؟ فقال: كل تقي. وتلا ﴿إنْ أولياؤه إلا المتقون﴾ [سورة الأنفال ٨/٣٤]. ويشهد له ما رواه البخاري في صحيحه، كتاب الأدب، باب تبلّ الرحم بِبلالها، ٥٦٤٤، عن عمرو بن العاص قال: سمعت النبي صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم جهاراً غير سرٍّ يقول: «إنّ آل أبي - قال عمرو: في كتاب محمد بن جعفر بياض - ليسوا بأوليائي، إنّما وليّي الله وصالح المؤمنين»، وقد أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب موالاة المؤمنين ومقاطعة غيرهم، ٢١٥.

الحرام، النفس والهوى يتشاركان في طلب الشهوات واللذات ولا يتورعان في تحصيلها. إذا كنت تطعم نفسك الخشكار[٤٣] وتطلب منك الخبز السّميذ[٤٤] فأطعمها خبز الشعير حتى تكون كل أمنيتها [أن] تعيدها إلى الخشكار. النفس إذا كانت لا تتورع في مأكولها فمثلها كمثل الدجاجة التي ترعى على المزابل فتتناول من النجس والطاهر، فمن أراد أكل شيء منه أو من بيضه فليحبسها ويطعمها الطاهر ثم يأكلها. إحبس نفسك عن أكل النجاسة / والحرام وأطعمها الحلال والطاهر [٢٢/أ] حتى يزول لحمها الذي تربّى على الحرام. جنبها أكل الحرام والشبهة، ثم جنبها الحلال بالهوى.

إذا قيل للواحد منكم: أتحبّ أن تموت على هذا العمل الذي تعمله. فيقول: لا. فإذا قيل: تُبْ وأحسن العمل. يقول: إن وفّقني الله عزّ وجلّ فعلت. يحتجّ بالقدر في توبته ولا يحتج به في شهواته ولذّاته. بينما هو على قدم التسويف وبين لا ونعم إذْ جاءه الموت فخنقه وهو في طيب عيش وتنعّم، يأخذ من [هذا] ولايته وعزه، ويأخذ هذا من دكانه وربحه، يفجأه الموت ووصيته غير مكتوبة، وحسابه غير محرّر، وآماله طويلة وعريضة.

الفكر الصحيح هو الذي هرّب الصالحين من العمران إلى الخراب، وأزال فرحهم / وأدام حزنهم. [٢٢/ب]

كل من عرف الله عزّ وجلّ يكثر حزنه[٤٥] وخوفه يصير له محدّثاً يحدّثه، وشغلاً

---

(٤٣) الخشكار: الخبز الأسمر غير النقي (فارسي)،أنظر المعجم الوسيط مادة (خشكار) ج ٢٣٥/١ .

(٤٤) السميذ: لباب الدقيق،ونوع من الخبز يصنع منه، وفي لغة السميد.

(٤٥) قال القشيري: «الحزن حال يقبض القلب عن التفرّق في أودية الغفلة. والحزن من أوصاف أهل السلوك». أنظر الرسالة القشيرية ص ٦٥ .

يشغله، يتمنّى أن لا يسمع كلام أحد من الخلق، وأن لا يلقى أحداً، يتمنّى أن يتخلّص من أهله وماله، يتمنّى أن تنتقل أقسامه إلى غيره، يتمنّى تغيير طبعه وخلقه إلى خالقه المالك.

كلّما أراد الخلاص من جميع ذلك حجر الحكم عليه، وقيده القدر، وجاءه بتوقيع السّابقة والعلم، فيحرس ليله ونهاره، فيستقيل إلى ربّه عزّ وجلّ من الدنيا، ثم تغلب عليه معرفته له فتحرسه ظاهراً وباطناً. كان فتح الموصلي[٤٦] رحمة الله عليه يقول في مناجاته لربّه عزّ وجلّ: (إلهي إلى متى تردّني وتحبسني في الدنيا، متى تنقلني إليك حتى أستريح من الدنيا والخلق). ما مثلك إلا كما قال / نوح عليه [٢٣/أ] السلام لابنه: ﴿يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا فَقَالَ لَهُ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ المَاءِ.....﴾ [سورة هود ١١/٤٢]. الواعظ يقول لك: هلمّ اركب معي في سفينة النجاة. وأنت تقول: سآوي إلى جبل يعصمني من الماء. جبلك طول أملك وحرصك على الدنيا. عن قريب يجيء إليك ملك الموت[٤٧] فيغرقك في جبلك. اقبلوا مني يا عباد الله، اخرجوا من بيوت جهلكم، قد بنيتم حيطان أديانكم على غير أساس، قد جبرتم كسره على غير قاعدة تحتاج إلى خلع وجَبْر ثانٍ. الدنيا في قلوبكم والمعاصي في قلوبكم، مكّنوني منكم حتى أنظّفكم وأطهّركم بشَرَبات أسقيكم إياها؛ أسقيكم الورع والزهد والتقوى والإيمان والمعرفة والعلم ونسيان الكلّ والفناء عن الكل، فحينئذٍ يجيئكم / الوجود بربّكم عزّ وجلّ، والقرب منه، [٢٣/ب] والذّكر له. من صحّ له هذا صار شمساً للخلق وقمراً لهم ودليلاً لهم آخذاً بأيديهم يَعْبر بهم من شطّ الدنيا إلى ساحل الآخرة. قال النبيّ صلى الله عليه و[آله

---

(٤٦) هو فتح بن سعيد الموصلي، من أكابر الأولياء، له كرامات كثيرة، توفي سنة ٣٢٠هـ. أنظر جامع كرامات الأولياء ٢/٤٣٧ ، والحلية لأبي نعيم ٨/٢٩٢ .

(٤٧) في «أ»: ماء الموت.

وصحبه] وسلم: «استعينوا [على] كل صنعة بصالحي أهلها»(٤٨).

ويلك، تستغني برأيك تقول: ماذا أعمل عند الفقهاء والعلماء، تظنّ أنّك خلقت للكسب والأكل والشرب والنكاح فحسب! تُبْ وارجع قبل أن يأتيك الموت يأخذك وأنت على شرّ العمل. كل واحد منكم مخاطب بالأمر والنّهي والصّبر على ما يأتي به القدر. اصبروا على أذية الخلق والجيران؛ لأنّ في الصبر خيراً كثيراً. كلكم مأمورون بالصبر ومسؤولون عنكم وعن رعاياكم، قال النبي صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»(٤٩). [٢٤/أ]

اصبروا على الأمر بالقدر حتى ينقلب الشقاء نعماء. الصبر أساس الخير، الملائكة ابتلوا فصبروا، والأنبياء ابتلوا فصبروا، والصالحون ابتلوا فصبروا، وأنتم أثر القوم فافعلوا كفعلهم، واصبروا كصبرهم. القلب إذا صحّ لا يبالي بمن خالفه ومن وافقه، بمن حمده ومن ذمّه، بمن أعطاه وبمن منعه، بمن قرّبه ومن أبعده، بمن قَبِله أو ردّه؛ لأنّ القلب الصحيح يمتلىء توحيداً، وتوكلاً، ويقيناً، وتوفيقاً، وعلماً،

---

(٤٨) ذكره العجلوني في الكشف، ٣٤٠، وقال: قال في الأصل قد يستأنس له بقوله ﷺ: «ما كان من أمر دنياكم فإليكم» وقال في التمييز، ويشهد له ما ثبت في سنن أبي داوود، كتاب الطب، باب في تمرة العجوه، ٣٨٧٥، عن سعد قال: مرضت فأتاني رسول الله ﷺ يعودني، فوضع يده بين ثديي حتى وجدت بردها على فؤادي وقال لي: «إنّك رجل مفؤد، فأتِ الحرث بن كلدة أخا ثقيف فإنه رجل يطبّب»، أنظر الكشف ج ١ ص ١٣٤ .

(٤٩) أخرجه البخاري، كتاب الجمعة، باب الجمعة في القرى والمدن، ٨٥٣، عن ابن عمر وتتمته: (والرجل راعٍ في أهله وهو مسؤول عن رعيته، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسؤولة عن رعيتها، والخادم راع في مال سيده ومسؤول عن رعيته).

كما أخرجه أحمد في مسند عبدالله بن عمر، ٤٤٩٥، بغير هذا اللفظ، وكذلك أخرجه أبو داود في السنن، كتاب الخراج والإمارة، باب ما يلزم الإمام من حقّ الرعيّة، ٢٩٢٨، بلفظ ألا كلكم . . .».

وإيماناً، ومن الله عزّ وجلّ قرباً. يرى الخلق كلّهم بعين العجز والذلّ والفقر، ومع ذلك لا يتكبّر على طفل صغير منهم، يصير كالسبع وقت لقاء الكفار والمنافقين والعصاة غَيْرة لله عزّ وجلّ، ويتواضع ويذل للصّالحين المتقين / المتورّعين، وقد [٢٤/ب] وصف الله عزّ وجلّ القوم الذين هذه صفتهم فقال عزّ مَنْ قائل: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [سورة الفتح ٤٨/٢٩].

إذا صحّ هذا العبد صار من وراء معقول الخلق، من وراء مأموره، يظهر ويصير من قِبَل قوله عزّ وجلّ ﴿وَيَخْلُقُ مَالاَ تَعْلَمُونَ﴾ [سورة النحل ١٦/٨].

كل هذا ثمرة التوحيد والإخلاص والصبر. نبيّنا صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم لمّا صبر رُفع إلى السماء السابعة ورأى ربّه عزّ وجلّ، وقرّبه، صحّ له هذا البناء بعد إحكام أساس الصبر. الخيرات كلّها تحت أقدام الصبر؛ ولهذا كرّر الله عزّ وجلّ ذكره وأكّد أمره فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [سورة آل عمران ٣/٢٠٠]. اللهم اجعلنا من الصابرين التابعين لهم قولاً وفعلاً، خلوة وجلوة، صورة ومعنى، / في جميع [٢٥/أ] أحوالنا، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

* * *

مجلس

المريد قائم تحت ظلال توبته، والمراد قائم تحت ظلال عناية ربّه عزّ وجلّ. المريد سائر، والمراد طائر. المريد على الباب والمراد من وراء الباب في مخدع القرب.

لّما اجتهد المريد في العمل صار مراداً. طالب القرب من غير عمل مهووس، إنّما بيّنّا الأمر على الأغلب لا على النادر. موسى عليه السلام متى قُرِّب؟ أليس بعد مقاساته للشدائد والمجاهدات. لّما خرج من دار فرعون هارباً وقاسى ورعى الغنم سنين، بعد ذلك رأى ما رأى. بعد كم وكم حتّى قُرِّب. لّما قاسى الجوع والعطش والغربة وظهر جوهره وعُلِمت رحمته لبنات شعيب جاءه الخير بالمروءة[٥٠] [التي] كانت في قوته على خدمة / [٢٥/ب] غنمهما؛ لأنّه كان جائعاً قد عمل فيه الجوع.

فلما سقى غنمهما أفرده الحياء إلى تحت الشجرة، ومنعه من طلب الأجرة على عمله. السابقة سَدَّدَتْه وصيانته بصّرته، ونظرات الحقّ عزّ وجلّ رصنته، وأنطقته بالسّؤال لربّه عزّ وجلّ حتى قال: ﴿ربِّ إنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [سورة القصص ٢٨/٢٤] فبينما هو كذلك إذ جاءت بنت شعيب[٥١] خلفه فحملته[٥٢] إليه، فسأله عن حاله، فأخبره بقصته جميعها، فقال: ﴿لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ القَوْمِ الظَّالِمِيْنَ﴾ [سورة القصص ٢٨/٢٥]. ثم زوجه ابنته واستأجَرَه لرعي الغنم،

---

(٥٠) أنظر البداية والنهاية لابن كثير ١/٢٤٣ .

(٥١) قيل الكبرى واسمها صفراء، وقيل: صغراء. وقيل الصغرى واسمها (ليا) وقيل صُغيراء.
أنظر تفسير الخازن وبهامشه تفسير النسفي ٣/٤٠٢ .

(٥٢) أي أخذته.

فنسي مُلْك فرعون ودلاله الذي كان فيه. لَبِسُ لُبْس الرعاة وكان الليل والنهار مع الغنم، قعد مع من لا ينطق في البرية القفراء، تعلم الزهد والخلوة عن الخلق؛ فَتَطَهَّر / قلبه منهم، وانحكم أمره في تلك السنين، ذهب مُلْك فرعون من قلبه، [٢٦/أ] وخرجت الدنيا بجميع ما فيها من سره. فلمّا قضى الأجل الذي كان بينه وبين شعيب عليه اسلام عُتق ظاهره من العهد الذي كان عليه، وبقي عهد الله عزّ وجلّ وحقّه على قلبه وسرّه، فلمّا ودّعه وأخذ زوجته وسار ثلاث فراسخ من مدين أدركه الليل، وكانت زوجته حاملاً، فضربها الطلْق، وطلبت منه ضوءاً تستضيء به، فأخذ الزّند ليقدح، فلم يخرج منه شيء، وأعْتَم عليه الليل، واشتدّ ظلامه فجاءته الحيرة من كل جانب، وضاقت الدنيا برحبها عليه، بقي غريباً وحيداً في طريق لا يعرفه وامرأته / في ذلك الكرب الذي هي فيه، فوقف على علو [٢٦/ب] من الأرض ينظر يميناً وشمالاً ووراء وأماماً حتى سمع صوتاً ورأى ناراً من جانب الطور. فقال لزوجته: لسكني فقد رأيت ناراً، فلعلي آتيك منها بقبس وأستعلم من أهلها خير الطريق، فلما أتاها نودي. لما قرب منها وأراد أنْ يأخذ منها شعلة، انقلب الأمر(٥٣)، ذهبت العادة وجاءت الحقيقة، نسي الأهل ومصالحهم، وجاء إلى زوجته مَنْ أكرمها وهيّأ أمورها، وجاءها بما يصلحها، نودي مناداة مناد، خاطبه مخاطب، كلّمه متكلّم، وهو الحقّ عزّ وجلّ، بلا واسطة من شاطىء الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجر، صارت الشجرة قِبَلَه(٥٤)، قال يا موسى ﴿إنّي

---

(٥٣) قال ابن كثير في البداية والنهاية ص ٢٤٧: «لما قصد موسى تلك النار التي رآها فانتهى إليها وجدها تتأجج في شجرة خضراء من العوسج وكلّ ما لتلك النار في اضطرام، وكل ما لخضرة تلك الشجرة في ازدياد، فوقف متعجبا» ١ .هـ، وانظر تفسير الخازن وبهامشه تفسير النسفي ٤٠٣/٣ .

(٥٤) قال ابن كثير: «فكان موسى مستقبلا القبلة والشجرة عن يمينه». انظر البداية والنهاية ج ٢٤٧/١ .

[٢٧/أ] أَنَا اللَّهُ رَبُّ العَالَمِينَ﴾ [سورة القصص ٢٨/٣٠] أي لست بملك / ولا جني ولا إنسي، بل ربّ العالمين، أي كذّب فرعون في قوله ﴿أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَىٰ﴾ [سورة النازعات ٢٩/٢٤] وفي ادعائه الإلهية دوني، أنا الله فقط ما[له](٥٥) فرعون وغيره من الخلق: الجن والإنس والملك وجميع المخلوقات من العرش إلى تحت الثرى! عالِم زمانك وعالم ما يأتي بعدك إلى يوم القيامة؟!

ويلك، يا مبتدع ما يقدر [أن] يقول: إني أنا الله إلاّ الله. ربّنا عزّ وجلّ متكلم ليس بأخرس؛ ولهذا أكد الله عزّ وجلّ الأمر في كلامه لموسى فقال: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾ [سورة النساء ٤/١٦٤] له كلام يسمع ويفهم. لمّا سمع موسى كلام الله عزّ وجلّ كادت نفسه أن تخرج ووقع موسى على وجهه من هيبته. سمع كلاماً ما سمعه من قبل، جاء على ضعف البشرية فهدّها، فبعث الله ملكاً فأقامه، [٢٧/ب] ووضع إحدى يديه على صدره / والأخرى وراء ظهره حتى قَدِرَ على القيام وقويَ قلبه وأحضر عقله، حتى عَقل كلامه وفهمه. صحّ له ذلك بعد أنْ قامت قيامته، وضاقت عليه الأرض برحبها؛ أمره بالمضي إلى فرعون وقومه وأن يكون رسوله إليهم، فقال: يا رب احلل عقدة من لساني حتى يفقهوا قولي، واشدد ظهري بأخي، وكان في لسانه عقدة، ما كان يقدر أنْ يتكلم بالفصاحة لأجل ما جرى له مع فرعون في حال صغره، فكان إذا أراد أنْ يتكلم بكلمته يتوقف ويجتهد في إقامه حروفها في مدة يقدر الغير أن يتكلم بسبعين كلمة، وسبب ذلك أنه لِما حصل في دار فرعون في حال صغره، أحضرته آسية زوجته بين يديه، وقالت له: هذا قرة [٢٨/أ] عين لي ولك، لا تقتلوه. فضمّه إليه حتى يقبّله /، فأخذ بلحيته وهزّها، فقال فرعون: هذا هو المولود الذي يكون زوال ملكي على يده، فلا بدَّ لي من قتله. فقالت له: هذا طفل صغير لا يعقل ما يفعل. ثم أُمر أنْ يحضر بين يديه إناء فيه

---

(٥٥) في (أ) [لوه].

جمر من نار وإناء فيه لؤلؤ، وقالت له: نترك الإنائين بين يديه، فإن عرف الفرق بينهما ومَدَّ يده إلى اللؤلؤ وحذِر من النار فاقتله، وإن لم يفرق بينهما ومدّ يده إلى النار فلا تقتله. وتشارطا على ذلك، وتركا بين يديه ذلك، فمدّ يده إلى النار فأخذ منها جمرة وتركها في فيه، وبكى. فقالت: ألم أقل لك إنه لم يفعل ما فعل عن قصدٍ منه فتركه ولم يقتله(٥٦). وربّاه الله عزّ وجلّ في داره. سبحان من هيأ لسانه وجعل له من كلّ / همّ وغمّ وضيق فرجاً ومخرجاً. قال عزّ من قائل: ﴿. . . وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ [٢٨/ب] يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً. وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِب، وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [سورة الطلاق ٦٥/٢-٣].

هذا القلب إذا صفا وصحّ سمع مناداة الحقّ عزّ وجلّ من جهاته الست، يسمع مناداة كل نبي، ورسول، وولي، وصدّيق، فحينئذ يقرّب منه، فتصير حياتُه القربَ منه، وموتُه البعدَ عنه، يصير رضاه في مناجاته له، ويقنع بذلك عن كل شيء، لا يبالي بذهاب الدنيا عنه، لا يبالي بالجوع والعطش، العرض وكثر الإعْراض.

اصبروا على أحكام الحكيم، وقد انكشف لكم الغطاء عن العلم، قد أمركم الحقّ عزّ وجلّ بالصبر فاصبروا. أمر نبيّه صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم بالصبر خاصة ولكم عامة، الأمر له هو ولكم / أيضاً، قال عزّ وجلّ: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا [٢٩/أ] صَبَرَ أُولُو العَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ. . .﴾ [سورة الأحقاف ٤٦/٣٥]. اصبرْ يا محمد صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم كما صبروا معي في أقضيتي وأقداري عليهم في أهاليهم وأولادهم وأموالهم وأذيّة الخلق لهم، فقابَلوا ذلك بالاحتمال.

ما أقل احتمالكم، ما أرى أحداً منكم يحتمل من صاحبه كلمة، ولا يقيم له عذراً، تعلّموا من الرسول أخلاقه وأفعاله، اقتدوا به واتبعوا أثر أقدامه، اصبروا

(٥٦) انظر تفسير الخازن وبهامشه تفسير النسفي ٣/٢٣٦ .

على أثقال البداية حتى تأتيكم راحة النهاية، البداية انزعاج والنهاية سكون. نبيّنا صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم في بدايته حبّب إليه الخلوة عن الخلق، ففي بعض الأيّام سمع قائلاً يقول: يا محمد، فهرَب من ذلك الصوت ولم يعلم ما هو، بقي على ذلك مدة، ثم علم ما هو فثبت، ثم انقطع / عنه ذلك الصوت فضاق [٢٩/ب] وهام في الجبال، وكاد أن يلقي نفسه منها. في الأوّل كان يهرب وفي الثاني صار يطلب. في الأول انزعاج وفي الثاني سكون.

المريد طالب، والمراد مطلوب، كان موسى عليه السلام مريداً ونبيّنا صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم مُرَاداً. بقي موسى في ظلّ وجوده وطلبه لرؤيته على جبل طور سيناء، ونبينا صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم لمّا كان مراداً أعطي الرؤية من غير طلب، وقرِّب من غير شوق وسؤال، أغني من غير طلب اللقاء(٥٧)، وأري ما حجب عن غيره. طلب موسى عليه السلام الرؤية فلم يُعط، ووقع ميتاً عقوبة لطلبه ما لم يُقْسم له في الدنيا. ونبينا صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم أَحسن أدبه وعرف قدره وتجاهد وتواضع / ولم يتبسّط، فأعطي ما لم يعط [٣٠/أ] غيره لنسيانه غير الحقّ عزّ وجلّ وموافقته له.

الشَّرَهُ والحرص مذموم، اقنعوا بما قسم لكم الله عزّ وجلّ وارضوا به. من صبر وصل، من صبر استغنى قلبه وزال فقره. عليك بالخلوة من الخلق وقد قَدِرْتَ على العبادة والإخلاص فيها، الوحدة خير من أقران السوء. رُئيَ عند بعض الصالحين كلب، فقيل له: لم تركت هذا عندك. فقال: هو خير من قرين السوء. كيف لا يحب الصالحون الخلوة وقلوبهم قد امتلأت بالأنس بربّهم عزّ وجلّ وكنفه عليهم! كيف لا يهربون من الخلق وقد غابت قلوبهم عن النظر في نفعهم وضرِّهم، ورأت الضرّ والنفع من ربّها عزّ وجلّ. شراب القرب نَخْبُهم، / [٣٠/ب]

---

(٥٧) في (أ): الغناء.

واللطف نومهم، والكلام لقلوبهم[٥٨] واطلاعها على الأسرار جنتهم، هم مجانين بالإضافة إلى الخلق، عقلاء وحكماء وعلماء بالإضافة إلى الحقِّ عزّ وجلّ. من أراد أن يكون زاهداً فليكن هكذا وإلاّ فلا يتعب.

يا متكلّف يا متصنع ما هذا، بما أنت عليه؟ لا يتم هذا الأمر بصيام النهار وقيام الليل والتخشّن في المطعم والملبس مع وجود النفس والهوى والطبع والجهل وردّية الخُلُق، لا يجيء بهذا الشي، ويلك أخلص وتخلّص، اصدق وقد وصلْتَ وقربت على همّتك، وقد علوت. سلِّم وقد سلمت، وافق وقد وفقت، ارض وقد رضي عنك، أسرع وقد تمّم الحقّ عزّ وجلّ لك، اللّهم تولّ أمورنا في الدنيا والآخرة، / ولا تكلنا إلى نفوسنا ولا إلى أحد من خلقك، وآتنا في الدنيا حسنة [٣١/أ] وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النّار.

* * *

(٥٨) في (أ): والكلام لذتهم.

مجلس

قال الله تعالى عزّ وجلّ في بعض كلامه: «كذب من ادّعى محبّتي حتى إذا جنّه الليل نام عنّي»[٥٩]. إذا كنت من المحبين لله عزّ وجلّ تعاقب بنومك إلا غلبة. المحبّ متعوب، والمحبوب مستريح. المحبُّ طالب، والمحبوب مطلوب. عن النبي صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم أنه قال: يقول الله عزّ وجلّ لجبريل: «يا جبريل، أنم فلاناً وأقم فلاناً»[٦٠]. هذا له وجهان: أقم فلاناً المحبّ، وأنم فلاناً المحبوب. هذا قد ادّعى محبتي لا بدّ أنْ أناقشه، وأقيمه مقامه حتى يتساقط عنه أوراق وجوده مع غيري، أقمه حتى يبينّ برهان / دعواه ويتحقق محبّته. وأنم [٣١/ب] فلاناً؛ لأنّه محبوب قد طال ما تعب. ما بقيت عنده بقية من غيري، اتّخذت محبته لي، وتحققت دعواه وبرهانه ووفاؤه بعهدي، جاءت التوبة إليّ ووفائي بعهده وهو ضيف، والضيف لا يُستخدم ويُتعب. أنومْه في حجر لطفي وأقعده على مائدة فضلي، وأونسه بقربي، قد صحّت مودّته، فإذا صحّت المودة زال التكلف.

والوجه الآخر أنم فلاناً؛ فإنّه يريد بعبادتي وجه الخلق، وأقم فلاناً؛ فإنّه يريد بعبادتي وجهي. أنِم فلاناً فإني أكره صوته، وأقم فلاناً فإني أحب سماع صوته. إنما يصير المحبّ محبوباً إذا طهر قلبه عما سوى الله عزّ وجلّ؛ فلا يتمنى الرجوع عنه إلى غيره/. وصول القلب إلى هذا المقام بأداء الفرائض، والصّبر عن الحرام [٣٢/أ] والشبهات، وتناول المباح والحلال، وترك الهوى[٦١] والشهوات والوجود، واستعمال

---

(٥٩) لم نعثر عليه.

(٦٠) لم نعثر عليه.

(٦١) في (أ): وترك تناول المباح والحلال بالهوى والشهوات والوجود.

الورع الشافي والزهد الكامل: وهو ترك ما سوى الله عزّ وجلّ، ومخالفة النفس والهوى والشيطان، وطهارة القلب من الخلق في الجملة حتى استوى الحمد والذّم، والعطاء والمنع والحجر والمدر[٦٢].

أوّل هذا الأمر شهادة أن لا إله إلّا الله، وانتهاؤه استواء الحجر والمدر؛ أي الذهب والفضة. من صحّ قلبه واتصل بربّه عزّ وجلّ استوت الحجر والمدر عنده، والحمد والذّم، والسقم والعافية، والغناء والفقر، وإقبال الدنيا وإدبارها. من صحّ له هذا ماتت نفسه وهواه / وانخمدت ناريّة طبعه، وذلّ شيطانه له، وتحتقر الدنيا [٣٢/ب] وأربابها عند قلبه، ثم يعرض عنها، ويقبل على مولاه عزّ وجلّ حتى يصير لقلبه دَرْباً في وسط الخلق يجوز فيه إلى الخالق، ينفردون له يميناً وشمالاً، يتنحون ويخلّون الطريق له، يفرّون من نار صدقه وهيبة سرّه، فحينئذ يُدعى في الملكوت عظيماً، يكون الخلق كلهم تحت أقدام قلبه، يستظلون بظلّه، لا تهوس، أنت لا تدعي ما ليس لك ما ليس عندك، أنت نفسك مستولية عليك، والخلق والدّنيا في قلبك، هما في قلبك أكبر من الله عزّ وجلّ، أنت خارج عن حدّ القوم وعدهم. إن أردت الوصول إلى ما أشرت إليه فاشتغل بطهارة قلبك عن الأشياء كلها، ويحك، أنت لو تعوزك / لقمة، أو تضيع منك حبّة، أو ينكسر لك عَرَض تقوم قيامتك، [٣٣/أ] وتعترض على ربّك عزّ وجلّ، وتُخْرج غيظك في ضرب زوجتك وولدك، وبسبّ دينك ونبيّك. لو كنت عاقلاً من أهل اليقظة والمراقبة لخرست بين يدي ربّك عزّ وجلّ، ولرأيت جميع أفعاله نعمة في حقك، ونظراً إليك.

ويحك، اذكر جوع الجياع، وعري العراة، ومرض المرضى، وحبْس المحبوسين، وقَدْ هان عليك ما عندك من البلاء، اذكر أهل القبور في أهوال القيامة. اذكر علم الله عزّ وجلّ ونظراته إليك وسابقته لك وقد استحيت منه. إذا

---

(٦٢) المدر: الطين.

ضاق بك أمرٌ فتفكّر في ذنوبك، وتب منها، وقل لنفسك: بذنوبكِ ضيّق الحقّ عزّ وجلّ عليك. إذا تبت / من الذنوب، واتقيْتَ الحقّ عزّ وجلّ جعل لك من كل [٣٣/ب] همٍّ فرجاً ومن [كل] ضيق مخرجاً. قال الله عزّ وجلّ: ﴿. . . وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لاَ يَحْتَسِبْ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُه. . .﴾ [سورة الطلاق ٦٥/٢ـ٣]. العاقل من صَدَقَ وتميز عن الكذّابين بصدقه، اجعل الصِّدق بدل الكذب، والثبوت بدل النفور، والإقبال بدل الإدبار، والصبر بدل الجزع، والشكر بدل الكفر، والرضا بدل السخط، والموافقة بدل المنازعة، واليقين بدل الشك، إذا وفّقت ولم تنازع، وشكرت ولم تكفر، ورضيت ولم تسخط، وسكنت ولم تشك يقال لك ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَه. . .﴾ [سورة الزمر ٣٩/٣٦]. ويحك، جميع ما أنت فيه وعليه كله هوس في هوس، لا ينظر الله عزّ وجلّ إليه. هذا الأمر لا يجيء / بأعمال الجسد؛ وإنّما يجيء بأعمال القلب ثم أعمال الجسد. [٣٤/أ] نبيّنا محمد صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم كان يقول: «الزهد ها هنا، التقوى ها هنا، الإخلاص ها هنا، ويشير إلى صدره»[٦٣]. من أراد الفلاح فليصرْ أرضاً تحت أقدام الشيوخ. ما صفة هؤلاء الشيوخ؟ هم التاركون للدنيا والخلق، والمودّعون لهما، لما تحت العرش إلى الثرى: السموات وما فيهن والأرضين وما فيهن، الذين تركوا الأشياء، وودَّعوها وداع من لا يعود إليها قط، ودّعوا الخلق كلّهم ونفوسهم من جملتهم؛ لوجدوهم مع ربّهم عزّ وجلّ في جميع أحوالهم،

---

(٦٣) إشارة لما رواه مسلم، في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله، ٢٥٦٤، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بعض، وكونوا عباد الله إخوانا، المسلم أخو المسلم، لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يكذبه، ولا يحقره، التقوى ههنا ويشير إلى صدره ثلاث مرات، بحسب امريء من الشرّ أن يحقر أخاه المسلم، كل المسلم على المسلم حرام، دمه، ماله، وعرضه.

كل من يطلب صحبة الحقّ عزّ وجلّ مع وجود نفسه فهو في هوس وهذيان. من صحّ زهده وتوحيده / لا يرى أيدي الخلق ووجودهم، لا يرى معطياً سوى الحقّ [٣٤/ب] عزّ وجلّ، لا يرى متفضلاً سواه. ما أحوجكم يا أهل الدنيا كلكم إلى سماع هذا الكلام، ما أحوجكم يا زهاداً بالجهل إلى سماع هذا الكلام. الأكثر من المتزهدين المتعبدين عبيد الخلق، مشركين بهم. يا مخلصاً أهرب من الشرك إلى باب ربّك عزّ وجلّ، قف عنده، ولا تهرب من مجيء الآفات، إذا وقفت على بابه وجاءتك الآفات من خلقه فتعلق بالباب فإنّها تُدْفع عنك بتوحيدك وهيبة صدقك. فإذا جاءتك الآفات فعليك بالثبات، وقراءة قوله عزّ وجلّ: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ...﴾ [سورة إبراهيم ١٤/٢٧] / [٣٥/أ] وقوله: ﴿... فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيْعُ العَلِيْمُ﴾ [سورة البقرة ٢/١٣٧]. وقوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَه....﴾ [سورة الزمر ٣٩/٣٦] وأَكْثِر من قول لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ومن الاستغفار والتسبيح، وذكر الحقّ عزّ وجلّ، بالصدق يُؤْمَن من جيش الآفات والنفس والهوى والشيطان. ما أكثر ما أعرِّفكم ولا تعرفون ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّه فَهُوَ الْمُهْتَدِ....﴾ [سورة الإسراء ١٧/٩٧]. ﴿وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِل...﴾ [سورة الزمر ٣٩/٣٦]. ﴿وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فلاَ هَادِيَ لَه﴾ [سورة الأعراف ٧/١٨٦]. كان نبيّنا محمد صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم يحبّ هداية الضالّين ويتمنى، فأوحى الله عزّ وجلّ إليه: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِيْ مَنْ يَشَاء﴾ [سورة القصص ٢٨/٥٦]. فحينئذٍ قال: «بُعثتُ بالهداية وليس إليّ من الهداية شيء»[٦٤]. فإغواء إبليس جعل سبب الضلالة، وليس / إليه من الضلالة شيء، اعتقاد المُتَّبعين [٣٥/ب] لكتاب الله وسنة رسوله أنّ السيف لا يقطع بطبعه بل الله عزّ وجلّ يقطع به، وأن النار لا تحرق بطبعها بل الله المحرق بها، وأن الطعام لا يشبع بطبعه بل الله

---

(٦٤) لم نعثر عايه.

عزّ وجلّ يشبع به، وأنّ الماء لا يُرْوي بطبعه بل الله عزّ وجلّ يروي به، وهكذا جميع الأسباب على اختلاف الأجناس. الله عزّ وجلّ المتصرف فيها وبها، وهي آلة بين يديه يفعل بها ما يشاء. إبراهيم الخليل عليه السلام لمّا رمي في النار وأراد الحقّ عزّ وجلّ أن لا يحرق بها فجعلها عليه برداً وسلاماً. وقد ورد في الخبر الصحيح عن النبي صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم، أنّه قال: «تقول النار يوم القيامة للمؤمن: / جُز يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي»(٦٥). العبد يضرب بالعصى، والحر تكفيه الإشارة(٦٦). [٣٦/أ]

يا عباد الله، حافظوا على الصّلوات الخمس في مواقيتها، أَدُّوْها بشرائطها وأركانها، لا تغفلوا عنها، أما سمعتم قول الله عزّ وجلّ: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّيْنَ الَّذِيْنَ هُمْ عَنْ صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [سورة الماعون ١٠٧/٥]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «والله ما تركوها غير أنهم أخَّروها عن مواقيتها».

توبوا رحمكم الله، ووافقوا التّوّاب في توبتكم. توبوا يا أصحاب المعاصي. توبوا يا مؤخري الصلاة عن مواقتها، يا متأولين بتأويل الشيطان ومكره. يا مخدوعين بخدعه، لا تعصوا، مِنْ عقوبته النار، ألا تعتبروا بمن يعاقب في الدنيا بالعمى والطّرش / والزمن والفقر مع عدم الصبر والحاجة إلى الخلق مع قساوة قلوبهم وفي الآخرة بالنار؟ كلّ ذلك بِشُؤْم المعاصي والزلاّت. نعوذ بالله من انتقامه وبطشه وأخذه وغضبه، اللّهم اعف عنّا وعافنا وعاملنا بحلمك وكرمك لا بعدلك، وارزقنا موافقتك آمين. [٣٦/ب]

---

(٦٥) ذكره الهيثمي في المجمع ٧/ ٣٦٠، باب ما جاء في الميزان والصراط، كما ذكره الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ٩/ ٢٣٤، والقرطبي في التفسير ١١/ ١٤١، والفتني في تذكره الموضوعات.

(٦٦) من أبيات الأمثال الشهيرة، ولا يعلم قائله.

عن النبي صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم أنه قال: «خلق الله عزّ وجلّ في النار زبانية ينتقم الله بهم من أعدائه الكافرين به، فإذا أراد أنْ يأخذ كافراً قال لهم: خذوه فيتبادر إليه سبعون ألفاً فإذا وقع بيد واحد منهم ذاب كما يذوب الشحم على النار، فلا يبقى في يده منه إلا الودك(٦٧)، ثم يعيد الله عزّ وجلّ خلقه فيغلونه ويقيّدونه / بقيد من نار ويشدّون رأسه مع رجليه ثم يلقونه في النار»(٦٨). [٣٧/أ]

سأله سائل عن الخواطر فقال: ما يدريك ما الخواطر، خواطرك من الشيطان، والطبع والهوى والدنيا، همّك ما أهمّك، خواطرك من جنس همّك، ماذا تَعْمل؟! خاطر الحقّ عزّ وجلّ لا يجيء إلاّ إلى قلب خالٍ عمّا سواه، كما قال [تعالى]: ﴿مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عِنْدَه﴾ [سورة يوسف ١٢/ ٧٩] إذا كان الله عزّ وجلّ وذِكْرُهُ عندك فلا جرم يمتلىء قلبك من قربه، وتهرب خواطر الشيطان والهوى والدنيا من قلبك من عندك، وإذا أعرضْتَ عن خاطر النفس وخاطر الهوى وخاطر الشيطان، وخاطر الدنيا جاءك خاطر الآخرة، ثم خاطر الملك، ثم خاطر الحقّ عزّ وجلّ / أخيراً، وهو الغاية. [٣٧/ب]

يا قوم: الحقّ عزّ وجلّ يُنْعِم عليكم لينظر هل تشكرون أم تكفرون؟ أم تعترفون أم تنكرون، تُطِيعون أم تعصون؟. لا تكونوا ثناءً منشوراً وعيباً مستوراً، لا تفرحوا بذلك فَعَن قريب تجيء الفضيحة إما عاجلاً أو آجلاً. كان بشر الحافي(٦٩) رضي الله عنه يقول: (اللّهم إنك أعطيتني فوق قدري، ونوّهت بذكري

---

(٦٧) في (أ) (الغُلّ). والودك: الشحم.

(٦٨) لم نعثر عليه.

(٦٩) هو أبو النصر بشر بن الحارث الحافي، وسمي حافيا لكثرة سيره بدون نعل، وهو من مرو، سكن بغداد، صحب الفضل بن عباد، كان عالما ورعا من الزهاد والعباد الذين لم يأنسوا بالناس، وقد روى عن شيوخه عن رسول الله ﷺ.
مات سنة سبع وعشرين ومئتين. أنظر الطبقات الكبرى للشعراني ٧٣/٣ .

وشَهَّرْتني بين الناس، اللهم لا تفضحني عندهم في القيامة فإنني أعلم أني عيب مستور وثناء منشور).

يا غلام ما يقع بيدك من الحقّ عزّ وجلّ شيء بنفاقك وفصاحتك وبلاغتك وتصفير وجهك، وترقيع مرقعتك وجميع ألطافك، كل ذلك من نفسك وشيطانك وشِرْكِك / بالخلق وطلب الدنيا منهم. أحسن الظّنّ في غيرك وأسيء الظّنّ [٣٨/أ] بنفسك، أحقر نفسك واكتم أمرك، وكن على ذلك إلى أن يقال لك: تحدث بنعمة الله عليك. كان ابن سمعون[٧٠] رحمة الله عليه، إذا جاءته الكرامة يقول: (هذه خدعة، هذه من الشيطان، ودام على ذلك حتى قيل له: (مَن أنت ومن أبوك؟! تحدّث بنعمتنا عليك).

يا محبين، يا مريدين: احذروا أن يفوتكم الحقّ عزّ وجلّ؛ فإن فاتكم فقد فاتكم كل شيء. أوحى الله عزّ وجلّ إلى عيسى عليه السلام: (يا عيسى احذر أن أفوتك فإن فتّك فاتك كل شيء، وإنْ لم أفتك، لم يفتك شيء). وقال موسى عليه السلام في مناجاته لربّه عزّ وجلّ: (يا رب أوصني. فقال له /: أوصيك بي [٣٨/ب] وبطلبي، وكرّر ذلك عليه أربع مرات، في كل مرّة يقول له ذلك ويجيبه مثل

(٧٠) هو أبو الحسين بن سمعون (٣٠٠ ـ ٣٨٧هـ) محمد بن أحمد بن إسماعيل ابن عنبس بن إسماعيل الواعظ، المعروف بابن سمعون، كان لأهل العراق فيه اعتقاد كثير ولهم به غرام شديد، وهو الذي عناه الحريري صاحب المقامات في المقامة الحادية والعشرين؛ وهي الرازيّة، بقوله: رأيت الجراد ومستنّون استنان الجياد، ومواصفون واعظا يقصدونه ويحلون ابن سمعون دونه.

كان يتكلم على الخواطر والإشارات، ولسان الواعظ، دوّن الناس حكمته، وجمعوا كلامه، له كرامات ومكاشفات وأحوال ومقامات. ١ د.

انظر تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١/٢٧٤ . ط: القاهرة ١٩٣١ والبداية والنهاية لابن كثير ١١/٣٢٣ ط القاهرة.

الأول). ما قال له اطلب الدنيا ولا أطلب الآخرة، كأنّه يقول له أوصيك بطاعتي وترك معصيتي، أوصيك بطلب قربي، أوصيك بتوحيدي والعمل لي، أوصيك بالإعراض عمّا سواي.

يا فقراء: اصبروا على فقركم وقد جاءكم الغناء في الدنيا والآخرة. عن النبي صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم أنه قال: «الفقراء الصبراء جلساء الله عزّ وجلّ يوم القيامة»[71]. الفقراء جلساء الرحمن عزّ وجلّ، اليوم بقلوبهم وغداً بأجسادهم. الفَقْر إلى الحقّ عزّ وجلّ [هو] الصبر معه عن غيره، قلوبهم عنده مطيّبة مبخّرة، لا تقبل غيره، كما قال عن موسى عليه السلام ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ / [٣٩/أ] الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ....﴾ [سورة القصص ١٢/٢٨].

إذا صحّ القلب وعرف الحقّ عزّ وجلّ أنكر غيره، واستأنس به، واستوحش من غيره، واستراح معه، وتعب مع غيره.

يا قوم اذكروا الموت وما وراءه، ودعوا الحرص على جَمْع الدنيا الفانية، قصّروا آمالكم، وأقلّوا حرصكم، أَضَرُّ مَا عَلَيْكُمْ طُوْلُ الأمل، وكثرة الحرص. عن النبي صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم أنه قال:

إذا مات ابن آدم ودخل إلى قبره أتى شفير قبره أربعةُ أملاك، يقف ملك عند رأسه وملك عن يمينه وملك عن شماله وملك عند رجليه، فيقول الذي عند رأسه: يا ابن آدم انقضت الآجال وبقيت الآمال. ويقول الذي عن يمينه: يا ابن آدم ذهبت الأموال وبقيت الأعمال. ويقول الذي عن شماله: يا ابن آدم مضت الشهوات وبقيت التبعات. ويقول الذي عند رجليه: يا ابن آدم طوبى لك إن [٣٩/ب]

---

(٧١) ذكره الهندي في الكنز ١٠٢٥٦٠/١ بلفظ «الفقراء أصدقاء الله، والمرضى أحباب الله، فمن مات على التوبة فله الجنة، توبوا ولا تيأسوا فإن باب التوبة مفتوح من قبل المغرب لا يسد حتى تطلع الشمس.

اكتسبْتَ حلالاً وأطعت جباراً»(٧٢).

يا قوم اتعظوا بهذه المواعظ، ولا سيّما مواعظ الله عزّ وجلّ، ومواعظ رسله. اللّهم اشهد لي أني مبالغ في مواعظ عبادك، مجتهد في صلاحهم.

يا أصحاب الصوامع والزوايا، تعالوا ذوقوا من كلامي ولو حرفاً واحداً، اصحبوني يوماً أو أسبوعاً لعلكم تتعلمون شيئاً ينفعكم.

ويحكم الأكثر منكم هوس في هوس. تعبدون الخالق في صوامعكم! هذا الأمر لا يجيء بمجرد القعود في الخلوات مع الجهل. ويلك إمش في طلب العلم والعلماء حتى لا يبقى مشي، امشِ حتى لا تطاوعك / ساقاك(٧٣)، فإذا عجزت فاقعد. [٤٠/أ] امش بظاهرك ثم بقلبك ومعناك فإذا مشت(٧٤) ظاهرك وباطنك ووفّقت جاءك القرب من الله عزّ وجلّ والوصول إليه.

يا غلام: لا تتدايك وأنت فرخ في بيضة، لا كلام لك حتى تستكمل خلقك وتنشق عنك بيضتك، وتصير فرخاً تحت جناح أمّك وتحت جناح شريعة نبيك حتى يذقك(٧٥). حتى يقوى إيمانك، فإذا دبّ فيك الصّلاح لقطت من حبات فضل ربّك عزّ وجلّ، فحينئذٍ تصير ديكاً للدجاج توالي وتواتر بالحب وتصير حارساً لهم، تستقبل الآفات وتفتديهم بنفسك. العبد إذا صحّ حمل أثقال الخلق وصار قطباً لهم. عن النبي صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم أنه قال: «من / تعلّم وعلّم [٤٠/ب] وعمل دُعي في الملكوت عظيماً»(٧٦). إني أقول كما قال أمير المؤمنين علي بن أبي

---

(٧٢) لم نعثر عليه.

(٧٣) في (أ) شيء.

(٧٤) في (أ): عسيْت.

(٧٥) ذق الطائر: أي أطعمه بفيه.

(٧٦) أخرجه أحمد في الزهد من كلام سيدنا عيسى صلوات الله عليه، بلفظ «من علم وعمل =

طالب كرّم الله وجهه: (إن بين جنبي علماً لوجُدْت له حمْله لو وجدت فيكم أهلية لما كنت أغلق باب الأسرار وكنت أفتح أبوابها وأصنع مفاتيحها ولكن يا سري احفظ الأسرار حتى تجيء الأهل).

احفظ ما عندك. فإذا طُلبت منك فأظْهرها. ما يمكنني أفصح بكل ما عندي؛ لأنّ من الحال ما يكتم من البيان. كان ابن سمعون رحمة الله عليه يقول: (الإيمان بما أقول ولاية، ومن كان له قدم فيه فهو زيادة) إنما يقوى على هذا الكلام ويؤمن به ويعمل به من خدم الحكم، وعمل به، وأخلص فيه، وهو هدي الكتاب والسنة. أفلح والله من تربّى / عليهما، ونشأ فيهما، ولم يتجاوز حدودهما، أخاف أن يكون [٤١/أ] الإيمان والإسلام عندك عارية؛ ولهذا أَكْثِر(٧٧) خوفك وصومك وصلواتك وسهرك. لهذا هام القوم على وجوههم فالتحقوا بالوحوش وزاحموهم في حشائش الأرض وماء الغدران، وصار ظِلالهم الشمس، ومصباحهم القمر والكواكب.

إجْتهدوا أنْ تعملوا الطّاعات والقربات قبل وصولكم إليه. لا تظلموا أنفسكم بمعصيتكم له وتجرئكم عليه. اللهم وَفِّقْنا لطاعتك، وجنّبنا معاصيك، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

= فذلك يدعى عظيماً في ملكوت السموات». انظر كتاب الزهد ص ٧٧ وذكره الغزالي في الإحياء عن عيسى صلوات الله عليه ١ /١٠.

(٧٧) في (أ): وهذا أتكثر.

مجلس

[٤١/ب] دعوا كثرة الهذيان والقال والقيل، وإضاعة المال، ولا تكثروا من القعود مع / الأقارب والجيران والأصدقاء والمعارف من غير سبب، فإنّ ذلك هوس. أكثر ما يجري الكذب والغيبة بين اثنين، والمعصية إنما تتمّ بين الاثنين. لا يخرج أحدكم من بيته إلاّ إلى ما لا بدّ منه له من مصالحه ومصالح أهله. اجتهد أنْ لا يكون الابتداء بكل أمرٍ وكلام منك؛ بل يكون كلامك جواباً. إذا سألك سائل عن شيء، فإن كان جوابه مصلحة لك وله [فأجبه] وإلاّ فلا تجبه. إذا لقيت أخاك المسلم فلا تسأله من أين تمر ومن أين تجيء، فربّما لا يحبّ أنْ يخبرك بما هو فيه فيكذب لك(٧٨)، فتكون أنت قد حملته على الكذب.

استحِ من الكرام الكاتبين، لا تمْل عليهم مالا يجوز لك إلاّ ما يسرّك يوم [٤٢/أ] القيامة، وتفرح به. / أمْل عليهم التسبيح وقراءة القرآن، والكلام في مصالح نفسك ومصالح الخلق. أكثر مدادهم بدموعك، وقوِّ أقلامهم بتوحيدك، ثم أقعدهم على الباب، وادخل أنت إلى ربّك عزّ وجلّ. قصِّروا الأمل. اجعلوا الموت نصب أعينكم، إذا رأى أحدكم أخاه فليودّعه، ويسلّم عليه سلام مودّع. وهكذا إذا خرج من بيته فليودّع أهله بقلبه؛ فلعل رسول الموت يدعوه ولا يمكنه من العود إليهم، لعل الأجلَ يلقاه في الطريق؛ فلهذا قال النبيّ صلّى الله عليه و[آله

---

(٧٨) يكذب لك: أي يكذب عليك، وتكون مكان «على» وذلك كقوله تعالى: ﴿... يخرون للأذقان سجدا﴾ [سورة الإسراء ١٧/١٠٧]. أنظر الأزهية في علم الحروف للهروي تحقيق عبد المعين الملوصي ص ٢٨٧.

وصحبه] وسلم: «لا يبيت أحدكم إلّا ووصيّته مكتوبة تحت رأسه»[79]. إن كان على أحدكم دين وهو قادر على قضائه ووفائه فليعطه ويقضيه، ولا يؤخر قضاءه فإنّه لا يدري هل يُقضى بعده أم لا، ومن قدر على قضائه فلم يقضه / فهو ظالم[٤٢/ب] لنفسه؛ لأن النبيّ صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم قال: «مطل الغني ظلم»[80].

القوم يتعوّدون الصّبر على البلاء ولا ينزعجون مثل انزعاجكم. كان بعضهم يبتلى كل يوم ببليّة، فيوم لا يأتيه بلاؤه يقول: إلهي ماذا فعلت اليوم من الذنوب حتى لم تنفذ لي بليتي. البلايا مختلفة. منها في البنية، ومنها في القلب، ومنها مع الخلق، ومنها مع الخالق. لا خير فيمن لا يؤذى. البلايا خطاطيف الحق عزّ وجلّ، نهمة[81] العابد والزاهد في الدنيا الكرامات، وفي الآخرة الجنات. ونهمة العارف بقاء الإيمان عليه في الدنيا، والخلاص من نار الله عزّ وجلّ في الآخرة، فلا تزال نهمته وشهوته في هذا حتى يقال لقلبه ما هذا؟ اسكن، واثبت. / الإيمان ثابت[٤٣/أ]

---

(٧٩) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا، ٢٥٨٧، عن عبدالله بن عمر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «ما حقّ امرء مسلم له شيء يوصي فيه، يبيت ليلتين إلا ووصيته مكتوبة عنده».

وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الوصية، ١٦٢٧، كما أخرجه الترمذي في السنن، كتاب الوصايا، باب ما جاء في الحث على الوصية، ٢١١٩.

(٨٠) قطعة من حديث. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحوالة، ٢١٦٦، عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه [وآله وصحبه] وسلم قال: «مطل الغني ظلم، ومن اتبع على مليٍّ فليتبع». كما أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب تحريم مطل الغني وصحة الحوالة، ١٥٦٤.

وقد أورد الناسخ هذا الحديث بلفظ (مطل الغني وبطية ظلم).

(٨١) النهمة: بلوغ الهمة في الشيء.

عندك، ومنك يقتبس المؤمنون نوراً لإيمانهم، وأنت غداً مشفع مقبول القول، تكون سبباً لخلاص خلق كثير من النار[٨٢]، تكون بين يدي نبيّك الذي هو سيد الشافعين. اشتغل بغير هذا. هذا توقيع ببقاء الإيمان والمعرفة والسلامة في العاقبة والمشي مع النبيين والمرسلين والصديقين الذين هم الخواص من الخلق.

يا منافق ما يقع هذا بيدك بنفاقك وتصنّعك وأنت ترى ناموسك، ترى قبولك في قلوب الخلق، ترى قُبْلة يدك، أنت مشؤوم على نفسك في الدنيا والآخرة وعلى من تربيه وتأمره باتباعك، أنت مراءٍ دجال نصّاب على أموال الناس، لا جرم لا تكون لك دعوة مجابة، ولا موضع في قلوب الصدّيقين / [٤٣/ب]، قد اضلّك الله على علم، سوف ترى إذا انجلا الغبار أفرس تحتك أم حمار؟ إذا انجلا الغبار ترى رجال الحقّ عزّ وجلّ على الخيول والنجب وأنت على حمار مكسر من ورائهم، تأخذك ذعّار[٨٣] الشياطين والأبالسه. القوم يصلون إلى حالة لا يبقى لهم فيها دعاءٌ ولا سؤال، لا يسألون في جلب المصالح، ولا في دفع المضار، يصير دعاؤهم بأمر من حيث قلوبهم، تارة لأجلهم وتارة لأجل الخلق، فينطقون بالدعاء وهم في غيبة عنه. اللهم ارزقنا حسن الأدب معك في جميع الأحوال، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

---

(٨٢) إشارة لقوله صلى الله عليه [وآله وصحبه] وسلم: «إذا كان يوم القيامة، قيل للعابد قم فادخل الجنة، ويقال للعالم قم فاشفع».

ذكره الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ج ١/ ١٠٧.

وقد ذكر الغزالي في الإحياء ج ١/ كتاب العلم قوله صلى الله عليه [وآله وصحبه] وسلم: «إذا كان يوم القيامة، يقول الله سبحانه وتعالى للعابدين والمجاهدين: ادخلوا الجنة. فيقول العلماء: بفضل علمنا تعبدوا وجاهدوا، فيقول الله عزّ وجلّ: أنتم عندي كبعض ملائكتي، اشفعوا تشفعوا، فيشفعون ثم يدخلون الجنة».

(٨٣) الذعار: أي الشياطين التي تسبب الذعر لمن تبعهم يوم القيامة.

مجلس

لله عزّ وجلّ خلق من خلقه يحييهم في عافية، ويميتهم في عافية، ويحشرهم يوم القيامة في عافية، وهم أهل الرضا بالقضاء / المطمئنين إلى وعده الخائفين من [٤٤/أ] وعيده، اللهم اجعلنا منهم آمين.

القوم يواصلون الضياء بالظلام في عبادة الحقّ عزّ وجلّ وهم على قدم الخوف والحذر، يخافون من سوء العاقبة، جهلوا علم الله عزّ وجلّ فيهم وعاقبة أمرهم؛ فواصلوا الضياء بالظلام حزناً وكآبة، وبكاءاً مع دوام الصلاة والصيام والحج وجميع الطاعات، ذكروا ربّهم عزّ وجلّ بقلوبهم وألسنتهم، فلما وصلوا إلى الآخرة دخلوا الجنة، رأوا وجه الله عزّ وجلّ وكرامته لهم، فحمدوا الله على ذلك وقالوا: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن.

يا غلام إذا أحكمت الإيمان وصلت إلى وادي المعرفة، ثم إلى وادي العلم، ثم إلى وادي الفناء عنك / وعن الخلق، ثم إلى الوجود، لا بك ولا بهم، فحينئذ [٤٤/ب] يزول حزنك، فالحفظ يخدمك، والحمية تحوطك، والتوفيق يُطرِق بين يديك، والملائكة تمشي حولك، والأرواح تأتيك تسلّم عليك، والحقّ عزّ وجلّ يباهي بك الخلق، ونظراته ترعاك وتجذبك إلى دار قربه والأنس به والمناجاة له. يا عصاة توبوا من معاصيكم فإنّ ربّكم عزّ وجلّ غفور رحيم، يقبل التوبة من عباده، يغفر الذنوب ويمحوها. توبوا بقلوبكم وألسنتكم. اللهم إنّنا تائبون إليك من كل ذنب، ومن كل خطيئة. لا نعود إليها، ربّنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذْ هديتنا، يا غفار الذنوب اغفر لنا، يا ستار استر علينا عيوبنا، استغفروه / فإنه يغفر الذنوب، ويشكر القليل من الأعمال، ويثيب عليها بما هو [٤٥/أ]

خير منها؛ لأنّه كريم جواد، يعطي من غير عوض وسبب، فكيف إذا كان بسبب.

عاملوه بالتوحيد والأعمال الصالحة، وترك الدنيا والإعراض عنها، وأخذ الآخرة والإقبال عليها والرغبة فيها، وترك المعاصي والزلات وهجْرها.

المريد للحقّ عزّ وجلّ لا يريد جنّته ولا يخاف من ناره بل يريد وجهه فحسب، يرجو قربه منه، ويخاف من بُعْدِه عنه. أنت أسير الشيطان والهوى والنفس والدنيا والشهوات، وما[84] عندك خير، في رجل قلبك قيد، وما عندك خير. اللهم خلصه من أسره وخلصنا، وألبسنا خلعة من أسرارك. آمين.

[٤٥/ب] عليكم بحفظ الصلوات الخمس في مواقيتها، وحِفْظ حدود الشرع / جميعها. إذا أديتم الفرض فانتقلوا إلى النفل، عليكم بالعزيمة والإعراض عن الرخصة. من لزم الرخصة وترك العزيمة خِيْف عليه من هلاك دينه. العزيمة للرّجال؛ لأنّها ركوب الأخطر والأشق، والأمر والرخصة للصبيان والنسوان لأنّها الأسهل.

يا غلام عليك بالصف الأوّل؛ فإنّهُ صف الرجال الشجعان، وفارق الصف الأخير؛ فإنّه صف الجبناء[85]، استخدم هذه النفس وعوّدها العزيمة؛ فإنَّها ما حمَّلتها تتحمل، لا ترفع العصا عنها فإنها تنام، وتلقي الأحمال عنها، لا تُرِها بياض أسنانك وبياض عينيك، هي عبْد سوء لا تعمل الأشغال إلا بالعصا، لا تشبعها إذا عملت إن الشبع ليطغيها، وإنها تعمل في مقابلة شبعها. كان سفيان [٤٦/أ] الثوري / ـ رحمة الله عليه ـ كثير الطاعة، كثير الشبع، فكان يتمثل إذا شبع: (أشبع الزنجي وكدّه إنما الزنجي حمار)[86]. ثم يقوم إلى العبادة، فيأخذ منها حظاً

---

(٨٤) ما: حرف نفي.

(٨٥) في (أ) و(ب): الأجبان.

(٨٦) إشارة لما رواه الطبراني في المعجم الكبير، ج، ٢٥ ص، ٨٩ عن أم أيمن قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه [وآله وصحبه] وسلم يقول: «إنّما الأسود لبطنه وفرجه».

وافراً. عن بعضهم أنه قال: (رأيت سفيان الثوري أكل حتى مَقَتُّهُ، ثم صلّى وبكى حتى رحمتُهُ). لا تقْتدِ بسفيان في كثرة أكله، واقْتد به في كثرة عبادته؛ فلست سفياناً، لا تشبع نفسك كما كان يشبعها، فلست تملكها كما كان يملكها.

إذا صحّ القلب صار شجرة، لها أغصان وأوراق وثمار، تصير فيه منافع للخلق: الأنس والجنّ والملك. إذا لم يكن للقلب صحة فهو كقلوب الحيوانات صورة بلا معنى، آنية بلا ماء، شجرة بلا ثمر، قفص بلا طائر، دار بلا ساكن، كنْزٌ مجموع فيه جواهر ودنانير ودراهم بلا منفق، جسد / بلا روح، كالأجساد التي [٤٦/ب] مسخت، فهي صورة بلا معنى. والقلب المعرض عن الله عزّ وجلّ الكافر به ممسوخ؛ ولهذا شبّهه الله عزّ وجلّ بالحجر فقال الله تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَة. . . .﴾ [سورة البقرة ٢/ ٧٤]. لمّا لم يَعْمل بالتوراة بنو إسرائيل مسخ الله عزّ وجلّ قلوبهم حجارة وطردها من بابه. هكذا أنتم يا محمديّين إذا لم تعملوا بالقرآن وتحكّموا أحكامه يمسخ قلوبكم ويطردها من بابه. لا تكونوا ممّن أضلّه الله على علم. إذا تعلمت للخلق عملت للخلق، وإذا تعلّمت لله عزّ وجلّ عملت له. الطاعة عمل الجنة، والمعصية عمل النار، وبعد ذلك الأمر إليه، إن شاء أثاب واحداً منّا بلا عمل، وإن شاء عاقب واحداً مع عمل فذاك إليه، فعّال لما يريد، لا يُسأل عمّا يفعل / وهم يُسألون. [٤٧/أ]

الصديق ينظر بنور الله عزّ وجلّ، لا بنور عينيه ولا بنور الشمس والقمر، هذا نور الله العام، وله نور خاص، أعطاه الله عزّ وجلّ هذا النور بعد أحكام نور العلم الثاني. اللهم ارزقنا حلمك، وعلمك، وقربك، وآتنا في الدنيا حسنة، وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

مجلس

عن النبي صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم أنه قال: «الحياء من الإيمان»(٨٧).

يا عباد الله، ما أوقحكم، وما أجرأكم على ربّكم عزّ وجلّ. الحياء من الخَلْق مع الوقاحة على الخالق هوس، وحقيقة الحياء: أن تستحيوا من ربكم عزّ وجلّ في جلواتكم وخلواتكم، ويكون الحياء من الخلق تبعاً، لا أصلاً. المؤمن يستحي من الخالق، والمنافق يستحي من الخلق، لا بارك الله فيكم يا منافقين ما أكثركم، كل شغلكم عمارة / ما بينكم وبين الخلق، وتخريب ما بينكم وبين الحق. [٤٧/ب] إذا عاديتموني فقد عاديتم الله ورسوله؛ لأنّي قائم بنصرتهما. لا تتعبوا فإنّ الله غالب على أمره.

اجتهد إخوة يوسف عليه السلام على قتله فما قدروا. كيف كانوا يقدرون وهو مَلِكٌ عند الله، نبيّ من أنبيائه، وصدّيق من أصفيائه. وقد سبق علمه أن يُجْريَ مصالح الخلق على يده، وهكذا اليهود، راموا أن يقتلوا عيسى بن مريم عليهما السّلام؛ لأنّهم حسدوه لمّا ظهرت الآيات والمعجزات على يده. فأوحى الله عزّ وجلّ إليه أنِ اخرج من بلادهم إلى مصر فخرج وهو ابن ثلاث عشرة سنة، أخذه قُرابَةٌ له وهرب به، فقوي أمره وانتشر ذكره في تلك البلاد، فاجتمعوا على

---

(٨٧) رواه البخاري في كتاب الإيمان «باب الحياء من الإيمان»، ٦٩، كما رواه مسلم في «الإيمان»، ٣٦، «باب بيان عدد شعب الإيمان»، كما رواه مالك في الموطأ في «حسن الخلق»، باب «ما جاء في الحياء»، ٩٠٥.

أنْ يهلكوه فما قدروا وكان / الله غالباً على أمره. وهكذا يا منافقي هذا الزمان، [٤٨/أ] تريدون أن تهلكوني، لا كرامة لكم، أيديكم تقصّر عن ذلك، تكلّفوا في فعل الطاعات، وترك المعاصي والمنكرات، وقد صار التكلّف طبعاً. تفقّهوا كلام ربكم عزّ وجلّ، واعملوا به وأخلصوا في أعمالكم. ربّنا عزّ وجلّ متكلم بكلام مسموع مفهوم، سمع كلامه في الدنيا موسى عليه السلام، ونبيّنا محمّد صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم. وفي الآخرة يسمع كلامه المؤمنون من خلقه. ربنا يُرى، نراه غداً في القيامة كما نرى الشمس والقمر اليوم، لا نشك فيه غداً.

لله عزّ وجلّ عباد يبيعون الجنّة بما فيها بنظرة إليه. إذا علم صدْق نياتهم في ذلك، وأنهم باعوها بنظرة واحدة أدام لهم النظرات، أدام لهم / القرب، عوّضهم [٤٨/ب] بقربه عن لذّات الجنّة.

يا جهّال بالله عزّ وجلّ ورسله ورجاله، ويحكم تقدّموا بأقدام قلوبكم خطوة إلى طعام فضّل الله عزّ وجلّ. أما ترون كيف أتْركه بين أيديكم، من كذبني منكم كذّبته ثيابه وداره وملائكته الذين حوله. ما أبالي بتكذيبك يا منافق يا دجّال.

يا غلام: أنت نفس وطبْع وهوى، تقعد مع النسوان الأجانب والصّبيان ثم تقول: لا أبالي بهم، كذبْتَ، لا يُوافقك الشرع ولا العقل، تضيف ناراً إلى نار، حطباً إلى حطب، فلا جرم تشْتعل دار دينك وإيمانك. إنكار الشرع بهذا عامّ لم يستثنِ فيه أحداً.

حصّل الإيمان والمعرفة بالله عزّ وجلّ وقوة القرب، ثم افتح[٨٨]طبيباً للخلق نيابة عن الحقّ عزّ وجلّ / ويْلَك كيف تمسك الحيّات وتقلبهم وأنت ما تعرف [٤٩/أ] صنعة الحوّاس[٨٩] ولا أكلت الترياق؟!. [أنت] أعمى، كيف تداوي أعين

---

(٨٨) افتح: بمعنى كن.

(٨٩) الحوّاس: الجريء الذي لا يخيفه ولا يردّه شيء.

الناس؟! أخرس كيف تعلم الناس؟ جاهل كيف تقيم الدّين؟! مَنْ ليس بحاجب كيف يقدم الناس إلى باب الملِك؟! لا كلام حتّى يأتي يوم القيامة وترون[٩٠] العجائب. أخلصوا في أعمالكم وإلاّ فلا تتعبوا[٩١]. إذا قُطِعَتْ العَلَق[٩٢]، وغُلّقت الأبواب والجهات انفتحت لك جهة الحقّ عزّ وجلّ وقربه، وتهيّأت لك الطريق إليه، وأتاك أرفع الأشياء وأسناها وأحسنها.

هذه الدنيا فانية ذاهبة متلاشية، هي دار الآفات والبلاء والغموم، ما يصفو لأحد فيها عيش لا سيّما إذا كان حكيماً، كما قيل لا تَقَرّ فيها عين حكيم ذاكرٍ / للموت. من كان السبع بحذائه فاتحاً فمه قريباً إليه، كيف يستقرّ قراره [٤٩/ب] وتنام عيناه. يا غافلين القبر فاتح فمه، سبع الموت وثعبانه فاتحان فاهُما، سيّاف سلطان القدر بيده السيف وهو منتظر الأمر، من كلّ ألف ألف واحد يكون على هذه الحالة مستيقظاً بلا غفلة. المستيقظ زاهد في كلّ شيء، يقول: إلهي إنك تعلم ما أريد، هذه الأطْباق قد آثرْت بها خلقك، أريد لقمة من طبق قربك؛ أريد من شيء يخصّك. يا مشركاً بسببه، لو ذقت الأكل بالتوكل لما أشركت بالسّبب، ولقعدْتَ على بابه متوكلاً عليه واثقاً به.

ما أعرف الأكل إلا من شيئين: إمّا بالكسب مع ملازمة الشرع أو بالتوكل.

[٥٠/أ] ويلك ألا تستحي من الله عزّ وجلّ، تترك / كسبك وتكدي[٩٣] من الناس؟ الكسب بداية والتوكل نهاية، فما أرى لك بداية ولا نهاية. إني أقول لك الحقّ ولا أستحي منك، إسمع واقْبَل ولا تنازع، منازعتي منازعة الحقّ عزّ وجلّ.

---

(٩٠) في (أ): لا ترون.

(٩١) في (أ): فلا تدعوا.

(٩٢) العلق: كل ما تتعلق به محبّة.

(٩٣) أكدي: ألحّ في المسألة.

حافظوا على الصلوات؛ فإنها صلة بينكم وبين ربّكم عزّ وجلّ. عن النبيّ صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم أنّه قال: «إذا دخل المؤمن في الصلاة، وحَضَرَ قلبه بين يدي ربّه عزّ وجلّ ضُرِب حوله سرادقات النور، وتقف الملائكة حوله، وينزل البرّ عليه من السماء، ويباهي به الحقّ عزّ وجلّ»[٩٤].

من المصلّين من تقيّض[٩٥] قلبه إلى الحقّ عزّ وجلّ ـ كما تقيّض[٩٦] الطائر من القفص، وكما تقيض الطفل من يد[٩٧] الأم ـ يؤخذ عن مألوفه من معلومه ومسكونه يغيّب عنه، فلو قطّع ومزّق ما عَلِم. حكي عن بعض هؤلاء / السادة [٥٠/ب] وكان من تابعي صحابة رسول الله صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم، وهو عروة بن الزبير بن العوام بن أخت عائشة رضي الله عنها وعن أبيها أنّه وقع في رجله الآكِلَة[٩٨]، قيل له: لا بد من قطعها وإلاّ هلك جميع جسدك، فقال للطبيب: إذا دخلْتُ في الصلاة فاقطعها، فقطعها وشدّها وهو في السجود ولم يحس بألمها[١]. أنتم هوس بالإضافة إلى من تقدّم. أنتم قول بلا عمل، وصورة بلا

---

(٩٤) قال الغزالي في الإحياء ١/ ١٧٠: (ففي الخبر «إن العبد إذا قام في الصلاة رفع الله سبحانه وتعالى الحجاب بينه وبين عبده، وواجهه بوجه، وقامت الملائكة من لدن منكبيه إلى الهواء، يصلون بصلاته، ويؤمّنون على دعائه، وإنّ المصلّي ليُنثر عليه البرّ من عنان السماء إلى مفرق رأسه، وينادي مناد في السماء لو علم هذا المناجي من يناجي ما التفت، وإن أبواب السماء تُفتح للمصلّين، وإنّ الله عزّ وجلّ يباهي ملائكته بعبده المصلّي». ولم يخرجه العراقي.

(٩٥) قاض يقيضه إذا عاضه، والقيض: العِوَض، وتقيض قلبه أبدل إلى الحق عزّ وجلّ.

(٩٦) تقيض الطائر إذا شق البيض.

(٩٧) تقيض الطفل من يد الأم إذا استبدل المشي بيد الأم.

(٩٨) الآكلة: وتسمّى الشأفة: وهي قرحة تخرج في القدم أو في أسفله.

(١) أنظر سير أعلام النبلاء للذهبي، ٤/ ٤٢٩ ـ ٤٥٠ . والحلية ٢/ ١٧٩ . وابن عساكر في تاريخ دمشق ١١/ ٢٨٦ .

معنى، منتظر بلا مُخْبر. ويحك لا تغرك مقالات الناس، أنت تعرف ما أنت فيه وعليه. قالّ الله تعالى: ﴿بل الإنسان على نفسه بصيره﴾ [سورة القيامة ٧٥/١٤].
ما أحسنك عند العوام وما أقبحك عند الخواص. قال بعض المشايخ لأصحابه: (إذا ظُلِمْتُم فلا تظلموا، وإذا حُمِدْتُم فلا تفرحوا، وإذا ذممتم فلا تحزنوا، وإذا [٥١/أ] كُذّبتم فلا تغضبوا، وإذا خونتم فلا تخونوا). ما أحسن هذا الكلام، أَمَرَهُم بذبح النفوس والأهوية، هذا مشتق من قول النبي صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم: جاءني جبريل عليه السلام فقال لي: الحقّ عزّ وجلّ يقول لك: أُعْفُ عمْن ظلمك، وصل من قطعك، وأعط من حرمك، وتفكر في آلاء الله تعالى وصنعته وتصاريفه في خلقه»[٢]. إذا زهدت في الدنيا وتحقق زهدك فيها أتتك في المنام في صورة امرأة، وتتواضع لك، وتقول: أنا خادمة لك، ولك عندي ودائع، خذها من عندي، تُعَدِّد أقسامك عليك قليلها وكثيرها. وإذا قويت معرفتك أتتك وأنت [٥١/ب] في اليقظة. والأنبياء عليهم السلام أول أحوالهم إلهام، وثاني / حالهم منام. وإذا قويت أحوالهم جاءهم الملك ظاهراً، يقول لهم: الحقّ عزّ وجلّ يقول لكم كذا وكذا.

كن عاقلاً، دع عنك رياستك وتعال اقعد هاهنا كواحد من الجماعة حتى ينزرع كلامي في أرض قلبك. لو كان لك عقل لقعدْت في صحبتي، وقنعت مني كل يوم بلقمة، وصبرْتَ على خشونة كلامي. كل من كان له إيمان يثبت وينبت، ومن ليس له إيمان يهرب مني. ويلك يا من يدعي الإطلاع على حالة غيره، كيف نصدّقك وأنت ما اطلعت على حالة نفسك؟! كلك كذب، فتب من كذبك. اللهم ارزقنا الصّدق في جميع الأحوال، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

(٢) لم نجده بهذا اللفظ، ويشهد له ما رواه أحمد في المسند، مسند الشاميين، ١٧٤٥٧، عن عقبة بن عامر قال: لقيت رسول الله صلى الله عليه [وآله وصحبه] وسلم فقال لي: «يا عقبة بن عامر، صل من قطعك وأعط من حرمك واعف عمّن ظلمك».

مجلس

يا غلام: دع النفس للدنيا والقلب للأخرى، / والسرّ للمولى. لا تطمئن إلى [٥٢/أ] الدنيا، هي حية مزيّنة، تدعو الناس بزينتها ثم تهلكهم. أعرض عنها إعراضاً خالصاً، أخلص في طاعة الله عزّ وجلّ، وفي صحبة إخوانك الصالحين وفي خدمتهم، وفي الإعراض عن الشهوات، وحّد الحقّ عزّ وجلّ، حتى لا يبقى في قلبك من جميع الخلق ذرة لا ترى داراً ولا دياراً. التوحيد يقتل الكل، كل الدواء في التوحيد للحقّ عزّ وجلّ، وفي الإعراض عن محبّة الدنيا لا خير فيك حتى تعرف نفسك وتمنعها حظها، وتعطيها حقّها فحينئذٍ تطمئن إلى القلب، ويطمئن القلب إلى السرّ، ويطمئن السرّ إلى الحقّ عزّ وجلّ. لا ترفعوا عصا المجاهدة عن أنفسكم. لا تغتروا بدواهيها، ولا تغتروا بتناومها عنكم، لا تغتروا بنوم السبع عنكم /؛ فإنّه يريكم أنه نائم وهو منتظر لفريسة يفترسها. احذروه وهو نائم كما [٥٢/ب] تحذروه وهو منتبه، كونوا على حذر من نفوسكم، لا تضعوا السّلاح عن أعناق قلوبكم. هذه النفس تُظْهر الطمأنينة والذلّ والتواضع والموافقة في الخير وهي تُبْطن خلاف ذلك. كن على حذر مما يتم منها بعد ذلك. أكثروا من الحزن، وأقلّوا من الفرح؛ فإنّ هذا الأمر مبني على الحزن والكآبة، وهكذا كان الأنبياء والمرسلون والصالحون الذين تقدموا. كان نبيّنا محمد صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم طويل الحزن، دائم التفكر، لا يضحك إلا تبسماً، ولا ينبسط إلا تكلّفاً. العاقل منكم لا يفرح بالدنيا ولا بالأولاد والأهل والمال والمأكولات والملابس والمراكب والمناكح، كل هذا هوس، فرح المؤمن / بقوة إيمانه ويقينه ووصول قلبه إلى باب [٥٣/أ] قرب ربّه عزّ وجلّ. افتح عين نفسك وقل لها انظري إلى ربّك[٣] عزّ وجلّ كيف

---

(٣) في (أ): انظري إلى باب ربك.

ينظر إليك. انظري كيف أهلك من كان قبلك من الأغنياء والملوك. اذكري مصارع من تقدّم، الذين ملكوا هذه الدنيا وتمتعوا بنعيمها، ثم سلبت من أيديهم وسلبوا منها، وهم الآن مأسورون في سجن العذاب، قصورهم خاوية، وبيوتهم خربة، وأموالهم ذاهبة، وأعمالهم باقية، ذهبت الشهوات وبقيت التبعات. لا تفرح ما نحن في وقت الفرح، ولا يعجبك حسن وجه زوجتك وولدك ودارك وكثرة مالك. لا تفرح بما لم يفرح به من تقدّم من الأنبياء والمرسلين والصالحين.
[٥٣/ب] قال عزّ من قائل: ﴿إنّ / الله لا يحب الفرحين﴾ [سورة القصص ٢٨/٧٦] أي بالدنيا وأهلها وبما سواه، ويحبّ الفرحين به وبقربه، وسوسة[٤] القوم وتفكرهم فيما يريدون أن يكون من أمور الآخرة، لا في الشهوات واللذات والترهات. يا مهوس، ما عندك خير مما يريد أن يكون منك. يا غافلين، في الآخرة عذاب شديد لمن لم يعمل بطاعة الله عزّ وجلّ. إذا استقام قلب العبد، ودَّعَ الكلَّ، وتركه وراء ظهر قلبه، يهون عليه هلاك الدنيا لملك الآخرة، يُقْدِم على النار والسباع، ويخالط الوحوش ويهرب من الخلق، يسلّم نفسه إلى عطش البراري وجوعها وهلاكها، ويقول: يا دليل الحيارى دلّني إليك. اللهم اجعل الهمّ همّاً واحداً، وهذا لا يتم إلا بعد الزهد في الحرام، ثم الزهد في المباح، ثم الزهد في الحلال [٥٤/أ] المطلق. / اجتهد أن تمسي وتصبح وليس في قلبك ذرّة من الخلق. إني أراك مليئاً بالشهوات واللذات، والخلق، والدنيا، والاعتماد على الأسباب، فَلِمَ تتكلم في أحوال الصالحين وتَدَّعيها حالاً لك؟! تخبرنا بحال غيرك وتنفق علينا من كيس غيرك! تطالع الدفاتر وتستخرج منها كلامهم وتتكلم به وتوهم السّامعين أنّ هذا من خاطرك وقوة حالك ونطْق قلبك؟. ويلك: اعمل بما قالوا أولاً، ثم تكلم به يكون كلامك فرخَ عملك، وثمرة شجرة عملك. ما يجيء هذا الأمر بمجرد رؤية الصالحين والتحفظ لكلامهم؛ بل بالعمل بما يقولون وحسن الأدب في صحبتهم،

---

(٤) السوس: الطبع والخلق والسجية.

وحسن الظّنّ فيهم، والملازمة لذلك في جميع الأحوال. العامي يثاب على قدر خطواته / بقدميه، والخاص يثاب على قدر همته، من صارت همومه همّا واحداً كان [٥٤/ب] الحقّ عزّ وجلّ له واحداً. إذا ولّى بقلبه عن غيره ولّاه. قال عزَّ من قائل في محكم كتابه: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [سورة الأعراف ١٩٦/٧]. إذا اتصل قلب هذا العبد بربّه عزّ وجلّ صار هو طبيبه وأنيسه، لا يطبّه غيره، ولا يؤنسه غيره. كان داوود عليه السلام يقول: (يا إلهي قد أتيت أطباء عبادك فكلهم عليك دلوني، يا دليل الحيارى دلني). من أحبّ الله عزّ وجلّ صار قلبه شوقاً كلياً، إعراضاً كلياً، فناء كلياً، لا جرم تصير همومه همّاً واحداً.

حقيقة الكشف لا يتم إلا بعد الخروج من الحجب. إن أردت الوصول فاترك / الدنيا والآخرة وما تحت العرش إلى الثرى. كل المخلوقين حجاب [٥٥/أ] العرش[٥] سوى الرسول صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم؛ فإنه هو الباب، قال الله عزّ وجلّ في حقه: ﴿.... وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا ...﴾ [سورة الحشر ٧/٥٩] اتّباعه ليس بحجاب بل هو سبب الوصول.

يا غلام: متى يفقه قلبك، ويصفو سرّك. أنت مشرك بالخلق، كيف تفلح وقلبك فارغ من التقوى ما فيه ذرة منه، وأنت في كل ليلة تعين على من تمضي إليه، وتشكو إليه، وتكدي منه. كيف يصفو قلبك وهو فارغ من التوحيد.

التوحيد نور، والشرك بالخلق ظلمة، وأنت محجوب عن الخالق بالخلق، محجوب بالأسباب عن المسبب، محجوب بالتوكل على الخلق، والثقة بهم. أنت دعوى مجردة تافة، ما يقبل منك ما تعطي بالدعوى / من غير بيّنة، هذا الأمر إنما [٥٥/ب] يصلح بوجهين اثنين:

الأول: هو المجاهدة والمكابدة وحمل الأشق والأتعب وهو الغالب المعروف بين الصالحين.

---

(٥) نقص من (أ).

والثاني: موهبة من غير تعب، وهو نادر لآحاد الخلق.

يا غلام: عليك بخويصة نفسك عند ضعف إيمانك، وما عليك من أهلك وجارك وأهل بلدك وإقليمك، فإذا قوي إيمانك فابرز إلى أهلك وولدك ثم إلى الخلق.

لا تبرز إليهم إلا أنْ تتدرع بدرع التقوى، وتترك على رأس قلبك خوذة الإيمان، وبيده سيف التوحيد، وفي جَعْبتك[6] سهام إجابة الدعوى، وتركب حصان التوفيق، وتتعلم الكرّ والفرّ والضرب والطعان، ثم تحمل على أعداء الخالق فحينئذ تجيئك النصرة والمعونة من الجهات الست: يميناً وشمالاً وفوقاً / [٥٦/أ] وتحتاً وأماماً ووراء، وتأخذ الخلق من أيدي الشياطين وتحملهم إلى باب الحقّ عزّ وجلّ. مَنْ وصل إلى هذا المقام كُشفت الحجب عن عين قلبه، كيف التفت من الجهات الست، أحرق نظره الحجب[7]، ولم يحجب عنه، يرفع رأس قلبه فيرى العرش والسموات، وإذا أطرق رأى أطباق الأرض وساكنيها من الجنّ، إذا وصلت إلى هذا المقام فادْع الخلق إلى باب الحقّ عزّ وجلّ، وقبل هذا لا يجيء منك شيء، إذا دعوت الخلق ولست على باب الحقّ عزّ وجلّ كان دعاؤك لهم وبالاً عليك كلما تحركت نزلت، كلما طلبت الرفعة اتضعت. ما عندك من الصالحين خبر، أنت لقلقه. أنت لسان بلا جَنان. أنت ظاهر بلا باطن. جلوة بلا خلوة. جولة بلا صولة. سيفك من خشب، سهامك من كبريت / [٥٦/ب] أنت جبان لا شجاعة لك. أدْنى سهم يقتلك. بَقة[8] تقيم عليك قيامتك. اللهم قوِّ أدياننا وإيماننا وأبداننا بقربك، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار. اهـ.

---

(٦) الجَعْبَة: بالفتح كنانة النُّشّاب، ج جِعَاب، وقد فرّق بعض اللغويين الفقهاء في اللّسان فقالوا: الجَعْبة للنّشاب، والكنانة للنَّبل. انظر تاج العروس ج ٢/ ١٦٣، أساس البلاغة ٩٤.

(٧) نقص من (أ). (٨) نقص من (أ).

مجلس

العبد إذا فني عن نفسه وهواه وإرادته وعن الخلق صار في الآخرة بمعناه، وفي الدنيا بصورته. يصير في علم الله عزّ وجلّ وفي قبضته سابحاً في بحر قدرته. فإذا اشتد خوف هذا الخائف وأشرف قلبه على التقطع من الخوف قرّبه الحقّ عزّ وجلّ وعرّفه نفسه، وبشّره وسكّن رَوْعه كما فعل يوسف عليه السلام بأخيه بنيامين(٩)، نظر إليهم مجتمعين ورآه وحده متميزاً منهم، فزادت رأفته له، أجلسهم يأكلون موضعاً واحداً وأقعده إلى جنبه وأكل معه(١٠) / فلما فرغوا من الأكل سارّه سرّاً [٥٧/أ] وقال له: إني أخوك يوسف، ففرح، ثم قال له: أريد أن أُسَرِّقَك وأتّهمك فاصبر على البليّة، فعجب إخوته مما جرى له معه(١١)، وحسدوه كما حسدوا يوسف عليه السلام من قبل، فلما أظهر سرِقَته وعيبه جاءت كرامته وقرّبه منه.

هكذا المؤمن إذا ولاه الله عزّ وجلّ امتحنه بالبلايا والآفات، فإذا صبر عليها ميزه بالكرامة والقربة.

---

(٩) ورد في هامش المخطوط هذا التفسير لاسم بنيامين: (قيل إن راحيل أم بنيامين، ماتت بولادة بنيامين؛ ولذلك بنيامين لأن اليامين وجع الولادة). ا.هـ.

(١٠) ورد في الحاشية: (في مجلس واحد وسماط عديده [أي صفوف عديده] لأنهم جلسوا للأكل ثنايا ثنايا وبقي بنيامين واحدا فأكل معه يوسف عليه السلام مشتركاً.) بينما ذكر عبد الوهاب نجار في كتابه قصص الأنبياء (أن يوسف لم يشترك معهم في الطعام لأن المصريين يعتبرون الأكل مع العبرانيين نجاسة، وسبب ذلك لئلا ينتقد المصريون عليه). انظر قصص الأنبياء ص ١٣٤ دار إحياء التراث العربي.

(١١) أي من أكل يوسف مع أخيه كما ورد في قصص الأنبياء أو من عناية يوسف بطعام أخيه زيادة عنهم.

يا غلام: تسابغ[١٢] عند مجيء الأمر، وتمارض عند مجيء النهي وغب واسكت عند مجيء الآفات والأقدار[١٣]، كن كأنّك ميت فيما يرجع إلى جَلْب النفع إليك ودفع الضرر عنك. المحبّ يسمع ويبصر بالإضافة[١٤] إلى الحقّ عزّ وجلّ وهو أعمى وأصم بالإضافة إلى الخلق. قد أحاطه الشوق على / حواسه [٥٧/ب] الخمس، قالبه مع الخلق ومعناه مع الخالق، كائن بائن[١٥]: على الأرض أقدامه وفي السماء همته، وفي قلبه همومه والخلق لا يشعرون بذلك، يرون أقدامه ولا يرون همّته وهمومه؛ لأنهما في خزانة القلب التي هي خزانة الحقّ عزّ وجلّ. أين أنت من هذا يا كذّاب؟! أنت قائم مع مالك وولدك وجاهك وبشركك بالخلق والأسباب وأنت تدعي قرب الحقّ عزّ وجلّ! الكذب ظلم؛ لأنّ حقيقة الظلم وضع الشيء في غير موضعه، تُب من كذبك قبل أن يعود عليك شؤم كذبك. إصحب القوم فإن من صفاتهم أنّهم إذا نظروا إلى شخص وجعلوا همتهم إليه أحبوه، وإن كان ذلك المنظور إليه يهودياً أو نصرانياً أو مجوسياً؛ / فإن كان مسلماً زاد إيمانه ويقينه وثباته، [٥٨/أ] وإن كان غير ذلك شرح الله صدره للإسلام. يا غافلين عن الحقّ عزّ وجلّ وعن الصّالحين من عباده، الأموال والأولاد لا تقرّبك إلى الحقّ عزّ وجلّ، وإنّما يقربكم إليه التقوى والعمل الصّالح. الكفار كانوا يتقربون إلى الشياطين[١٦] والملوك بأموالهم وأولادهم ثم قالوا: إنْ أراد الله عزّ وجلّ يوم القيامة نتقرّب إليه بأموالنا وأولادنا فَعَلْنا فأنزل الله عزّ وجلّ ﴿وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحاً فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في

---

(١٢) شيء سابغ أي كامل واف. انظر التاج مادة سبغ.

(١٣) نقص من (أ).

(١٤) أي إذا أمره الله سبحانه وتعالى سمع وأبصر وعمل.

(١٥) أي بمعنى ظاهر.

(١٦) في (أ) السلاطين.

الغرفات آمنون﴾ [سورة سبأ ٣٤/٣٧]. إذا تقربتم إلى الحقّ عزّ وجلّ بأموالكم وأنتم في الدنيا نَفَعكم ذلك، وإذا علَّمتم أولادكم الخط والقرآن والعبادة، وقصدتم / التقرّب إلى الله عزّ وجلّ نفعكم ذلك، تجدون ثواب ذلك بعد موتكم. [٥٨/ب] قد أخبركم أن جميع ما أنتم فيه لا ينفع، وإنما ينفع الإيمان والعمل الصّالح والصدق والتصديق، ما يزال هذا المؤمن العارف الصالح يُرْضي الرسول بالعمل معه حتى يستأذن لقلبه على ربّه عزّ وجلّ، يكون كالغلام بين يديه، فإذا طالت خدمته قال: يا أستاذ أرني باب الملك، اشغلني معه، أوقفني موضعاً أراه، أترك يديّ من حلقه باب قربه، فأخذه معه وقرّبه من الباب. قيل له: يا محمد ما معك؟ يا سفيراً، يا دليلاً، يا معلماً، فيقول: إنك تعلم. فُريخ قد ربّيته ورضيته لخدمة هذا الباب، ثم يقول لقلبه: ها أنت وربك، كما قال جبريل عليه السلام / له لمّا [٥٩/أ] رقى به إلى السماء، ودنا من ربّه عزّ وجلّ، ها أنت وربّك عزّ وجلّ.

يا غلام: هاتِ العمل الصالح وخذ قرب من ربِّ العالمين، أمّا أهل الجنّة؛ فهم في الغرفات آمنون من آفات الدنيا، ومن الصبر على الفقر، ومؤنة العيال والأمراض والأسقام، والغموم والهموم، آمنون من الموت، ومن شرب كأسه مرة أخرى، ومن مسائلة منكر ونكير، يدخلون إلى الجنّة وتغلق الأبواب خلفهم، فلا خروج لهم منها أبد الآباد.

راحة أهل الجنة في دخولهم إليها، وأما المحبون فلا راحة لقلوبهم ولو دخلوا ألف ألف جنة حتى يروا محبوبهم، ما يريدون مخلوقاً وإنما يريدون خالقاً، ما يريدون النعيم إنما يريدون المُنْعم، يريدون الأصل لا الفرع، هم نزاع / [٥٩/ب] العشائر[١٧]، مفردوا الملك، ضاقت أرض قلوبهم بما رحبت. عندهم شغل شاغل

---

(١٧) هو الذي نزع عن أهله وعشيرته: أي بَعُدَ وغاب، وقد ورد في الحديث الشريف الذي رواه ابن ماجه، كتاب الفتن، باب بدء الإسلام غريبا، ٣٩٨٨: «طوبى للغرباء»، قيل: مَنْ هم يا رسول الله، قال: «النزّاع من القبائل». أي طوبى للمهاجرين الذين

عن الخلق. إذا رأت قلوبهم الجنة يقظة أو مناماً لا يعيرونها طرفاً، ينظرون إليها كما ينظرون إلى السباع والقيود والحبوس، يقولون: كلها بما فيها حجب، وَهَمّ وعذاب، يهربون منها كما يهرب الخلق من السباع والقيود والسجون.

يا غلام: قصّر أَمَلَك، وقلِّل حرصك، صلِّ صلاة مودِّع، أحضر عندي حضور مودّع؛ فإن جاءك القدر بحضور يوم آخر فذاك من غير حسابك. لا ينبغي للمؤمن أن ينام إلا ووصيته مكتوبة عند رأسه فإن أيقظه الحق عزّ وجلّ في عافية كان مباركاً، وإلا فيجد أهله وصيّته فيعملون بها بعد موته ويترحمون عليه، يكون أَكْلُكَ أكل مودع، وقعودك / بين أهلك قعود مودّع، ولقاءك لإخوانك وأصدقائك [٦٠/أ] لقاء مودع، كيف لا يكون كذلك مَنْ أَمْره في يد غيره؟ إنما آحاد أفراد من الخلق يطّلعون على ما يكون لهم ومنهم، وأي وقت يموتون، وهو مخزون في قلوبهم، يرون ذلك عياناً كما ترون أنتم هذه الشمس، لا تعبّر عنه ألسنتهم، أوّل ما يطّلع على ذلك السِّرّ، ويُطْلِعُ السرُّ القلبَ، ويطلع القلب النفس المطمئنة وتُسْتَكْتَم(١٨) ذلك، وتطلع على هذا الأمر بعد تأدّبها، وخدمتها للقلب، وقيامها معه، تُؤَهَّلُ لذلك بعد المجاهدات والمكابدات من وصل إلى هذا المقام فهو نائب الحقّ عزّ وجلّ في الأرض، وخليفته فيها، هو باب الأسرار عنده مفاتيح خزائن القلوب التي هي خزائن الحقّ عزّ وجلّ، هذا الشيء من / وراء معقول الخلق، جميع [٦٠/ب] ما يظهر منه، هو ذرة من جبله وقطرة من بحره، ومصباح من شمسه. اللهم إني أعتذر إليك من الكلام في هذه الأسرار وأنت تعلم أني مغلوب. قد قال بعضهم: إيّاك وما تعتذر منه ولكني إذا صعدت إلى هذا الكرسيّ أغيّب عنكم، فلا يبقى

هجروا أوطانهم وكل ما نهاهم الله سبحانه وتعالى، وأتمروا بأمره. وقيل نزاع القبائل: غرباؤهم الذين يجاورون قبائل ليسوا منها، ويروى: قيل يا رسول الله من الغرباء؟ قال: «الذين يصلحون ما أفسد الناس».

(١٨) في (أ): تستكنهم.

بحذاء قلبي من أعتذر إليه وأتحفظ منه. هذا القلب إذا صحّ وثبتت أقدامه على باب الحق عزّ وجلّ، وقع في تيه التكوين، وفي واديه وفي بحره، يكون تارة بكلامه، وتارة بهمته، وتارة بنظره، يصير فعل الله عزّ وجلّ، وينعزل. هو يفنى وهو يبقى. القليل منكم من يؤمن بهذا، والأكثر منكم من يكذّب به، الإيمان بهذا ولاية، والعمل به نهاية. ما يجحد أحوال الصالحين إلا دجّال منافق راكب هواه / [٦١/أ] هذا الأمر مبني على الاعتقاد الصحيح، ثم العمل بظاهر الحكم يورث المعرفة بالله عزّ وجلّ والعلم به. يصير الحكم بينه وبين الخلق، والعلم بينه وبين ربه عزّ وجلّ، تصير أعماله الظاهرة ذرة بالإضافة إلى جبل أعماله الباطنة، تسكن جوارحه، وقلبه لا يسكن، عينا رأسه تنام وعينا قلبه لا تنام، يعمل قلبه ولا يفتر ويذكر وهو نائم. متى تعرفون الدنيا فتتركوها وتكونون مطلقين لها؟!. متى تتركون الحسد لإخوانكم والتمنّي لما في أيديهم. ويلك تحسد أخاك المسلم على زوجته وولده وداره وما في يده من الدنيا، وذلك شيء مخلوق له ليس لك فيه حظّ. تتمنّى زوجته وهي مخلوقة له دنيا وأخرى! تتمنى سعة الرزق وقد سبق القلم بضيقه، فأنت معاقب! / وممقوت؛ لأنّك تطلب مالم يُقْسم لك! كم تسعى في طلب الدنيا [٦١/ب] وتحرص وليس لك منها إلا ما قد قسم لك.

اللهم أيقظ قلوبنا من غفلاتها، أيقظنا لكِ، وأوقفنا في خدمتك، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار. اهـ.

مجلس

عن النبي صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم، قال: «استعينوا على كل حال وصنعته بصالحي أهلها[١٩]». هذه العبادة صنعة، وصالحوا أهلها مخلصون في الأعمال، العالمون بالحكم والعاملون به، المودّعون للخلق بعد معرفتهم به، الهاربون من أنفسهم وأموالهم وأولادهم وجميع ما سوى ربّهم عزّ وجلّ بأقدام قلوبهم وأسرارهم. مبانيهم في العمران بين الخلق وقلوبهم في البراري والقفار، [٦٢/أ] لا يزالون على ذلك / حتى تتربّى قلوبهم، وتقوى أجنحتها، فتطير إلى السماء هممهم، وطارت قلوبهم وصارت عند الحقّ عزّ وجلّ، فصاروا من الذين قال الله في حقهم: ﴿وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفِينَ الأَخْيَارِ﴾ [سورة ص ٣٨/٤٧] ولا يزال المؤمن يخاف حتى يعطى سرّه كتاب الأمان فينجو[٢٠] به عن قلبه ولا يطلعه عليه، وهذا لآحاد أفراد من المؤمنين. هو شيء من وراء أمور الخلق.

ويحك يا مشرك بالخلق كم تدقّ أبواباً ليس من ورائها ديّار؟! كم تدقّ على حديدة باردة بلا نار، لا عقل لك، لا فكر لك، لا تدبير لك، ويحك، أدْن مني وكُلْ من طعامي لقمة، لو ذقت طعامي زهدت في طعام غيري، لو ذقت طعام [٦٢/ب] الخالق لزهد قلبك وسرّك في طعام الخلق، هذا شيء يكون في القلوب / من وراء الثياب والجلود واللحوم. لا يصحّ هذا القلب وقد بقي فيه ديّار من الخلق، ولا يصح الإيمان وفي القلب من حبّ الدّنيا ذرة، إذا صار الإيمان يقيناً، واليقين

---

(١٩) انظر تخريجه ص ٢٨ .

(٢٠) في (أ) و (ب): فينجباه.

مَعْرفة، والمعرفة علماً، فحينئذ تصير جهيداً لله عزّ وجلّ(٢١)، تأخذ من يد الأغنياء وتعيد إلى الفقراء، تصير صاحب المطبخ تجري الأرزاق على يد قلبك وسرّك. لا كرامة لك يا منافق حتى تكون كذلك. ويلك، ما تهذّبت على يد شيخ متورّع زاهد عالم بحكم الله عزّ وجلّ وعلمه. ويلك، تريد شيئاً بلا شيء، ما يقع بيدك إذا كانت الدنيا لا تحصل إلا بتعب فكيف ما عند الله عزّ وجلّ؟ أين أنت من الذين وصفهم الله عزّ وجلّ في كتابه بكثرة عبادته فقال / ﴿كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ [٦٣/أ] مَا يَهْجَعُونَ وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [سورة الذاريات ٥١/١٧ـ١٨] لما علم منهم الصدق في عبادته أقام لهم مَنْ ينبّههم، ويقيمهم من فرشهم. قال النبي صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم يقول الله عزّ وجلّ لجبريل عليه السلام: يا جبريل أقم فلاناً وأنم فلاناً»(٢٢). القوم إذا انتبهتْ خُطا قلوبهم إلى الله عزّ وجلّ رأوا في المنام مالم يروه في اليقظة، ترى قلوبهم وأسرارهم شيئاً لا يرونه في اليقظة، صاموا وصَلّوا وجاهدوا أنفسهم بالجوع، وكسروا الأعراض، وواصلوا الضياء بالظلام في أنواع العبادة، حتى حصلت لهم الجنّة، فلما حصلت لهم الجنّة قيل لهم: الطريق غير هذا، وهو طلب الحقّ عزّ وجلّ، فتصير أعمالهم من حيث القلوب، فإذا وصلت إليه ثبتت ونبتت عنده. من علم ما يطلب هان عليه / ما يبذل من قواه [٦٣/ب] وجهده في طاعة ربّه عزّ وجلّ. ما يزال المؤمن في تعب حتى يلقى ربّه عزّ وجلّ ولهذا قال النبيّ صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم: «لا راحة للمؤمن من غير لقاء ربّه عزّ وجلّ»(٢٣). عن النبي صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم قال: «إذا مات المؤمن ودخل إلى قبره، وسأله منكر ونكير وأجابهما، أذن لروحه بالصعود إلى

---

(٢١) أي مجاهداً في سبيل الله.

(٢٢) لم نعثر عليه.

(٢٣) رواه أحمد في الزهد، في فضل أبي هريرة، ١٩٤، وأبو نعيم في الحلية ١/١٣٦، ٨/١٣٣، ورواه وكيع في الزهد عن ابن مسعود رضي الله عنه، باب راحة المؤمن، ٨٦.

الحقّ عزّ وجلّ والسجود له ومعها جماعة من الملائكة، فتلقاه، وينكشف لها ما كان محجوباً عنها، ثم تحمل إلى الجنة عند مجمع أرواح الصالحين، فيستقبلونها ويسألونها عن أحوالها وعن أمور الدنيا، فتخبرهم بما تعلم من ذلك، ثم يقولون لها: ما فعل فلان؟. فتقول: مات قبلي، فيقولون ما وصل إلينا، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم / [٦٤/أ] سُلِك به إلى أمّه الهاوية، ثم يجعل في حوصلة طير خضير ترعى في الجنة، وتأوي إلى قنديل معلق تحت العرش»[٢٤].

هذه صفة لقاء الأغلب من المؤمنين عليهم سلام الله عزّ وجلّ وتحياته، وجعلنا منهم، وأحيانا محياهم، وأماتنا مماتهم آمين.

يا فقراء يا مبتلين بالمصائب، اذكروا الموت وما وراءه، وقد هان عليكم فقركم ومصائبكم، وسهل عليكم وداع الدنيا وأهلها. إقْبَلوا منّي فإنّي جرّبت هذا وسلكته، القوم لا يريدون غير وجه ربهم عزّ وجلّ، قاموا من الجنات، ووقفوا بين يدي خالق الجنات، تتجافى جنوبهم عن المضاجع طلباً لوجهه ومرضاته، حِيل بين قلوبهم وبين أهاليهم، جاءهم أمر هَيَّمهم، وأغلق دكاكينهم، وأسكنهم الفيافي / [٦٤/ب] والقفار، لا قرار لهم، لا ليلهم ليل، ولا نهارهم نهار، تتجافى جنوبهم عن مضاجعهم، تصير قلوبهم كالحبّ في المقلى الحار تنفر وتهرب منه قلوبهم، حبّ على مقلى التفكّر في المحاسبة والمناقشة والمحاققة، هم العقلاء الأزكياء الفطناء، الذين عرفوا الدنيا وأهلها، وعرفوا مكائدها وسحرها وغدرها[٢٥] وذبحها لأبنائها، نودي

---

(٢٤) ذكره الزبيدي في إتحاف السادة المتقين ١٠/ ٣٩٣، وابن أبي الدنيا بلفظ «إنّ أهل القبور لتوكفون (يترقبون) للميت كما يتلقى الراكب، يسألونه. فإذا سألوه، ما فعل فلان ممن مات، فيقول: ألم يأتكم. فيقولون: إنا لله وإنا إليه راجعون، سُلك به غير طريقنا، ذهب إلى أمه الهاوية».

انظر إتحاف السادة المتقين ص ٣٩٤.

(٢٥) نقص من (أ).

بقلوب القوم فتجافت جنوبهم عن المضاجع، سمعت معانيهم بعد سماع صورهم، سمعت الطيور مع سماع الأقفاص، سمعوا قول الحقّ عزّ وجلّ في بعض كلامه: (كذب من ادعى محبّتي إذا جنّه الليل نام عني)[٢٦]. خجلوا واستحيوا من هذه المعاينة فقاموا بين يديه في ظلمة الليل، صفّوا أقدامهم بين يديه، أرسلوا دموعهم / على خدودهم، خاطبوه بدموعهم، ودخلوا عليه بأقدام [٦٥/أ] قلوبهم، ووقفوا بين يديه على قدمي الخوف والرجاء، خوفاً من الردّ ورجاء أمن القبول. يا قوم: اخدموا هذا الحكم الظاهر، اعملوا بكتاب الله عزّ وجلّ وسنة نبيه، وأخلصوا في أعمالكم، ثم انظروا ماذا ترون من ألطافه وكرامته وطيب مناجاته. يا محرومين، يا آبقين[٢٧]، يا مدبرين، أقبلوا. يا هاربين ارجعوا، لا تهربوا من سهام الآفات، إنما هو تَوْهيم، اثبتوا وقد كفيتم شرّها وأمرها، أثبتوا، ما يقع فيكم شيء غَيْركم، ترسها صدور الصديقين، ما أنتم أهلها، ما هي لكم ولا أنتم لها[٢٨]، أنتم نظارة، أنتم تبع، أنتم مكثروا سواد القوم، ومن كثّر سواد قوم فهو منهم. المؤمن له ثلاث أعين: عين / الرأس: ينظر بها إلى [٦٥/ب] الدنيا، وعين القلب: ينظر بها إلى الآخرة، وعين السر: ينظر بها إلى الحقّ عزّ وجلّ.

عين الرأس تفنى مع الدنيا، وعين القلب تفنى[٢٩] مع الآخرة، وعين السرّ تبقى مع الحقّ عزّ وجلّ في الدنيا والآخرة؛ لأنها ناظرة إليه دنيا وآخرة.

المؤمن الذي هذه صفته إذا كان في العمران فهو رحمة لأهل العمران، لولاه لخسف بتلك الناحية، ولو وقعت الحيطان على أهلها، صدّقوا بهذا وآمنوا به، ولا

---

(٢٦) لم نعثر عليه.

(٢٧) الآبق: العبد الهارب من سيده.

(٢٨) أنتم لها: نقص من (أ).

(٢٩) في (أ): تبقى.

تكونوا مع الجهال الذين هم قتلت الأنبياء والمرسلين، المعادون لهم ولربهم عزّ وجلّ، البعيدون المحجوبون، المطرودون. اللّهم تب عليّ وعليهم، اهدني واهدهم آمين. يا متنعمين بنعيم الدنيا عن قريب / تفارقون نعيمكم، ما أحسن ما قال بعض الشعراء: [٦٦/أ]

يا غلام(٣٠) اسمع فقد أمكنك الصوت، إن لم تبادر فهو الفوت، كل كلما شئت وعش ناعماً، آخر هذا كله الموت.

عن قريب يفنى مالك وعمرك، ويكل بصرك، ويختلّ عقلك، ويقل أكلك وشربك، ترى الشهوات فلا تقدر أنْ تأكل منها شيئاً، تبغضك زوجتك وجاريتك وولدك، ويتمنّون موتك، يُلْقى عليك الغمّ والهمّ تذهب الدنيا عنك وتقبل الآخرة عليك، فإن كان لك عندها عمل صالح استقبلتك وضمتك إليها، وإنْ لم يكن ذلك فالقبر موضعك، والنار موئلك، ما هذا الهوس؟! كان النبيّ صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم يقول: «العيش عيش الآخرة»(٣١). ويكرر ذلك على نفسه وأصحابه. تعلموا أمامي يا جهّال، / اتبعوني فإنّي أهديكم سبيل الرشاد. تدّعي إرادتي وتخبىء مالك عني، كذبت في دعواك. المريد ليس له قميص ولا عمامة ولا ذهب ولا ملك بالإضافة إلى شيخه؛ إنّما يأكل على طبقه، ما يأمره يأكله، هوفان(٣٢) عنه، ينتظر أمره ونهيه لعلمه أن ذلك من الله عزّ وجلّ مصلحة على [٦٦/ب]

---

(٣٠) زيادة في (ب).

(٣١) رواه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب دعاء النبي صلى الله عليه [وآله وصحبه] وسلم: «أصلح الأنصار والمهاجرة»، ٣٥٨٤، عن أنس رضي الله تعالى عنه. وفي رواية أخرى (فاغفر للأنصار). كما رواه مسلم في كتاب الجهاد، باب غزوة الأحزاب، ١٨٠٣، بلفظ (اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة فاغفر للمهاجرين والأنصار).

(٣٢) الهوفان: شديد العطش، ولعله أراد أن يكون المريد متفانيا في تنفيذ أوامر شيخه. والله تعالى أعلم.

يده، وفتلاً في حباله[33]، إن اتهمت شيخك فلا تصحبه؛ فإنه لا تصح لك صحبته ولا إرادته، المريض إذا اتهم الطبيب لم يبرأ بمداواته.

يا غلام: لا تشتغل بما لا يعنيك، فيفوتك ما يعنيك، ذكرك لأحوال غيرك وعيوبه مما لا يعنيك، وذكرك لأحوال نفسك مما يعنيك.

صاحب النفس والهوى الطبع كل كلامه عليه لا له، كحاطبة الليل ما يدري / ما يقع بيده، إذا اطمأنت النفس وانخمدت ثائرة الهوى والطبع عنها [٦٧/أ] ترعرع العقل، وقوي الإيمان، جاء السكون، جاء التمييز بين الحقّ والباطل، فيمسك عن الباطل ويتكلم بالحق، ثم يأتيه الحكم فيعمل به، يصير عبداً له، يطيع الرسول في أمره ونهيه؛ لأنه سمع قول الحقّ عزّ وجلّ ﴿. . . وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا. . . .﴾ [سورة الحشر ٥٩/٧]. اعلم أنّ هذا عام في جميع ما أتى به من الأوامر والنواهي، فيتمثل أمره في الطاعات، وينتهي في الزلات، فحينئذ يصير مسلماً تقيّاً؛ فإذا تحقق في ذلك صار عارفاً بالله عزّ وجلّ، عالماً به، يصير عنده سكوت وصمت، وإصغاء لما يقال له في قلبه، يصير عنده حديثاً دائماً، وإصغاء وفرحة دائمة. اللهم ارزقنا لذلة قربك، وطيب مناجاتك / والفرح بك، وآتنا في [٦٧/ب] الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار. . .

* * *

---

(٣٣) أي شدّاً في أزره.

مجلس

من صحّ زهده في الخلق صحت رغبتهم فيه، وانتفعوا بكلامه وبالنظر إليه.
إذا صحّ زهد القلب في الخلق، وزهد السّرّ في جميع ما عند الحقّ عزّ وجلّ سوى القرب، كان القرب في الدنيا خليله، وفي الآخرة أنيسه.

إذا علّمت الخلق بعلم الله، وعرّفتهم بمعرفته غابت عنك صفاتهم، ينعدم عندك الجنّ والأنس والملك، يوصف قلبك بصفة أخرى، وكذلك سرّك يتنحّى عن قشرة وجودك قِشْر عادة بني آدم عليه السلام. يأتي الحكم فيصير قميصاً عليك، فتكون في الأرض متلبساً بأمر نفسك، وخلق ربّك عزّ وجلّ وأمره، ويأتي العلم / الرباني الإلهي، فيصير قميصاً على قلبك وسرّك. لا تنعزل في صومعتك [٦٨/أ] مع الجهل؛ فإنّ الانعزال مع الجهل فساد كلي؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم: «تفقه ثم اعتزل»(٣٤). لا ينبغي لك أن تقعد في صومعة وعلى وجه الأرض شيء تخافه وترجوه، لا ينبغي لك سوى مخوّف واحد وهو الله عزّ وجلّ. العبادة بترك العادة. لا كانت(٣٥) العادة حتى تصير موضع العبادة. لا تطلبوا التعلق(٣٦) بالدينا والآخرة والخلق، وتعلّقوا بالحقّ عزّ وجلّ.

لا تبهرجوا(٣٧)؛ فإن الناقد بصير، ما يأخذ منكم إلا بمحك.

---

(٣٤) ذكره الغزالي في الإحياء ٢/٢٣٦ عن النخعي. ورواه أبو نعيم عن الربيع بن خيثم. ورواه أحمد في الزهد عن مطرف أنه قال: تفقهوا ثم اعتزلوا وتعبدوا. انظر الكشف للعجلوني، ١٠٠٣.

(٣٥) قصد بها الدعاء بالذم.

(٣٦) نقص من (أ).

(٣٧) البهرج: الانتقال من الاستواء إلى غير الاستواء. انظر مادة بهرج، لسان العرب.

البهرج الذي معكم، ارموا به، لا تعدّوه شيئاً، ما يُأخذ منكم إلا ما يدخل الكير ويصفو من الدّغل[٣٨]، فلا تحسبوا أن الأمر سهل.

الأكثر منكم يدّعون الإخلاص وهم / منافقون، لولا الامتحان لكثرت [٦٨/ب] الدعاوي. مَن ادّعى الحِلْم نمتحنه بالإغضاب، ومن ادّعى الكرم نمتحنه بالطلب منه، وكل من ادّعى شيئاً امتحنّاه بضدّه.

إذا ترك العبد الدنيا والآخرة، وخرج مما سوى الله عزّ وجلّ وحصل[٣٩] قلبه في دار قربه ومنّته ولطفه لا يكلفه تحصيل الطعام والشراب واللباس، أو شيء من مصالحه، يتنزّه قلبه عن الاشتغال بذلك.

ويحكم تريدون شيئاً بلا شيء، ما يقع بأيديكم أدّوا الثمن وخذوا المُثَمَّن، من تعنّى[٤٠] تهنّى. احتملوا حزن الدنيا وهمّها حتى يحصل لكم فرح الآخرة.

كان نبيّكم محمد صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم طويل الحزن، دائم التفكّر، كان كثير العبادة وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، / كان يتفكر تارة [٦٩/أ] في الخلق وتارة في الخالق، كان يتفكّر فيما يتمّ على أمته من بعده. كان الحسن البصري[٤١] رحمة الله عليه إذا خرج من بيته كأنه قد نبش من قبره، وأثر الحزن

---

(٣٨) الدّغل: الفساد. (٣٩) في (أ): وصل.

(٤٠) أي تعب.

(٤١) هو الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد مولى زيد بن ثابت الأنصاري رضي الله عنهما. أبوه يسار من سبي ميسان؛ وهي كورة واسعة كثيرة النخل بين البصرة وواسط. سكن المدينة، وأعتق فيها وتزوج بها في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فولد له الحسن رحمة الله عليه لسنتين بقيتا من خلافة عمر.

كان سيد أهل زمانه علماً وعملاً. روى عن عمران بن حصين والمغيرة بن شعبة وعبد الرحمن بن سمره، وسمرة بن جندب، وغيرهم كثير من الصحابة، وروى عنه كثير من التابعين وخلق كثير. انظر سير أعلام النبلاء ٤/٥٦٣.

والكآبة على وجهه. الحزن دأب المؤمن في جميع أحواله حتى يلقى ربّه عزّ وجلّ.
القوم لا يزالون على قدم الخرس إلى أن يأتيهم الأذن بالنطق على الخلق، يجمع بينهم وبين المريدين الصالحين؛ فينطقون عليهم ويدلونهم على مرادهم، يصير لهم نطقاً كليّاً، فإذا مالت قلوبهم إلى الخلق جاءتهم يد الغيرة بالقبض واللجام، يغلق الباب من دونهم حتى يعتذروا ويتوبوا، فإذا تحققت توبتهم فتح لهم الباب وقرّبت قلوبهم.

[٦٩/ب] يا موتى القلوب: ما قعودكم عندي يا عبيد الدنيا والسلاطين / يا عبّاد الأغنياء، يا عبيد الغلاء والرخص؟!.

ويحكم لو بلغ ثمن حبّة من الحنطة ديناراً لا أبالي.

المؤمن لا يهمّه رزقه لقوة يقينه واتكاله على ربّه عزّ وجلّ، لا تَعُدَّ نفسك مع المؤمنين، انعزل عنهم. سبحان من أوقفني بينكم! كلّما طال جناحي جاءت يد القدرة وقصّته، وكلما طال جناح العلم قصه مقْراض الحُكم. إقبلوا قولي ونصحي عليكم بدلالات التوحيد والإصغاء إلى كلامات الصديقين والأولياء، هي كالوحي من الله عزّ وجلّ ينطقون عنه ويأمرهم من وراء مأمور العالم الطغام[٤٢]. أنت هوس تؤلف كلامك من الكتب وتتكلم به، إن ضاع كتابك ما تصنع؟ أو وقع الحريق في كتُبك؟ أو انطفىء مصباحك الذي / تبصر به؟ أو انكسرت جرتك [٧٠/أ] فتبدّد الماء الذي فيها؟ أين مقدحتك وحراقتك وكبريتك ومعينك؟ من تعلم وعمِل وأخلص صارت المقدحة والمعين في قلبه، يصير في قلبه نور من نور الله عزّ وجلّ، يسستضيء به هو وغيره، تنحّوا يا أبناء القلقلة، يا أبناء الصحف المؤلفة بأيدي النفوس والأهواء.-

ويلكم تنازعون المخطوطة، تنقصمون وتهلكون ولا يتغير خطه، كيف يتغيّر

---

(٤٢) قوم طغام: أي طائشون وجاهلون. انظر لسان العرب مادة (طغم).

السابقة والعلم بجهدكم. كونوا مسلمين ومسلّمين، أمَا سمعتم قوله عزّ وجلّ: ﴿الَّذِين آمنوا بآياتنا وكانوا مسلمين﴾ [سورة الزخرف ٤٣/٦٩].

حقيقة الإسلام الاستسلام. القوم استطرحوا بين يدي ربّهم عزّ وجلّ، ونسوا لَمَ وكيف وافعلْ ولا تفعل. يعملون أنواع الطاعات / وهم وقوف على قدم [٧٠/ب] الخوف؛ ولهذا وصَفَهم الحقّ عزّ وجلّ فقال: ﴿يُؤْتُونَ مَا اتوا وقلوبهم وجلة. . . ﴾ [سورة المؤمنون ٢٣/٦٠] يمتثلون أوامري، وينتهون عن مناهيَّ، ويصبرون على بلائي، ويشكرون على عطائي، ويُسلّمون أنفسهم وأموالهم وأولادهم وأعراضهم إلى يد سابقتي. وقلوبهم وجلة، خائفة مني.

يا مغتراً بدنياه وصفائه، عن قريب ينقلب صفاك كدراً، وغناك فقراً، وسعتك ضيقاً، لا تغتر بما أنت فيه، وعليك بالمواظبة على مجالس الذكر، وحسن الظّنّ بالشيوخ العمال بالعلم، والاستماع منهم بما يقولون، إذا صحّت صحبة المريد للشيخ لقّمه وزقه[٤٣] من في[٤٤] قلبه طعام المعرفة وشرابها.

يا مريدين فرغوا قلوبكم من الخلق وقد رأيتم العجب / غداً يقال لأهل [٧١/أ] الجنّة: ادخلوا الجنة، واليوم إذا اطلع عزّ وجلّ على قلوب خواصه من عباده فرآها فارغة من الدنيا والجنّة وما سواه فيقول لهم: ادخلوا جَنة قربي عاجلاً وآجلاً. ويلكم لا توافقوا نفوسكم على مخاصمة ربكم عزّ وجلّ، أعْدَى عدوِّكم أنفسكم التي بين جنوبكم، كلما أشبعتموها وأرويتموها وسمنتموها أكلتكم، تصير سبُعاً ضارياً اقطعوا عنها حظوظها وشهواتها، ووفّوها حقوقها وهي ما لا بدّ منه، لها كسرة لسد الجوعة، وخرقة لستر العورة وذلك شرط طاعة الله عزّ وجلّ. قلْ لها: لا أعطيك حقك حتى تطيعين الله عزّ وجلّ، وتصومين وتصلين وتفعلين جميع ما آمرك به من الطاعات. ناظرْها / مناظرة، فإذا دمت على هذا مات شرّها وبقي [٧١/ب]

---

(٤٣) الزَق: إطعام الطائر فرخه.

(٤٤) أي فمه.

خيرها. أطعمها الحلال وقد اطمأنت. لا تأمنها فالنفاق دأبها ولذاتها، تصلي وتصوم وتحمل المشاق حتى تسمع مدحها من الخلق، والذكر لها في المحافل. تعلموا فإن من لا يرى المُفْلح لا يُفْلح. إذا طهر قلب العبد المؤمن من نجاسة الرياء والنفاق كانت ركعتان منه خيراً من ألف ألف ركعة ممن لم يطهّر قلبه منها.

يا منافق: كلّ نفاقك من نفسك، اقطع مواد نفسك وقد زلّت لخالقها وقد انقطع شرها، النفس تريد تربية وصنعة حتى تصلح وتحمل ما تحمل، مثلها كمهرة اشتريتها وهي صغيرة لا تقدر [أن] تحملك ولا تحمل رحلك، ألسْت تربيها وتدرجها من شيء إلى شيء حتى / تطمئن وتحمل متاعك وتمشي تحتك في [٧٢/أ] الفيافي[٤٥] والقفار. أنت عاشق لنفسك، لا تقدر أن تخالفها، تقودك إلى حيث تريد يوماً بعد يوم وقد جاءك حتفك، وقد جعلت طاعتك في التسويف، تقول: اليوم أتوب وغداً أتوب، سوف أتفرغ لطاعة ربي عزّ وجلّ، سوف أقضي ما في ذمتي من الديون والمظالم، سوف أفعل كذا وكذا، فبينما أنت كذلك في غمرات اغترارك إذ جاءك الموت، يأخذك ويأتيك بغتة، فلا تقدِر [أن] تتخلص منه، وتبقى ذنوبك وديونك ومعاصيك معبأة عليك.

ويحك: تجمع ديناراً فوق دينار وليس لجمعك منتهى، كل ذلك عقارب عليك، وحيّات تلسعك. الدينار دار نار / والدراهم دار همٍّ. الدنيا اشتغال [٧٢/ب] والآخرة أهوال، والعبد بينهما إلى أنْ يستقرَّ به القرار؛ فإمَّا إلى جنة أو إلى نار.

يا غلام: لا تأكل ما لا تعلم أصله وفرعه، أكل[٤٦] الحرام يسوّد القلب. كلّ من لا صبر له[٤٧] كيف يأكل الحلال؟ فإنْ آكل الحلال[٤٨] مَن له صبر على محاربة

---

(٤٥) الفيافي: الصحراء.

(٤٦) في (أ): أصل أكل الحرام.

(٤٧) أي من لا يصبر عن أكل الحرام لا يستطيع أن يصبر على الحلال.

(٤٨) فإن آكل الحلال: نقص من (أ).

النفس والهوى والشيطان، المحارب الصابر يأكل الحلال. اللهم ارزقنا الحلال، وباعِدْ بيننا وبين الحرام، وارزقنا من فضلك وخيرك وقربك، ارزق قلوبنا وأسرارنا وجوارحنا ذلك آمين.

القوم عقلاء بالإضافة إلى الآخرة، ومجانين بالإضافة إلى الدنيا. عقلاء مع القلوب، ومجانين مع النفوس، لا تحقروهم، وتؤذوهم ولا تظلموهم فإن لهم من ينصرهم. المؤمن نصْرته / مؤخّره لا يموت حتى يشتفي من ظالمه، ويُنْصر عليه. [٧٣/أ] يرى جنازته ونَهْبَ أمواله، وانتقال ما كان فيه إلى عدوّه، يرى استباحة حريمه.

عن النبي صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم: «إذا ظُلم من لا ناصر له إلاّ الله عزّ وجلّ يقول الله عزّ وجلّ: «وعزّتي وجلالي لأنصرنّك ولو بعد حين»(٤٩).

إذا وجدْت الحقّ عزّ وجلّ رأيت الأشياء منه، لا يبقى لك عدو ولا يبقى لك عند(٥٠) أحد حق، تستغني بالله عزّ وجلّ عن طلب الحقوق، يتجوهر قلبك ويصفو سرّك. من عمل لله عزّ وجلّ وأطاعه ووحّده أغناه عن العمل في الأسباب والتعلّق بها، ولا يلقى إلا خيراً في جميع أحواله.

اللهم تَوَلَّ أمورنا، ولا تكلنا إلى أنفسنا(٥١) ولا إلى أحد من خلقك وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة / حسنة وقنا عذاب النار. [٧٣/ب]

(٤٩) لم نجده بهذا اللفظ وقد رواه أحمد في المسند قطعة من حديث طويل عن أبي هريرة رضي الله عنه، ٨٠٣٠، بلفظ ثلاثة لا تردّ دعوتهم: الصائم حتى يفطر، والإمام العادل، ودعوة المظلوم يرفعها الله فوق الغمام، ويفتح لها أبواب السماء ويقول الربّ عزّ وجلّ: وعزتي لأنصرنّك ولو بعد حين.

كما رواه ابن حبّان في صحيحه، باب وصف الجنة وأهلها، ذكر الإخبار عن وصف بناء الجنة التي أعدها الله جلّ وعلا لأوليائه ولأهل طاعته، ٧٣٤٤، كما رواه ابن ماجه، ١٧٥٢.

(٥٠) عدو ولا يبقى لك عند: نقص من (أ).

(٥١) إلى أنفسنا ولا: نقص من (أ).

مجلس

يا عباد الله كونوا عقلاء، واجتهدوا أن تعرفوا معبودكم قبل مماتكم، سلوه جميع حوائجكم في ليلكم ونهاركم. السؤال له عبادة، إن أعطا وإن لم يعط، لا تتّهموه ولا تستعجلوه ولا تسأموا من السؤال، سلوه على قدم الذّل، وإذا تأخرتْ إجابتكم فلا تعترضوا عليه؛ فإنه أعلم بمصالحكم منكم. اسمعوا هذا الكلام وافهموه، واعملوا به. هو كلام على جادة مستقيمة، كلام مجرّب.

واحزناه عليكم. كيف تموتون وما عرفتم ربّكم عزّ وجلّ؟! ويحكم: كيف تقدمون على من لم تتعرفوا إليه ولم تعاملوه، ولم تستضيفوا به وتأكلوا من ذكر ضيافته. عاملوه / وقد ربحت معاملتكم، اتخذوا عنده يداً قبل وصولكم إليه، [٧٤/أ] أكرموا الفقراء والمساكين، وواسوهم بشيء من أموالكم وقد اتخذتم يداً، إذا فعلتم ذلك أكرمكم وأحسن إليكم دنيا وأخرى[٥٢]. هذا المال الذي في أيديكم ما هو لكم، هو وديعة عندكم، هو مشترك بينكم وبين الفقراء، لا تملكوا الوديعة على صاحبها فيأخذها من أيديكم. إذا طبخ أحدكم قدراً فلا يأكل وحده بل يطعم منه جاره والسائل الذي يأتي إلى بابه، والضيف الذي يستضيف به، لا تردوا السُّؤال[٥٣] مع القدرة على عطاياهم؛ فإنّ ردّهم سبب لزوال النعم. عن النبي

---

(٥٢) ورد عن النبي صلى الله عليه [وآله وصحبه] وسلم: «اتخذوا عند الفقراء أيادٍ، فإن لهم دولة يوم القيامة». رواه أبو نعيم في الحلية من حديث إبراهيم بن فارس عن وهب وذكره السخاوي في المقاصد الحسنة، ،١٧ بزيادة: (فإذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: سيروا إلى الفقراء فيُعتذر إليهم كما يعتذر أحدكم إلى أخيه في الدنيا».

(٥٣) السّؤال: جمع سائل، وكذلك السألة، هذا من باب حث المؤمن على حسن الظن بالسائل

صلى ا لله عليه و[آله وصحبه] وسلم أنه قال: من ردّ سائلاً عن بابه من غير عذر لم / تقرب ملائكة الحفظة بابه أربعين صباحاً»(٥٤). قد عوّدتم ألسنتكم وقت [٧٤/ب] مجيء السائل: أَوْسَع الله عليك. أعانك الله. تردّونه مع القدرة على إعطائه؟!

ما الذي أمّنكم أن يوسّع الله عزّ وجلّ عليه ويضيق عليكم.

ويحك أمَا كنت فقيراً لا تملك ذرّةً فأغناك الله عزّ وجلّ، وأزال فقرك، وكثّر خيرك ورزقك ما لم يكن في حسابك، ثم بعث إليك فقيراً أحاله عليك حتى تواسيه بشيء مما أعطاك تردّه خائباً ولا تقبل هوانته. عن قريب يؤخذ من يدك جميع ما أعطاك، يعيدك إلى فقرك وكديتك وتلقى في قلوب الخلق القساوة عليك مع قلة صبرك. اللهم ارزقنا اليقظة قبل الموت والتوبة / والهداية قبل الموت، والمعرفة قبل [٧٥/أ] الموت، ومعاملتك قبل الموت، والرجوع إلى بابك قبل الموت، والدخول إلى دار قربك قبل الموت، آمين.

يا غلام: خذ بيدك سيف التوحيد، وتُرس الورع، واركب حصان صدقك وإرادتك، واحمل حملة إخلاصك على نفسك والهوى والطبع والشرك بالخلق والدنيا والشيطان، وقد جاءك النصر والإمداد من الله عزّ وجلّ.

القوم سجنوا أنفسهم، وتبلّغوا بالقليل حتى بلغوا إلى الكثير، رأوا الخِلَع المهيأة لهم معلقة على أوتاد القدر فصبروا على لبس الخلقان(٥٥) إلى أن يأتي ما هو مهيأ لهم من الأقسام الدنيوية والأخروية. إذا زهد القلب فيما سوى الحق، جاز

فقد ورد في الحديث الشريف الذي أخرجه أبو داود في السنن، كتاب الزكاة، باب حق السائل، ٦٦٥، عن الحسين بن علي رضي الله عنهما «للسائل حق وإن جاء على فرس».
كما ذكره الهيثمي في المجمع عن الهرماس بن زياد ج ١٠١/٣ .

(٥٤) ذكره الفتني في تذكرة الموضوعات، ٦٢/ ١٠٤ بلفظ (من ردّ جائعا وهو قادر على أن يشبعه عذّبه الله ولو كان نبيّا مرسلاً).

(٥٥) الخُلْقان: الثياب المرقعة.

[٧٥/ب] في / فيافي المعرف، وقفار العلم، يصير في منزل الأمان(٥٦) مما سواه؛ فلا يتسلط عليه العصيان، ومتابعة الشيطان، ومخالفة الرحمن. يا مستعجلين أثبتوا، يا طالبين لمجيء الأشياء قبل حينها لا تفعلوا، أما سمعتم قول النبي صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم: «العجلة من الشيطان والتؤدة من الرحمن»(٥٧). الشيطان يأمر بالعجلة لأجل جهله بالأحوال والعصيان للرحمان، التؤدة من الرحمن لعلمه بالمصالح. من أحبّ الله عزّ وجلّ لا تبقى له معه إرادة؛ لأنه لا إرادة لمحبّ على إرادة المحبوب، وهذا يعرفه كل محبّ قد ذاق طعم المحبّة، المحبّ فانٍ مع محبوبه كالعبد بين يدي سيّده، العبد العاقل الطائع لسيّده لا يخالف سيده ولا يعارضه في [٧٦/أ] شيء /.

ويلك: أنت لا محبّ ولا محبوب، ولا ذقت طعم المحبّة ولا طعم المحبوبية. المحبّ حذر منزعج والمحبوب ساكن. المحبّ في شقاء والمحبوب في دعة. تدعي المحبة وتنام عن محبوبك. قال الله عزّ وجلّ في بعض كلامه: «كذب من ادعى محبتي حتى إذا جاءه الليل نام عني»(٥٨). منهم من لا ينام إلا غلبة، ينام سنة، ينام في سجوده. عن النبيّ صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم أنه قال: «إذا نام العبد في سجوده باهى الله عزّ وجلّ به ملائكته، يقول: أما ترون عبدي روحه عندي

---

(٥٦) في (أ): الإيمان.

(٥٧) أخرجه الترمذي في السنن من أبواب البرّ والصلة، باب ما جاء في التأنّي والعجلة، ٢٠١٣، بلفظ الأناة من الله والعجلة من الشيطان، وقد أخرجه البيهقي في السنن الكبرى، كتاب آداب القاضي، باب التثبت في الحكم، ١/ ١٠٤، بلفظ «العجلة من الشيطان والتؤده من الرحمان». ويشهد له ما رواه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله وشرائع الدين، ٢٥، عن النبي صلى الله عليه [وآله وصحبه] وسلم قال لأشج عبد القيس: «إنّ فيك خصلتين يحبهما الله: الحلم والأناة».

(٥٨) لم نعثر عليه.

وجسده في طاعتي بين يدي»[٥٩]. الذي يغلبه النوم في صلواته هو في صلاة؛ لأن نيته في الصلاة، وجاءته الغلبة قهراً، والحقّ عزّ وجلّ لا ينظر إلى الصورة وإنّما ينظر إلى النية[٦٠] / وإلى المعنى. [٧٦/ب]

العارف إذا زهد في الآخرة يقول لها: (تَنَحَّ عنّي فإني طالب باب الحق عزّ وجلّ، أنت والدنيا عندي واحد، الدنيا كانت تحجبني عنك، وأنت تحجبيني عن ربّي عزّ وجلّ، لا كرامة لكل من يحجبني عنه).

اسمعوا هذا الكلام؛ فإنه لبّ علم الله عزّ وجلّ ولبّ إرادته من خلقه وفي خلقه، وهو جال الأنبياء والمرسلين والأولياء والصّالحين.

يا عبّاد الدنيا وعبّاد الآخرة: أنتم جهّال بالله عزّ وجلّ وبدنياه وآخرته، أنتم حيطان، أنت صنمك الدنيا، وأنت صنمك الآخرة، وأنت صنمك الشهوات واللذات، وأنت صنمك الحمد والثناء وقبول الخلق لك. كل ما سوى الله عزّ وجلّ صنم. القوم يريدون وجهه.

ويحكم القيامة قريبة منكم، إنما هي مدّ وجزر، إنّما / هي نومة القَدْر[٦١] [٧٧/أ] ويقظه، إنما هي إعراض وإقبال، ﴿أليس الصبح بقريب﴾ [سورة هود

---

(٥٩) ذكره ابن حجر في تلخيص الحبير ١/ ١٢٠، وقال: رواه البيهقي في الخِلافيات من حديث أنس. وابن شاهين في الناسخ والمنسوخ من حديث المبارك ابن فضالة، والدارقطني في العلل. كما أخرجه ابن سمعون في الأمالي ١/١٧٢ .

(٦٠) إشارة لما رواه مسلم في كتاب (البر والصلة)، باب (تحريم ظلم المسلم وخذله)، رقم ٢٥٦٤، «إن الله لا ينظر إلى أجسادكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم» وأشار بأصبعه إلى صدره.

(٦١) أي نومة ذات مقدار معلوم، أو هي نومة مدبرة.
انظر اللسان وتاج العروس مادة (قدر).

۱۱/۸۱]. يوم القيامة يوم المتقين، يوم نصرة المتقين، يوم فرح المتقين. المتقون هم الذين اتقوا الله عزّ وجلّ في خلواتهم وجلواتهم، في البأساء والضرّاء، فيما يحبّون وفيما يكرهون، هم عباد الله عزّ وجلّ ورجاله، هم الرجال والأبطال، هم السادة، هم الرؤساء، عندهم أساس الإيمان وبناؤه. يتقون الشرك والنفاق ظاهراً وباطناً، يزهدون في الدنيا والخلق ويكرهون أغراض النفوس. ما تنال درجة القرب من الله عزّ وجلّ حتى تترك ما سواه، كيف تنال ما عند الله وأنت تحبّ الدنيا وتسْعى(٦٢) عليها. إذا أنفقت منها أردى ما عندك. كان من تقدّم من الصالحين / [۷۷/ ب] إذا حضر بين يديه طعام سني(٦٣)، قال لغلامه: (إحمل هذا الطعام إلى بيت فلان الفقير). ويحك أمَا تستحي إذا كان عليك زكاة تخرج أردى ما معك من الذهب؟! تخرج قراضة ردية عن الصحيح؟ فضة عن الجواهر؟!. إذا كان لك شيء يساوي ديناراً قوّمته بالنصف! وتنقص ما للفقراء عندك، واِذا كان بين يديك طعام تصدّقت بأخبثه وتأكل أطيبه، أنت عابد نفسك، ما يمكنك مخالفتها، أنت تابع لهواك وشيطانك وأقرانك السوء.

المتقون نزّاع العشائر(٦٤) من كل ألف ألف واحد، لا تتعبوا، ما يقبل الله منكم إلا صافياً، لا يقعد على مائدته إلا طاهر، ما يحضر على مائدته إلا ما ذبح بيدي صاحب طبقه، ما يقبل ميتة. طالب الخلق / [۷۸/ أ] والدنيا ميتته مكدّرة حَمْأة(٦٥)، والشرك بالخلق والأسباب نجس، ربّنا عزّ وجلّ لا يقبل إلا ما أريد به وجهه، هو أغنى الشركاء. كونوا عقلاء ولا تتكلموا فيما لا يعنيكم. اشتغلوا بما أمرتم به، ولا تضيّعوا زمانكم. اتقوا ربّكم عزّ وجلّ، وتوبوا إليه. من اتقاه وقاه، ومن وقاه

---

(٦٢) في (أ): تشيح.

(٦٣) أي جيد.

(٦٤) انظر تخريج الحديث ص ۷۲.

(٦٥) الطين الأسود المنتن /انظر التاج مادة حمأه/.

رقاه، يرقيه إلى باب قربه، يرقيه إلى العيش الدائم، يرقّيه من عجيب[٦٦] إلى رفيع، يرقيه من النجوم إلى السماء السابعة.عن قريب ترون القيامة، ترون كيف يحْشر الله عزّ وجلّ المتقين له في ظلّ عرشه، ويقعدهم على موائدٍ عليها شهد أبيضٌ، والناس منغمسون[٦٧] في الحرّ والعرق، وهم يقعدون على تلك الموائد يتفرجون على الخلق وعلى أحوالهم. قوم يُحْملون إلى الجنّات، وقوم يحملون إلى النيران. هم / قعود هناك ومنازلهم التي لهم في الجنَّة بحذائهم، تلوح إليهم [٧٨/ب] نساؤهم وغلمانهم، يرون ما لهم قبل وصولهم إليه. ما من مؤمن إلا عند الموت يكشف عن بصره؛ فيرى ماله في الجنّة، تشير إليه الحور والولدان، ويصل إليه من طيب الجنّة، فيطيب له الموت والسّكرات، يفعل الحقّ عزّ وجلّ بهم كما فعل بآسيّة امرأة فرعون عليها السلام، عذبها فرعون بأنواع العذاب، ثم جعل في يديها ورجليها أوتاد الحديد، فكُشف عن بصرها وفتحت لها أبواب السماء، فرأت الجنّة وما فيها، ورأت الملائكة وهي تبني بيتاً فيها، فقالت: ﴿... ربِّ ابن لي عندك بيتاً في الجنّة....﴾ [سورة التحريم ١١/٦٦]. فقيل لها: هذا لك فضحكت / ، فقال فرعون: ألم أقل لكم إنّها مجنونة أمَا ترونها كيف تضحك وهي [٧٩/أ] في هذا العذاب. هكذا المؤمنون يرون مالهم عند الله عزّ وجلّ عند الموت، ومنهم من يعلم بذلك قبل الموت، وهم المقربون المفردون المرادون. إذا عمل أحدكم لأجل الجنّة فلا يعدّه عملاً، اعملوا لوجه الله عزّ وجلّ، لا تفتروا عن الصيام والصلاة وجميع أفعال الخير مع مقارنة الإخلاص، أحكموا هذا الظاهر؛ فإنه يحملكم العمل به إلى وادي العلم. سيروا إلى باب ربكم عزّ وجلّ بأقدام الإيمان والإيقان، فحينئذ ترون مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

---

(٦٦) في (أ): تحجيب.

(٦٧) في (أ): مغتمون.

اسمعي يا قلوب. اسمعوا يا بلغاء، اسمعوا يا عقلاء: الحقّ عزّ وجلّ
[٧٩/ب] ما / خاطب الصبيان؛ وإنما خاطب الكبار والعاقلين. ما خاطب النفوس؛ إنما خاطب قلوبَ المؤمنين. اسمعوا كلامه وخطابه، والمشركون صمّوا عن خطابه. اللهم أيقظنا من رقدة غفلاتنا. استر علينا في جميع أحوالنا، استر علينا الخير والشر ولا تجعل بيننا وبين غيرك معاملة، ولا مدحة ولا فضيحة، لا ثناء عند المدح فنعجب، ولا عند الفضيحة فنهتك فلا هذا ولا هذا آمين.

إني أرى الأكثر منكم إنْ رأوا شرّاً نشروه وإن رأوا خيراً كتموه، لا تفعلوا. لستم وكلاء على النّاس، دعوا الناس تحت ستر الله عزّ وجلّ، دعوا الناس من بين أيديكم؛ فحسابهم على ربهم عزّ وجلّ. لو عرفتم الله عزّ وجلّ لرحمتم الخلق
[٨٠/أ] ولسترتم / عليهم. لو عرفتموه أنكرتم غيره ثم عرفتم غيره به. لو عاملتموه لكرهتم معاملة غيره. لو عرفتم بابه ولّت قلوبكم عن باب غيره. لو رأيتم النعم منه شكرتموه، ونسيتم شكر غيره. اسألوه ولا تسألوا غيره، وحّدوه وقد توحدتم. من وحّد توحّد، ومن طلب وَجدّ وَجد، ومن أسلم فاستسلم سَلِم، مَنْ وافق وفّق، ومن نازع القدر قصم.

فرعون لما نازع القدر وأراد تغير علم الله عزّ وجلّ قصمه، وفي اليمّ أغرقه، ولموسى وهارون عليهما السلام ورّثه. لما خافت أم موسى عليه السلام من الذباحين الذين أقامهم فرعون لذبح كل مولود. ألهمها الله عزّ وجلّ أنْ تلقيه في البحر،
[٨٠/ب] فخافت نَفْسُها عليه، قيل لها: ﴿... لا تخافي ولا تحزني / إنا رادّوه إليك وجاعلوه من المرسلين﴾ [سورة القصص ٢٨/٧]. لا تخافي فليأمن قلبك، ويسكن سرّك، لا تخافي عليه الغرق والهلكة؛ فسنرده إليك، ونغني به فقرك. فاستعملت له تابوتاً، وتركته فيه، وألقته في اليم، فسار على رأس الماء إلى أن أُوصل إلى دار فرعون. فلمّا تجاوزها استقبلته جواريه وابنته، وفتحوا التابوت فرأوا فيه صغيراً، فأحبوه جميعهم ووقعت رحمته في قلوبهم، ودهنوه[٦٨] وغيروا ثيابه وقميصه، وصار

من أحب الخلق إلى ابنته وجواريها، وكان كل من رآه من قوم فرعون أحبه وهو معنى قوله تعالى: ﴿... وألقيت عليه محبة مني...﴾ [سورة طه ٢٠/ ٣٩] قيل: إنه كان كل من نظر إلى عينه أحبّه، ثم ردّه إلى أمه، وربّاه في دار فرعون على الرغم منه، ولم يقدر على إهلاكه. / مَنْ اصطنعه(٦٩) الربّ عزّ وجلّ لنفسه كيف [٨١/أ] يذبح؟! كيف يهلك؟! وكيف يغرقه الماء وهو محفوظه ومكلّمه(٧٠)؟! من أحبه الحقّ عزّ وجلّ مَنْ يبغضه؟! ومن ينصره [الحق عزّ وجلّ] مَنْ يقدر على أن يخذله؟! من يغنيه [الحقّ عزّ وجلّ] من ذا الذي يُفقره؟! من يرفعه [الحقّ عزّ وجلّ] مَنْ يقدر على أن يضعه؟! من يولّيه [الحقّ عزّ وجلّ] مَنْ يقدر على أن يعزله؟! ومَنْ يقرّبه [الحقّ عزّ وجلّ] من يقدر أن يبعده؟!.

اللهم افتح لنا باب قربك، واجعلنا من أهله، واجعلنا من أهل طاعتك ومفرّديك، ومن جنودك، وأقعدنا على سماط فضلك، واسقنا من شراب أنسك، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

---

(٦٨) أي بالطيب.

(٦٩) في (أ): اصطفاه.

(٧٠) في (أ): متكلمه.

مجلس

[٨١/ب] يا عباد الله احذروا من الظلم؛ فإنه ظلمات يوم القيامة. الظلم يَسْودُّ / به القلب والوجه. إحذروا من دعاء المظلوم. احذروا من بكاء المظلوم. احذروا من إحراق قلب المظلوم. المؤمن لا يموت حتى يشتفي من ظالمه، ويَرَى موته وسواد بابه، ويُتْم أولاده، وأخذ أمواله، وانتقال ولايته إلى غيره. المؤمن إذا صار قلبياً الغالب عليه أن لا يُحْكَم عليه، بل يُحْكم له، لا يُهَان، بل يهان له، لا يُنْقضَ عليه، بل ينقضّ له، لا يستباح حريمه، ولا يذل، ولا إلى أيدي الظالم يسلّم؛ وإنّما آحاد وأفراد، يكون عليهم بقايا ذنوب فيتطهرون بالآفات والبلايا، تكون لهم في الآخرة درجات لا يصلون إليها إلا بذلك.

عليكم بالرضا بالقضاء مع أحكام الحكيم، ولزوم الأعمال الصالحة في جميع [٨٢/أ] الأحوال عند الشدة والرخاء / عندما تحبون وما تكرهون. عن بعضهم أنه قال: «مَنْ لم يرض بقضاء الله عزّ وجلّ فليس لحمقه دواء، سيكون الذي قُضي أسخط العبد أم رضي».

ويلك يا معترضاً بالقضاء على الله عزّ وجلّ لا تهذي هذياناً فارغاً القضاء لا يرده رادّ، ولا يصدّه صادّ. سلّم وقد استرحت. هذا الليل وهذا النهار أيمكنك ردّهما؟ إذا جاء الليل يقبل وأنت كاره أو راضٍ، والنهار كذلك، كلاهما يجيئان على رغمك، هكذا قضاء الله عزّ وجلّ وقدره لك أو عليك، إذا جاء ليل الفَقْر فسلّم ودع نهار الغنى، إذا جاء ليل المرض فسلّم وودّع نهار العافية، وإذا جاء ليل ما تكره فسلّم وودّع نهار ما تحب. استقبل ليل الأمراض والأسقام والفقر وكسر [٨٢/ب] الأعراض بقلب مستريح، / لا ترد شيئاً من قضاء الله عز وجلّ وقدره فتهلك، ويذهب إيمانك، وينكدر قلبك، ويموت سرّك، قال الله عزّ وجلّ في بعض كتبه «أنا

الله الذي لا إله إلا أنا، من استسلم لقضائي وصبر على بلائي وشكر على نعمائي كتبته عندي صديقاً وحشرته مع الصديقين، ومن لم يستسلم لقضائي ولم يصبر على بلائي ولم يشكر نعمائي فليطلب ربّاً سواي»[71]. إذا لم ترض بالقضاء ولم تصبر على البلاء ولم تشكر على النعماء فلا ربّ لك. التمس ربّاً غيره ولا رباً غيره؛ إنْ أردت فارض بالقضاء، وآمن بالقدر خيره وشرّه، حلوه ومرّه، وإنّ ما أصابك لم يكن ليخطئك بالحذر، وما أخطأك لم يكن ليصيبك / بالجد والطلب. إذا تحقق لك [٨٣ أ] الإيمان قدِّمْت إلى باب الولاية، فحينئذٍ تصير من رجال الله عزّ وجلّ المحققين لعبوديته. علامة الولي أن يكون موافقاً لربه عزّ وجلّ في جميع أحواله، يصير كله موافقه من غير لم وكيف مع أداء الأوامر والإنتهاء عن المناهي، لا جرم تدوم صحبته له، يصير صدراً بلا ظهر ، قرباً بلا بعد صفاء بلا كدر، خيراً بلا شرّ.

يا غلام: أنت ما أحكمت الإسلام كيف تكون مؤمناً؟ وما أحكمت الإيمان كيف تكون موقناً؟ وما أحكمت الإيقان كيف تكون عارفاً، ولياً، بدلاً؟ وما أحكمت علم المعرفة والولاية والبدلية كيف تكون محبّاً فانياً عنك موجوداً به؟! كيف تسمّي نفسك مسلماً وقد حكم عليك / الكتاب والسنّة فما عملت بحكمهما، [٨٣ ب] ولا اتبعتهما؟! من طلب الله عزّ وجلّ وجده، ومن جاهد فيه هداه؛ لأنّه قال في محكم كتابه: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وإن الله لمع المحسنين﴾ [سورة العنكبوت ٢٩/٦٩] ليس هو ظالم، ولا يحب الظلم، ليس بظلام للعبيد، وهو يعطي شيئاً بلا شيء، فكيف بشيء؟ قال عز من قائل: ﴿هل جزاء الإحسان إلا

---

(٧١) ذكر الهيثمي في المجمع، ٧/ ٢٠٧، عن أبي هند الداري، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه [وآله وصحبه] وسلم يقول: «قال الله تبارك وتعالى: من لم يرض بقضائي، ويصبر على بلائي، فليلتمس ربّاً سواي». وقد روى الطبراني في المعجم الصغير عن أنس بن مالك، ٩٠٢، بلفظ «من لم يؤمن بقضاء الله، ويؤمن بقدر الله، فليلتمس إلهاً غير الله». كما ذكره الهندي في الكنز، ٤٨٢.

انظر الروض الداني إلى المعجم الصغير للطبراني.

الإحسان﴾ [سورة الرحمن ٥٥/٦٠] ومن أحسن عمله[٧٣] في الدنيا أحسن الله إليه في الدنيا والآخرة. ما يردّكم عن طاعته وتوحيده إلّا[٧٤]ذنوبكم وجهلكم وخراب أديانكم وحرمانكم. عن قريب تأتيكم الندامة. اسمعوا آيات القرآن [٨٤/أ] بأسماع قلوبكم، هرولوا إليه من كل باب / دعوا كل باب، والزموا باب ربكم عزّ وجلّ، هو كاشف الضرّ، هو الذي يجيب المضطر إذا دعاه. اصبروا معه وقد رأيتم الخير. اشكروه إذا أجابكم، واصبروا معه على تأخير إجابتكم. الشجاعة صبْر ساعة. يا كاشف الضرّ والبلوى اكشف عنّا ضرّنا وبلوانا؛ فإنّك تجيب المضطرّ إذا دعاك. يا فعّال لما تريد يا قادر على كل شيء وقدير، يا عالماً بكل شيء، أنت العالم بحوائجنا، وأنت القادر على قضائها، أنت العالم بعيوبنا وذنوبنا، وأنت القادر على محوها وغفرها، لا تحلنا على غيرك، لا تكلنا إلى غيرك، لا تدفعنا إلى باب غيرك، ولا تردنا إلى غيرك آمين.

---

(٧٣) في «أ»: من أحسن إليه.

(٧٤) في «أ»: إلى.

مجلس

يا قوم أطيلوا الوقوف في عبادة ربكم عزّ وجلّ، فإنه أثنى على القانتين / بين [٨٤/ب] يديه. عن النبي صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم قال: «كلما طال قيام العبد بين يدي ربه عزّ وجلّ في صلاته تناثرت ذنوبه كما تناثرت الورق اليابس من الشجر في يوم ريح شديدة»[٧٥] كلما صدق العبد في طاعة الله عزّ وجلّ تناثرت ذنوبه من ظاهره وباطنه وجُملته، وتنوّر قلبه، وصفا سرّه.

يا غلام: كن صحيحاً تكن فصيحاً. كن صحيحاً في خلوتك تكن فصيحاً في جلوتكم. إذا كنت صحيحاً في الدنيا تكون في الآخرة فصيحاً في الكلام بين يد الله عزّ وجلّ، تَشْفَع وتشفّع فيمن يشاء من خلقه بعد إذنه وأمره، يقبل منك كرامة لك وإظهاراً لموضعك عنده. كن صحيحاً فيما بينك وبين ربك تكن فصيحاً في تعليم خلقه، تصير معلماً مؤدباً / لهم. [٨٥/أ]

ويحك تقعد في هذا المقام، تعظ الناس ثم تضحك معهم، وتحكي حكايات مضحكة لا جرم لا تفلح ولا تفلحون. الواعظ معلم مؤدّب، والسامعون كالصبيان، والصبي لا يُعَلّم إلا بالخشونة، ولزوم الحرمة والعبوس، وآحاد وأفراد منهم يتعلمون بغير ذلك، موهبة من الله عزّ وجلّ.

يا قومّ: الدنيا فانية، الدنيا قيود وأحزان وهموم وحجاب عن ربكم عزّ وجلّ. انظروا إليها بعين قلوبكم لا بعين رؤوسكم، عين القلب تنظر إلى المعاني، وعين الرأس تنظر إلى الصور. المؤمن كلّه لله عزّ وجلّ ليس فيه ذرّة لخلق الله عزّ وجلّ،

---

(٧٥) لم نعثر عليه.

هو بظاهره وباطنه معه، لا يتحرك إلا له ولا يسكن إلاّ لَه، لا يتحرّك إلا به،
[٨٥/ب] ولا يسكن إلا به، فهو به ومنه وفيه، المؤمن تأتيه أقسامه / تطرق بابه وهو نائم عنها، تأتيه وتقف في خدمته، وأنتم قد جَعلْتم كل شغلكم العَدْو خلف أقسامكم والحرص عليها، قد نسيتم الموت وما وراءه، وقد نسيتم الحقّ عزّ وجلّ، وتغييره وتبديله، وتركتموه وراء ظهوركم، قد أعرضتم عنه ووقفتم مع الدنيا والخلق والأسباب، الأكثرون منكم يعبدون الدنيا والدرهم، ويتركون عبادة الخالق والرازق، كل هذه الدواهي من نفوسكم، فعليكم بحبسها في سجن المجاهدات، وقطع موادها حتى تكون أمنيتها في كِسْرة يابسة، وجرعة من ماء، يصير هذا كله
[٨٦/أ] شهوتها، إذا سمنتموها بأنواع الشهوات / أكلتكم، تصير كما قال بعضهم: (إذا سمنْتَ كلبك أكلك) أيُّ خَيْر يرجى منها وقد قال الله عزّ وجلّ في حقها ﴿.... إن النفس لأمارة بالسوء إلا ما رحم ربِّي...﴾ [سورة يوسف ١٢/٥٣].

يا قوم: تذكروا واذكروا، إنّما يتذكّر أولوا الألباب، القوم هم أولوا الألباب. عقلوا أمر الدنيا فزهدوا فيها، ثم عقلوا أمر الآخرة فدخلوا إليها حتى إذا أُنْبتت لهم أشجارها، وجرت لهم أنهارها وتمكّنوا منها يقظة ومناماً جاءتهم محبة الحق عزّ وجلّ، فقاموا عنها، وسافروا عنها وخرجوا منها، وشدوا أوساط قلوبهم، وتوجهوا نحو باب ربهم عزّ وجلّ، فصاروا من الذين يريدون وجهه ولا يريدون
[٨٦/ب] غيره، تبرّكوا بهؤلاء القوم، اقْصدوهم، اخدموهم، تعرفوا / إليهم وتأدّبوا في صحبتهم. اللهم ارزقنا حسن الأدب معك ومع الصالحين من خلقك في جميع الأحوال، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار..

مجلس

تباً لك يا عبد الدنيا، ويا عبد الخلق، ويا عبد القميص والعمامة والدرهم والدينار والحمد والذم.

ويحك كلك للدنيا، كلك لغير ربّك عزّ وجلّ، أين حظّه منك في خلوتك وجلوتك؟ وما خلقك إلا لعبادته، كل مَنْ له عقل ولبّ وتحصيل يعبد ربّه عزّ وجلّ، ويرجع إليه في مهمّاته، ومن ليس له عقل لا يفعل ذلك، يكون قلبه ممسوخاً بالخلق، ويحب الدنيا. كثير من يدعي الإسلام بظاهره، يقول مثل ما قال الكفار ﴿إنْ هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا / وما يهلكنا إلا الدهر﴾ [سورة الجاثية ٤٥/٢٤] الكفار قالوا هذا كثير وكثير منكم يقولون ذلك، ويسرّونه، يقولون بأفعالهم التي تصدر منهم، فما لهم عندي قدر ولا وزن جناح بعوضة فكيف عند الحقّ؟! لا عقل لهم ولا تمييز عندهم يفرقون به بين النفع والضرّ. [٨٧/أ]

يا عباد الله: اذكروا الموت وما وراءه، اذكروا الحقّ عزّ وجلّ وتصاريفه في خلقه وفي ربوبيته وعظمته، وتفكروا في ذلك إذا خلوتم عن أهاليكم، ونامت العيون. إذا صحَّ القلب لله عزّ وجلّ فلا يدعه مع البيع والشراء والأخذ بالأسباب يُميّزه ويُخلّصه ويقيمه من سقطته، وعلى بابه يقعده، وفي بحر لطفه ينومه.

يا معرضاً[٧٦] عن ربه عزّ وجلّ، سوف ترى إذا انجلى الغبار، عن قريب ترى خراب بيتك، وبطش الحق / عزّ وجلّ بك إنْ لم ترجع وتلتفت وتنتبه. [٨٧/ب]

ويحك قميص إسلامك مخرّق، وقميص إيمانك نجس، إيمانك عريان، قلبك

---

(٧٦) في (أ): يا ناسيا.

جاهل، سرّك مكدّر، صدرك بالإسلام غير مشروح، باطنك خراب، وظاهرك عامر، صحائفك مسوده، ودنياك التي تحبّها عنك راحلة، والقبر والآخرة مقبلان إليك، تنبّه لأمرك، وما تصير إليه عن قريب، ربما كان موتك اليوم، أو في هذه السّاعة، يحال بينك وبين آمالك، من علم ما يطلب هان عليه ما يبذل. الصادق في المحبّة لا يقف مع غير محبوبه. إذا قال الواحد من الخلق قد سمعْتُ بخبر الجنة وما فيها من النعيم بقوله عزّ وجلّ: ﴿... وفيها ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين...﴾ [سورة الزخرف ٤٣/٧١] فما ثمنها؟ قلنا له: قال الله عزّ وجلّ / [٨٨/أ] ﴿إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة...﴾ [سورة التوبة ٩/١١١]. سَلِّم النفس والمال وقد صارت لك. قال آخر: أريد أن أكون من الذين يريدون وجهه، قد لَمح قلبي باب القرب، وأُري المحبين الدّاخلين فيه والخارجين منه عليهم خلع الملك، فما ثمن الدخول إليه؟ قلنا له: أبذُل كلّك، واترك لذاتك وشهواتك، وافْنَ فيه عنك، ودع الجنّة وما فيها واتركها، ودع النفس والهوى والطبع، ودع الشهوات الدنياوية والأخروية، ودع الكل واتركه وراء ظهر قلبك، ثم ادخل؛ فإنك ترى مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

يا غلام: قل الله ثم ذرهم، قل الذي خلقني فهو يهدين. يا زاهداً في الدنيا إذا خرج قلبك منها طالباً للآخرة فقل: / الذي خلقني فهو يهدين. وأنت يا مريد [٨٨/ب] الحق عزّ وجلّ، الرّاغب فيه، الزاهد فيما سواه، إذا أُخرج قلبك من باب الجنّة طالباً لمولاه فقل: الذي خلقني فهو يهدين، استعذ(٧٧) بهدايته من زعار(٧٨) الطريق.

---

(٧٧) نقص من «أ» أي التجيء.

(٧٨) زَعِر الرجل: إذا ساء خلقه وقلّ خيره.

يا قوم: أجيبوني فإنّي داعي الله عزّ وجلّ. ارجعوا إلى خالقكم بقلوبكم أنتم موتى كلكم بعد قريب، استفتحوا باب التوبة إليه، والاعتذار بين يديه، راقبوه، اعلموا أنّه مطّلع عليكم رقيب وقريب وشاهد، أما سمعتم قوله تعالى: ﴿. . . ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما كانوا. . .﴾ [سورة المجادلة ٥٨/٧].

كلوا من طعام ذكره، واشربوا من شراب أنسه، استغنوا بقربه، يا موتى القلوب، يا قعوداً على الرّبا، قوموا قبل أن تغوصوا / قوموا قبل أن تهلكوا. [٨٩/أ] يا قعوداً على مكان الجُزر قوموا قبل أنْ يأتيكم المدّ، قوموا [فقد] دخل الماء تحتكم، قوموا من أرض شرككم إلى أرض توحيدكم. يا ربّنا أقمنا على جادة ترضيك عنا، لا تزغ قلوبنا بعد إذْ هديتنا، لا تُمِل قلوبنا عن الحق، لا تخرجها عن اتباع كتابك وسنة نبيك محمد صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم والعمل بهما، لا تخرجنا عن جادة من تقدم من الأنبياء والمرسلين والشهداء والصالحين، اجعل أرواحنا مع أرواحهم أدخلنا إلى دار قربك في الدنيا قبل الآخرة، آمين.

لو كان للمحبين يوم القيامة طريق إلى الامتناع من دخول الجنة لما دخلوها؛ لأنّهم يقولون: أيّ شيء نعمل بالتّكوين؟! نريد المكوِّن. أي شيء نعمل بالجنّة؟!/ نريد الخالق. أيّ شيء نريد بالصنعة نريد الصانع، أي شيء نعمل [٨٩/ب] بالحديث؟ نريد القديم. هذا القلب إذا صحّ [و] كان بهذه الصفة فلا جرم يقرّب من الحقّ عزّ وجلّ. ـ إذا صحّ ترك الدنيا والخلق في الجملة صحّ له القرب. ويلك أنا واقف على باب الحقّ عزّ وجلّ من حال صغري إلى الآن، وأنت ما رأيته قط، ما رأى قلبك الباب ولا صاحبه. أنت بالشرق وهذا الذي أشير إليه بالغرب. كن عاقلاً بما تربّيتُ وربّيْتُ، ما عقلْتُ عقلي إلا وأنا على بابه مع خواص من عباده. قل قد صدق الأمير وإلا حزّ عنقك، يا صاع يوسف تحدّث بما عندك، أخبر بما وراءك(٧٩).

يا غلام: تحدّث من قلبك وصدقك وإلا فاخرس. أنفق من معدنك، من كنزك، من بيتك، وإلا فلا تسرق / وتنفق. أطعم الناس من طبقك، واسقهم من معينك. المؤمن العارف يسقي ويشرب من معين لا ينضب ماؤه أبداً، معين حفره بمعاول مجاهداته وصدقه. [٩٠/أ]

يا غلام: لا جنّة قِبَل الدنيا ولا قرب الجنة[٨٠]، يقْرب العبد من الدنيا ويريدها، ثم تبيّن له عيوبها؛ فيزهد فيها، ويقنع مها بالبلغة ومالا بد منه، يأخذ ذلك منها بيد الشرع والتقوى والورع. يأخذ ذلك من يد الزهد، من يد القلب، لا من يد النفس والهوى والشيطان فإذا تمّ له هذا جاءت الجنّة؛ لأن زهده في الدنيا ثمن الجنة ومفتاحها، فإذا دخلها قلبه واستقرت أقدامه فيها، وتمكّن سره منها، وسهلت أمورها عليه، فبينما هو كذلك إذ رأى رجال الحقّ عزّ وجلّ / وهم سائرون إليه قال لهم: إلى أين؟ قالوا له: إلى باب الملك، ثم شوّقوه إليه، ونبّهوه عليه، وزهّدوه في الجنّة وفيما هو عليه، وقالوا له: نحن من الذين قال الله عزّ وجلّ في حقّهم ﴿... يريدون وجهه...﴾ [سورة الكهف ١٨/٢٨] فضاقت عليه أرض الجنّة برحبها، وطلب الانفلات منها وناشدها: أريني خير طرق الباب حتى أخرج، قد صرْت كالطير المحبوس في القفص، قد صار قلبي في سجنك؛ لأنّ الدنيا سجن المؤمن، وأنت سجن العارف، فيخرج منها مهرولاً فيلحق بالقوم الذين سبقوه. هذا طريق السالكين، وأما طريق المجذوبين فإن بارق القرب يقتنصهم في أول قدم من غير تدريج وواسطه. اللهم اجذب قلوبنا إليك. وآتنا في الدنيا / حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار. [٩٠/ب] [٩١/أ]

= (٧٩) قصد الشيخ الصاع الذي وصفه يوسف في رحل أخيه، وذلك عندما وضعه لإظهار ما يكنّه في نفسه من خير ليوسف وإخوته وليخلصهم من قسوة العيش...

ولعل في ذلك إشارة من شيخنا الجيلاني حمه الله إلى ما يحمله من خير إلى الناس منذ صغره، وبما أكرمه الله به لخدمة عامة المسلمين.

(٨٠) أي لا جنّة مع طلب الدنيا، وأن الاشتغال بها يبعده عن الجنة.

مجلس

القوم لهم أعمال كالجبال من الخير، وهم لا يعدونها عملاً، يتواضعون ويذلّون أنفسهم، كن عاقلاً على قدم ذلّك وتواضعك، كن على قدم التواضع والحذر والخوف من المحو[٨١]، ومن كدر صفاء السر وضيقه، وضيق الصدر. إذا دمت على ذلك جاءك الأمن من الله عزّ وجلّ، ختم على قلبك وسرّك، وانكتب على حيطان خلوتك، يصير لها ولجوارحك إشارات وألسن وتسبيح وذكر، يسمع قلبك عجائباً ولا يخرج إلى فيك منه كلمة، لا يَسمع ظاهرك والخلق منه كلمة، يكون شيئاً لا يتعداك، يصير ذلك نعمة تعرفها، تتحدث بها في نفسك ﴿وأما بنعمة ربّك فحدث﴾ [سورة الضحى ٩٣/١١] يا وليّ تحدث بهذه / النعمة الباطنة، أنت [٩١/ب] ونفسك، وأنت يا بني: تحدث بنعمة ربّك عزّ وجلّ وكرامته لك مع الجلوة؛ لأن الولي من شرطه الكتمان، والنبي من شرطه الإظهار. إظهار أمر الولي إلى الله عزّ وجلّ، فإن أظهر هو أمره ابتلي وسلب حاله، إذا أظهر أمره[٨٢] بلا أمره[٨٣] بمجرد فعل الله عزّ وجلّ لا يكون عليه مؤاخذة ولا عتاب إذْ فاعل ذلك غيره لا هو. قال لي قائل: أرى أن كل من وقع به يكتمه وأنت تظهره؟!. قلت له: ويلك ما تظهّرْنا شيئاً، هذا يظهر غلبةً لا قصداً، كلما امتلأ حوضي نقّصته، فإذا جاء السّيل غلبه وفاض حواليه بلا اختياري، ماذا أفعل؟ ويحك تنقطع للفتوح. مالك وللزاوية[٨٤] والخلق ملاءة قلبك. عليك بالصحارى / والبراري، فإذا [٩٢/أ]

---

(٨١) المحو: زوال الإيمان وأثره.

(٨٢) الفاعل يعود على الله عزّ وجلّ.

(٨٣) أي أمر الوليّ.

(٨٤) يستنكر شيخنا رحمة الله عليه على القائل الذي يغمز من قناته بقوله: إنّ على الوليّ أن

وقعت هنالك بكنز القرب فدونك القعود بين الخلق، فحينئذ تكون دواءً لهم[٨٥].
رحم الله المؤمن بما أقول، الذائق لما أقول، العامل به في خلوته وجلوته.

يا قوم: جاهدوا واجتهدوا ولا تيئسوا، فمن ساعة إلى ساعة فرج، أمَا سمعتموه عزّوجل كيف قال: ﴿... لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً﴾ [سورة الطلاق ١/٦٥] خافوا من ربكم عزّ وجلّ وارجوه، أما سمعتم كيف قال: ﴿... ويحذركم الله نفسه...﴾ [سورة آل عمران ٢٨/٣] على قدر خوفكم وحذركم ترون الأمان. توكلوا على ربكم واتقوه، أما سمعتموه كيف قال: ﴿... ومن يتوكل على الله فهو حسبه...﴾ [سورة الطلاق ٣/٦٥]. اللهم أغننا عن خلقك، أغننا عن الذين قد جمعوا أموال خلقك، وتركوها تحت أرجلهم، وتكبروا عليهم / بها، وهم غائصون في تيه عجبهم[٨٦]، والفقراء [٩٢/ب] يسألونهم ويستغيثون بهم وهم يتصاممون. اللهم اجعلنا ممّن ينزّل حوائجه بك، يستغيث بك في مهماته. قيل لسفيان رحمه الله: من الجاهل فقال: (هو الذي لا يعرف الله عزّ وجلّ حتى يطلب حوائجه من الله عزّ وجلّ، مثله كمثل رجل يعمل في دار ملك شغلاً، أمره الملك بعمله فترك العمل، وخرج إلى باب رجل في

يكتم ولايته ولا يذيعها كما يفعل الشيخ. فيردّ عليه مدافعا عن نفسه بأمرين:
الأول: ان ولايته تفيض رغما عنه علوماًعلى الخلق.
الثاني: أن على السائل أن لا يتصدّى لهذا الفيض الذي يظهره الله تعالى على لسانه، فالسائل لم يكن عالماً بأحوال الأولياء ذوي القلوب الخالية مما سوى الله عزّ وجلّ؛ بل كان يجب على المعترض أنْ يطهّر قلبه من حبِّ الدنيا والخلق والناس أجمعين.
وربما قصد الشيخ من ذلك أنه لا فائدة من الكتمان والإنزواء والقلب مشغول بحبِّ الناس والخلق.

(٨٥) في (أ): المزاربة وهم الحمقى والدّجالون.

(٨٦) في «أ»: حجبهم.

جوار الملك يطلب منه كسرة يأكلها، أليس إذا عَلِم الملك بذلك مقته، ومنعه من الدّخول إلى داره.

يا موتى القلوب: اسمعوا وأنا أراه عليكم[87]، كيف تموتون وما عرفتم ربكم عزّ وجلّ. اللهم ارزقنا معرفتك، وإخلاص العمل لك /، وترك العمل لغيرك،[٩٣/أ] وارزقنا علم حكمك الظاهر، وعلم الباطن، صبّرنا ورضّنا، طيّب لنا مرارة بلائك الذي قد سبق به علمك لنا، أمِت لحوم قلوبنا حتى لا تؤلمنا معاريض قدرتك، حتى تدوم لنا صحبتك آمين.

يا غلام: ما هو لك لا يفوتك وما يأكله غيرك، وما هو لغيرك لا يأتيك بالرغبة فيه والحرص عليه، إنماهو أمسكالذي مضى، ويومك الذي أنت فيه وغداً الذي يأتي، أمسُك صار موعظتك، ويومك حالك الذي أنت فيه، وغداً، أجل، إمّا أنْ تكون فيه أو لا تكون؛ لأنك لا تدري ما اسمك غداً، فستذكرون ما أقول لكم وتندمون. ويحك تبيع حضورك عندي لأجل ربح حبّة أو حبّتين، إنّما / قَطَعك [٩٣/ب] عني جهلك بما أنا فيه وبما أقول، قد جهلت أصله وفرعه، وقد جهلت معينة وجِبِلّه ومنبعه، لو علمت وعرفت ما انقطعت، ستذكرون بعد وقت ما أقول لك من النصيحة، سترى بعد الموت عاقبة كلامي ﴿فستذكرون ما أقول لكم وأفوض أمري إلى الله﴾ [سورة غافر ٤٠/٤٤] قولوا لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

أحبّ الأشياء إلى المؤمن العبادة، أحبّ الأشياء إليه القيام في الصلاة. هو قاعد في بيته وقلبه ينتظر المؤذّن الذي هو داعي الحقّ عزّ وجلّ. إذا سمع الآذان دخل إلى قلبه سرور، يطير إلى المساجد والجوامع، يفرح بمجيء السّائل إليه إذا كان عنده شيء يعطيه، لأنه سمع قول النبي صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم:

---

(٨٧) أي أرى صفة هذا الرجل عليكم.

«السائل هدية الله عزّ وجلّ إلى عبده»[٨٨]. كيف لا يفرح وقد نفذ [أمر] ربّه عزّ وجلّ يستقرض منه على يد الفقير. عن النبي صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم أنه قال: يقول الله عزّ وجلّ يوم القيامة لعباده المؤمنين «آثرْتم آخرتكم على دنياكم وآثرتم عبادتي على شهواتكم وبعزتي وجلالي ما خلقت الجنة إلا لكم»[٨٩]. هذا قوله لهؤلاء، وأما قوله للمحبين له: «أنتم آثرتموني على جميع خلقي دنياي وآخرتي أي عزلتم الخلق عن قلوبكم ونحيتموهم عن أسراركم، هذا وجهي لكم، وقربي لكم وأنسي لكم، أنتم عبادي حقّاً.

من الأولياء من يأكل في نومه من طعام الجنة، ويشرب من شرابها، ويرى جميع ما فيها، ومنهم من يفنى عن المأكول والمشروب / ويُعزل عن الخلق، ويحجب عنهم، ويعمَّر في الأرض بلا موت كالياس والخضر. لله عزّ وجلّ عدد كثير منهم محجوبون في الأرض يرون الناس وهم لا يرونهم. الأولياء فيهم كثرة، والأعيان منهم فيهم قلّة آحاد وأفراد، مفردين، والكلّ يأتونهم، يتقربون إليهم، هم الذين تنبت بهم الأرض، وتمطر السماء، ويُدْفع البلاء عن الخلق. [٩٤/ب]

الملائكة طعامها وشرابها ذكر الحقّ عزّ وجلّ والتسبيح والتهليل. وآحاد وأفراد من الأولياء من يصير طعامهم ذلك. ما أكثر غبنك أيها الصحيح الفارغ. عن النبي صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ»[٩٠].

[٩٥/أ] استعمل صحتك وفراغك في طاعة الله عزّ وجلّ / قبل أن يجيئك مرض

(٨٨) أخرجه القضاعي في مسند شهاب، ١٤٩، كما ذكره الهندي في الكنز، ١٦٠٧٨

(٨٩) لم نعثر عليه.

(٩٠) أخرجه البخاري في صحيحه، عن ابن عباس،كتاب الرقاق، باب الصحة والفراغ، ٨ ـ ١٥٨ ـ، ٦٤١٢ وأخرجه الترمذي، كتاب الزهد، باب الصحة والفراغ، ٢٣٠٥، والديلمي في الفردوس، ٦٧٩٥.

يفسد صحتك، وشغل يذهِب فراغك، اغتنم غناك قبل فقرك فإن الغنىلا يدوم. أكرم الفقراء وأشركهم فيما بيدك؛ فإن الذي يعطيهم هو الذي يحصل لك عند ربّك وينفعك في آخرتك.

ويحكم اغتنموا حياتكم قبل موتكم. اتعظوا بالموت. قال النبي صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم: «كفى بالموت واعظاً»(٩١). الموت يُبْلي كل جديد، ويقرب كل بعيد ويكدر كلّ صافٍ. الموت ليس عنه فوت، ربما جاء في هذه الساعة، أو في هذا اليوم. الأمر بيد غيركم ليس هو بأيديكم، كل ما أنتم فيه عارية: شبابكم، وصحتكم، وفراغكم، وغناكم، وحياتكم، عندكم عارية، فليكن همّكم ما أهمّكم. ويلك كيف تأمر غيرك بالصبر وأنت / جزع، كيف تأمر بالشكر على [٩٥/ب] النعم وأنت تارك لشكرها، تأمره الرضا بالقضاء وأنت ساخط. كيف تأمره بالزهد في الدنيا وأنت راغب فيها وتأمره بالرغبة في الآخرة وأنت زاهد فيها، تأمره بالتوكل على الله عزّ وجلّ وأنت متوكل على غيره، وأنت ممقوت الحقّ عزّ وجلّ وملائكته، وممقوت قلوب الصديقين الصالحين من عباده، أمَا سمعت قول بعضهم:

لا تنـه عن خلق وتـأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم(٩٢)

---

(٩١) ذكره الهيثمي في المجمع، ١٠/ ٣٠٨، عن عمّار أن النبي صلى الله عليه [وآله وصحبه] وسلم قال: «كفى بالموت واعظا، وكفى باليقين غنى». وقد روى الترمذي في كتاب الزهد، في باب ما جاء في ذكر الموت، ٢٣٠٨، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله وصحبه] وسلم: «أكثروا ذكْر هادم اللذات، يعني الموت». وقد ذكر العجلوني في الكشف. ٥٠٠، الحديث عن العسكري بلفظ: «مر رسول الله صلى الله عليه [وآله وصحبه] وسلم بمجلس من مجالس الأنصار وهم يمرحون ويضحكون، فقال: أكثروا ذكر هاذم اللذات؛ فإنّه لم يذكر في كثير إلا قلله، ولا في قلل إلا كثّره، ولا في ضيق إلا وسعه، ولا في سعة إلا ضيقها».

(٩٢) هو لأبي الأسود الدؤلي في الديوان لابن سعيد العسكري بتحقيق محمد حسن آل ياسين ص ٤٠٣ ومنها: =

كلك خَلق[٩٣]، كلك نفاق، فلا جرم لا تزن عند الله عزّ وجلّ جناح بعوضة. أنت مع المنافقين في الدرك الأسفل من النار. الثبات على كلامي علامة الإيمان، والهرب منه علامة النفاق. اللهم تب علينا ولا تفضحنا في الدنيا / [٩٦/أ] والآخرة، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

= يا أيها الرجل المعلم غيره ... هلّا لنفسك كان ذا التعليم
ابدأ بنفسك فانهها عن غيّها ... فإذا انتهت عنه فأنت عظيم
فهناك يُسمع ما تقول ويشتفى ... بالقول منك وينفع التعليم
لا تنه عن خلق وتأتي مثله ... عار عليك إذا فعلت عظيم

(٩٣) خلق: بفتح اللام، افتراء، وقريء ﴿إن هذا إلا خلق أولين﴾ [سورة الشعراء ١٣٧/٢٦] أي كذبهم واختلافهم.

مجلس

يا قوم: دعوا عنكم القال والقيل، والجمع للدنيا والمخاصمة عليها، أنتم معاقبون بما في أيديكم من الدنيا إنْ لم تؤدوا منه حقوق الفقراء والمساكين، وتنفقوا البقية في طاعة الله عزّ وجلّ وعبادته.

ويحكم أنتم وكلاء في هذه الأموال، أَمَا تستحيون في جيرانكم، فقراء ويموتون جوعاً وأنتم مُعْرضون عنهم، أمَا سمعتم ربّكم قال: ﴿وأنفقوا ممّا جعلكم مستخلفين فيه...﴾ [سورة الحديد ٥٧/٧] فقد أخبركم أنكم مستخلفون فيه، وأنتم قد تملكتم عليه، وقد خرجتم عليه خوارج، ما أمركم بإخراج الكلّ، بل جعل للفقراء حقّاً معيّناً وهو: الزكاة، والكفارات، والنذور. أقضوا حقوق / [٩٦/ب] الفقراء، ثم اقضوا حقوق الأهل والأقارب، المواساات بعد إخراج الزكاة من أخلاق المؤمنين، من عامل الله عزّ وجلّ ربح، وأصدق القائلين قال في محكم كتابه: ﴿... وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه...﴾ [سورة سبأ ٣٤/٣٩].

يا غلام أُخْرج بقلبك عرياناً عما بيدك. انعزل عن جميعك حتى تُعطى عوض جميع ذلك، ويحك الخلق لا ينفعونك ولا يضرّونك إلا بعد توقيع من الله عزّ وجلّ إلى قلوبهم. هي بيده يحركها كيف يشاء، تارة في التسخير، وتارة أخرى في التسليط، أمَا سمعتم كيف قال: ﴿ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها...﴾ [سورة فاطر ٣٥/٢] يا غلام: إذا جاء البلاء إليك استقبله بالإيمان والصّبر والتسليم. اصبر عليه ومعه حتى تذهب أيامه وتنمحق أوقاته /، يا مريداً [٩٧/أ] لا تهرب من باب مُرَادك لأجل سهام بلائه، أثبت وقد وقعت بمرادك، إذا ابتلي المريد يحتاج إلى أستاذ يطبّه في بلائه، يداويه بشربات الصّبر والشكر، يأمره بأخذ شيء وترك شيء، يأمره بالإعراض عن نفسه وترك القبول منها، من صَدَق في

صحبة شيخه نفعه الله عزّ وجلّ عاجلاً وآجلاً. يا حائلاً بين الماء المالح والعذب، حُل بيننا وبين التسخط عليك، والمنازعة لك في أقدارك، حل بيننا وبين معاصيك ببرزخ من رحمتك آمين.

يا غلام: إني أراك قرين الشيطان أو خليفته قد أمّنته على نفسك، وصادقته وهو يأكل لحم دينك وتقواك، ويضيع رأس مالك، وما عندك خبر. ويحك ادفعه عنك / وهرِّبه من عندك بالذكر الدائم، عليك بالذّكر الدائم؛ فإنّه يهلكه ويهزمه ويقلل جمعه. اذكر الحق عزّ وجلّ بلسانك تارة، وبقلبك تارات. غيِّر طعامك وشرابك. استعمل الورع في جميع أحوالك. استعن على هزم الشيطان بقول: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ما شاء الله كان، لا إله إلا الله الملك الحق المبين، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده بهذا ينغلب وتنكسر شوكته وتنهزم جنوده. عرش إبليس على البحر، وهو يبعث جنوده على الأرض. أعظمهم حرمة عنده أشدهم فتنة لابن آدم. الأدب في حقّ العارف فريضة كالتوبة في حقّ العامي. كيف لا يكون متأدّباً وهو أقْرب الخلق إلى الخالق. مَنْ عاشر / الملوك بالجهل كان جهله مقرّباً له إلى قتله. كل من ليس له أدب فهو ممقوت الخلق والخالق. كل وقت ليس له فيه أدب فهو مَقْتٌ. لا بد من حسن الأدب مع الله عزّ وجلّ.

[٩٧/ب] [٩٨/أ]

يا غلام: لو عرفتني ما برحت من بين يدي، وتبعتني أينما توجهت، ما كنت تقدر [أنْ] تبرح سواء استخدمتك أو بطلتك، أخذت منك أو أعطيتك، أفقرتك أو أغنيتك أتعبتك أو أرحتك. أصل هذا كلّه حسن الظّنّ وإصلاح النيّة، فقد عدمتهما، فكيف تفلح بصحبتي وتنتفع بكلامي. اللهم لا تجعل سماعهم لهذا الكلام حجّة عليهم، واجعله حجة لهم. وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

مجلس

من عمل صالحاً صار عمله نوراً يسعى بين يديه ومركوباً / تحته، تظْهَرُ أعمال [٩٨/ب] قلبه على وجهه، يصير وجهه كالبدر ويصير كأنه ملك يفرح قلبه بما يرى من إكرام الله عزّ وجلّ له، يبشره عمله بما أعدّ الله عزّ وجلّ له في الجنة.

العمل الصالح يصير صورة يقول له: أنا بكاؤك وصبرك وتقواك وإيمانك ويقينك وصلاتك وصومك ومجاهدتك وشوقك إلى ربّك عزّ وجلّ، ومعرفتك له وعلمك به وحسن عملك وأدبك بين يديه عزّ وجلّ، فيزول ثقله، ويسكن روعه، وينقلب خوفه أمناً، وشدّته رخاءاً.

وأما من لم يعمل صالحاً، وبارز ربّه عزّ وجلّ بالعظائم فأثقال معاصيه وأحمالها على ظهره: الجوع والعطش والخوف في باطنه، والذل أمامه، والملائكة تسوقه من ورائه، يحبو حبواً، ويجرّ نفسه جرّاً / حتى يحضر عرصات القيامة، ثم تأتيه المناقشة [٩٩/أ] والمحاسبة، فيحاسب حساباً شديداً، ثم يوقع له بالنار فيعذب بها، فإن كان من أهل التوحيد عوقب على قدر أعماله، وأخرجه الله عزّ وجلّ من النار برحمته، وإن كان من أهل الكفر فهو مخلد في النار مع أبناء جنسه.

يا غلام: إذا دمت على التوبة والفكر الصحيح تركت ما للدنيا واشتغلت بما للآخرة، تركت ما للخلق واشتغلت بما للخالق، تركت الشرّ وعملت الخير. يا تاركاً التفكّر والتوبة، أنت خاسر وما عندك خبر! أنت خاسر غير رابح، مثلك مثل رجل يبيع ويشتري ولا يحسب ما ينفق، ولا يجود النقد فبعد قليل ينظر وقد ذهب رأسه ماله، والذي قد بقي معه شبه فضّة رديّة.

ويلك قد ذهب رأس / مالك الذي هو عمرك وما عندك خبر، كل كسبك [٩٩/ب]

بهرج، وغيرك من المؤمنين كل كسبه جوهر، عن قريب يوفّى المؤمن ما عمله[٩٤]، وتؤخذ أنت تحبس، ما يقبل من الذي معك ذرة، إنّما يقبل الحقّ عزّ وجلّ الإخلاص، ولا إخلاص عندك. أمَا سمعتم قول النبي صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم: «حاسبوا أنفسكم قبل أنْ تحاسبوا، وزنوها قبل أن توزنوا، وتزيّنوا للعرض الأكبر»[٩٥]. قيل: كل من يريد اللّهُ عزّ وجلّ أن يكون عارفاً به وليّاً من أوليائه محبّاً من أحبّائه مراداً من مراديه، يوكّل به ملكاً في خلوته وجلوته، يربّي قلبه كما ربّى نبيه، يلهمه الخير ويصرفه عن الشرّ. كما قال عن يوسف عليه السلام ﴿. . . كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء إنّه / من عبادنا المخلصين﴾ [١٠٠/أ] [سورة يوسف ١٢/٢٤] هذا فعله مع الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين والصادقين. اجتاز عيسى عليه وعلى نبيّنا السلام صبياناً وهم يلعبون فقالوا له: تعال العب معنا، فقال: سبحان الله ليس للعب خلقنا.

نفوس القوم أمّارة بالخير لا بالسوء، التحقت بالقلوب بعد المجاهدة لها، كلّما جوهدت اطمأنت وحنّت إلى الرفيق الأعلى، يصير سماع القرآن كل أمنيتها، وقبل هذا كانت تسمعه صورة لا معنى، لا تكثروا من سماع الهذيان والكلام: فإنّ القرآن به حياة القلوب، وصفاء الأسرار، وأساس جوار الرحمان عزّ وجلّ في الجنّة. المؤمن يعرف الخلق، له فيهم علامات، قلبه حساس ينظر بنور الله عزّ وجلّ الذي / سكن في قلبه النور، نور القلوب. الطهارة طهارة القلوب [١٠٠/ب] والأسرار والخلوات. إذا لم يكن قلبك طاهراً وخلوتك[٩٦] طاهرة فما تنفعك طهارة

---

(٩٤) في (أ) و(ب): ما عليه.

(٩٥) ذكره أحمد في الزهد، ١٤٩، من قول عمر بن الخطاب. عن ثابت بن الحجاج قال: قال عمر رحمه الله (حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا؛ فإن أهون عليكم في الحساب غدا أن تحاسبوا أنفسكم وتزنوا للعرض الأكبر، يوم تعرضون لا تخفى عليكم خافية).

(٩٦) في (أ): وخلقك طاهرا.

ظاهرك، لو اغتسلت كل يوم ألف مرة ما زال من وسخ قلبك شيء. المعاصي لها رائحة خبيثة، يَعْرِف بها الذين ينظرون بنور الله عزّ وجلّ، لكنهم يسترون على الخلق ولا يفضحونهم.

ويحك أنت كسلان، فلا جرم لا يقع بيدك شيء؛ جيرانك وإخوانك وأقاربك قد سافروا وفتشوا وحضروا فوقعوا بالكنوز، ربح الدرهم معهم عشرة وعشرين، ورجعوا غانمين، وأنت قاعد في مكانك. عن قريب يذهب هذا القدر اليسير الذي بيدك، وتطلب بعد ذلك من الناس.

ويحك جاهد / في طريق الحق عزّ وجلّ، ولا تتكل[97] على قَدَره، أما [١٠١/أ] سمعت كيف قال: ﴿والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا...﴾ [سورة العنكبوت ٢٩/ ٦٩] جاهد وقد أتتك الهداية، بك لا تجيء ولا بدّ منك، وحدك لا تجيء، أسرع وقد جاء غيرك، وتمّم شغلك، وكل شيء بيد الله عزّ وجلّ فلا تطلب شيئاً من غيره، أما سمعت كيف يقول في محكم كلامه القديم ﴿وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلّا بقدر معلوم﴾ [سورة الحجر ١٥/ ٢١]. أبَقيَ بعد هذه الآية كلام؟!.

يا طالب الدنيا والدّرهم هما شيء، وهما بيد الله عزّ وجلّ، فلِمَ تطلبهما من الخلق؟! ولم تطلبهما بلسان شركك بهم واعتمادك على الأسباب. اللهم يا خالق الخلق، يا مسبّب الأسباب، اعصمنا من قيد الشرك بخلقك وأسبابك / وآتنا في [١٠١/ب] الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

---

(٩٧) في (أ): ولا تتكلم.

مجلس

يا عباد الله أنتم في دار الحكمة لا بد من الواسطة، اطلبوا من معبودكم طبيباً يطبُّ أمراض قلوبكم، مداوياً يداويكم، دليلاً يدلكم ويأخذ بأيديكم(٩٨). تقربوا إلى مقرّبيه، ومفرّديه، وحجاب قربه وبوابي بابه. قد رضيتم بخدمة نفوسكم ومتابعة أهويتكم وطباعكم، تجتهدون في رضاء نفوسكم وشبعها من الدنيا، وهو شيء لا يقع بأيديكم قط ساعة بعد ساعة، يوماً بعد يوم، وشهراً بعد شهر، وسنة بعد سنة، وقد جاءكم الموت فلا تقدرون أن تتخلصوا من يده، هو منكم على رصد وأنتم ما عندكم خبَر، أنتم غائبون عن انتظاره، وهو قائم [١٠٢/أ] بحذائكم. عن قريب ينزل بساحتكم / ساحة عواقبكم وحياتكم. ترتحل روح أحدكم ويبقى جسده كجسد شاة ميتة. من يرحمك يواريك في التراب قبل أن تأكلك سباع الأرض وهوامها، ثم يقعد أهلك وأصدقاؤك في أكلهم وشربهم وتنعّمهم، فإما يترحمون عليك أو لا يترحمون. كثير من الملوك قتلهم أعداؤهم، ورموا بهم في البراري من غير دفن قصداً لأنْ تأكلهم الكلاب والحشرات. ما أقبح ملكاً يؤول أمره إلى هذا. ما أحسن ما قال بعضهم: «ليس ملكاً يزيله الموت؛ إنما الملك مُلْك من لا يموت». العاقل من ذكر الموت ورضي بما يأتي به القدر، فيشكر على ما يحب ويصبر على ما يكره. اجعلوا تفكركم في أمور أديانكم عوضاً عن [١٠٢/ب] التفكر في الشهوات واللذات / وفي الموت، وما وراءه. الأقسام قد فرغ الله عزّ وجلّ منها، لا يزيد فيها ذرة ولا ينقص منها ذرة. قال النبي صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم: «فرغ الله عزّ وجلّ من الخلق والرزق والأجل، جفّ القلم بما هو

---

(٩٨) يأخذ بأيديكم: نقص من «أ».

كائن إلى يوم القيامة»(٩٩). لا تشتغلوا بطلب ما قد قُسم؛ فإن ذلك الاشتغال لعب وحمق. جميع أحوالكم قد دَبّرها الله عزّ وجلّ، وأرّخها في أوقات معلومة. ما دامت النفس غير مطمئنة بالمجاهدة فهي لا تؤمن بهذا، ولا تترك الحرص واللّجاج قبل الطمأنينة. تؤمن به دعوى بلسان ظاهرك. كونوا عقلاء، تهذّبوا بما أقول لا تشتغلوا بطلب المقدور المقدر الذي لا بدّ من وجوده عندكم. ومجيئه إليكم في أوقاته المؤرخة / في علم الله عزّ وجلّ. عن النبي صلى الله عليه و[آله وصحبه] [١٠٣/أ] وسلم أنه قال: «لو قال العبد اللهم لا ترزقني لرزقه الله على رغم أنفه»(١). قَرْص بقّة من الله عزّ وجلّ، مجيء باقلاه(٢) من الله عزّ وجلّ، ما إلى الخلق شيء من

---

(٩٩) ذكره الهندي في الكنز، ٤٩٦ . وأخرج البيهقي في الأسماء والصفات، باب بدء الخلق، ٣٧٥، عن عبدالله بن عمرو بن العاص قال: (قال رسول الله صلى الله عليه [وآله وصحبه] وسلم: «فرغ الله عزّ وجلّ من المقادير وأمور الدنيا قبل أن يخلق السموات والأرض، وعرشه على الماء بخمسين ألف سنة.»

ويشهد له ما أخرجه الترمذي في كتاب القيامة، باب ولكن يا حنظلة، ٢٥١٨، عن ابن عباس قال: كنت خلف رسول الله صلى الله عليه [وآله وصحبه] وسلم يوما فقال: «يا غلام إني أعلمك كلمات: أحفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله. واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك. ولو اجتمعوا على أن يضرّوك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف».

حواشي فيض الخاطر، م: ف.ك.هـ٤

(١) لم نعثر عليه بهذا اللفظ، ويشهد له ما أخرجه أبو نعيم في الحلية، ٧/ ٩٠، عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه [وآله وصحبه] وصحبه وسلم: «لو أن ابن آدم هرب من رزقه كما يهرب من الموت لأدركه رزقه كما يدركه الموت». كما أخرجه الهندي في الكنز، ٥٠٠ .

(٢) الباقلاء: واحده باقلاه، وهي الفول.

ذلك. أين أنت من التوحيد يا مشرك؟!. أين أنت من الصفاء يا مكدِّر؟! أين أنت من الرضا يا متسخط؟!. أين أنت من الصبر يا شاكي إلى الخلق؟! هذا الذي أنت عليه ما هو دين من تقدم من الصالحين. إني أغار إذا سمعتُ واحداً يقول: الله، الله، وهو يرى غيره. يا ذاكراً اذكر الله عزّ وجلّ وأنت عنده، لا تذكره بلسانك وقلبك عند غيره. اهرب من الخلق إلى بابه، أخرج الدنيا والآخرة وما سواه من قلبك، ثم اذكره بلسان قلبك وسرّك ومعناك، ثم بلسان ظاهرك. / ويحك كم تقول: الله أكبر وأنت تكذب؛ الخبز عندك أكبر. الأدم واللحم عندك أكبر. الغني الذي في جيرانك عندك أكبر. حارث دربك ووالي محلّتك عندك أكبر. سلطانْ بلدك عندك أكبر. تخاف هؤلاء وترجوهم،، وتتملق لهم، وتستر عنهم، ثيابك تسترك وتبارز ربّك عزّ وجلّ بكل قبيحة؟ تعتمد عليهم في مهماتك، وتراهم في النفع والضرّ والعطاء والمنع. إن حاققتكم لفلّستم من الدين ولا تكونوا، لا مسلمين، ولا مؤمنين. [١٠٣/ب]

البعد يستر والقرب يهتك، ولكنّ المقرب يطلع على الأشياء ويَسْترها، ولا يتكلم بشيء منها إلا غلبة. سبحان الستار على عباده، سبحان من يطْلع خواصه من خلقه على أحوال عباده، ثم يأمرهم بالسّتر / عليهم. [١٠٤/أ]

يا قوم: تفرّغوا من هموم الدنيا ما استطعتم، لا ترغبوا في شيء يفارقكم عن قريب. المؤمن لو قدر لزهد في طعامه وشرابه ولباسه وزوجته، لو قدر لنزع نفسه وطبعه وهواه من نفسه؛ حتى لا يطلب غير ربّه عزّ وجلّ. أمسكوا ألسنتكم عن الكلام فيما لا يعنيكم. أكثروا من ذكر ربّكم عزّ وجلّ، ولازموا بيوتكم، لا تخرجوا إلا عند الضرورة لشغل لا بدّ لكم منه[٣]، أو حضور الجمعة والجماعة، ومجالس الذكر. من قدر منكم [أنْ] يعمل صنعته في بيته فليفعل.

---

(٣) ولازموا بيوتكم لا تخرجوا إلا عند الضرورة لشغل لا بدّ لكم منه: العبارة نقص من (أ).

ويلك تدعي محبّة الله عزّ وجلّ وأنت لا تطيعه، محبّته في آخر الأمر تكون بعد امتثال الأوامر والانتهاء عن النواهي، والقناعة بالعطاء، والرضا بالقضاء. ثم تحبّه لنعمه، ثم تحبّه لغير عوض، ثم تشتاق إليه. المحبّ / يذكر الحقَّ عزّ وجلّ بلسانه [١٠٤/ب] وجوارحه وبقلبه وسرّه. فإذا فني في ذكره باهى به خلقه وميّزه عنهم، يصير حقّاً في حق، يفنى هو ويبقى الأول والآخر والظاهر والباطن. تدعي محبته وتشكو إلى الخلق منه. كذبت في محبّته. من يحبّه في حالة الغناء كيف يشكو منه في حالة الفقر. إذا جاء الفقر على قلب خامٍ لم يقصره الإيمان والإيقان، لا جرم يكون في صحبته الكفر: لا يصلح / للفقر إلا المؤمن الصابر الورع. كيف لا يصبر عليه [١٠٥/أ] والدنيا سجنه؟ هل رأيتم مسجوناً يطلب التنعّم في سجنه. المؤمن يتمنّى الخروج من الدنيا، يتمنّى الإنفلات[٤] منها. بينه وبين نفسه عداوة، يتمنّى لها الجوع والعطش والعري / والذّل حتى يساعده على الطاعة. فالفقر يصلح له ويقدر [أن] [١٠٥/ب] يصبر عليه، يا تمّار إحفظ تمرك تجد تمرك.

ويلك: تدعي إرادتي ثم تسافر عني! إلى أين تمضي؟! تربي حيطاناً! تربي أعمالاً بلا إخلاص! شروعاً بلا تمام! ظاهراً بلا باطن! خَلْقاً بلا خالق، ديناً بلا آخره! إجتهاداً في العبادات بلا علم!. كثير من العبّاد يجتهدون الليل والنهار في العبادة مع جهلهم بالعلم والقضاء والقدر. يتكلمون في الحقيقة بلا شريعة فيتزندقون؛ ولهذا قيل: كل حقيقة لا تشهد لها الشريعة فهي زندقة. أساس هذا الكلام إحكام هذا الكلام، ثم بعد ذلك يكون البناء. أكثروا من الاستغفار والتوبة؛ فإنّها أصلان عظيهان / لأمور الدنيا والآخرة؛ ولهذا أمر نوح عليه السلام [١٠٦/أ] قومه بالإستغفار، ووعدهم في جوابه بالمغفرة وتسخير الدنيا لهم، ووقوفها في خدمتهم. فقال لقومه حاكياً عن قوله عزّ وجلّ: ﴿يا قوم استغفروا ربكم إنه كان

---

(٤) في (أ): الإنقلاب.

غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا﴾ [سورة نوح ٧١/ ١٠-١٢]. توبوا من ذنوبكم، وارجعوا عن شرككم الذي أنتم عليه حتى يعطيكم جميع ما تريدون من أمور الدنيا والآخرة. قد أذنبتم كما أذنب أبوكم آدم عليه السلام فتوبوا كما تاب. لمّا أكل هو وزوجته حوّا عليهما السلام من الشجرة التي نهاهما ربّهما عن الأكل منها، عاقبهما بالبعد منه، وعرّاهما من خِلَع كرامته، وتركهما / عريانين، وأخذا من ورق شجر الجنة، ثم يبست [١٠٦/ب] الأوراق وتساقط عنهما وبقيا عريانين، ثم أُهبطا إلى الأرض، وجرى كل ذلك لشؤم المعصية والمخالفة. سمُّ المعصية دبَّ في أجسادهما، وأبعدهما ثم لقّنهما الله عزّ وجلّ التوبة والإستغفار فتابا واستغفرا، فتاب الله عليهما وغفر لهما.

المعادي والمحب لي عندي سواء فما بقي على وجه الأرض لي صديق ولا عدوّ، وهذا فيما يلي صحّة التوحيد، ورؤية الخلق بعين العجز، وأما من اتقى الله عزّ وجلّ فهو صديقي، ومن عصاه فهو عدوّي، ذلك صديق إيماني وهذا عدوّ له. اللهم حقق لي هذا، وثبته، وثبتني عليه. اجعله موهبة لا عارية. إنك تعلم أني أفتّل في حبال دينك، في حبال إرادتك، / وأني خادم للحامدين لك، الزاهدين [١٠٧/أ] فيما سواك طلباً لمرضاتك.

ويحك يا غني لا تظن أن شكر الغنى أن تقول: الحمد لله رب العالمين فحسب؛ وإنما شكره أن تواسي الفقراء بشيء منه، توفيهم الزكاة المفروضة، ثم تواسيهم مهما أمكن، وتعطيهم بلا منّة؛ فإنّ المنّة تؤذي القلوب، وتكدّر العطاء. وكثير من الفقراء يحتملون نار الفقر ولا يحتملون نار المنة. إن كنت تعطي بلا منّة، وإلا فلا تعط، أما سمعت قول الله عزّ وجلّ: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى...﴾ [سورة البقرة ٢/ ٢٦٤] بطلانها أن لا يبقى لها ثواب. فيخسر المنّان ماله وثوابه، ويسْود قلبه؛ لأنّ المنّة شرك. المؤمن يعطي ولا يمنّ، بل يشكر الله عزّ وجلّ على توفيقه له، يعتقد أن الله عزّ وجلّ هو المعطي

لا هو، يعتقد أنّه واحد لا شريك له، منه يأخذ ويعطي، يعتقد أنّه هو الذي / أعطاه ما بيده، وهو الذي يأخذ منه [ما] يعطيه لغيره.

يا أغنياء يا مُوْسعاً عليهم، لا تغترّوا بغناكم، ولا تفخروا وتتكبّروا به على الفقراء؛ فإنّ ذلك سبب فقركم. وأنتم يا شباب لا تغترّوا بشبابكم وقواكم وتستعينوا بهما على معصية ربّكم عزّ وجلّ. المعاصي سمٌّ لأجساد أديانكم، هي سبع يأكل لحم أديانكم وعوافيكم وغناكم. ما أحسن ما قال بعضهم «إن كنت في نعمة فارعها؛ فإنّ المعاصي تزيل النّعم.

احضروا عندي مع حسن الظنّ وزوال التهمة. إذا مضيتم إلى بيوتكم فتذكروا هذا الكلام ولا تنسوه. اذكروا الموت وما وراءه. عليكم بقيام الليل وحضور القلوب بين يدي ربّكم عزّ وجلّ. عليكم بالصوم؛ فإنّه ينور القلب، لا سيّما إذا كان إفطاركم على الحلال /، ما يقع بأيديكم شيء إلا ببذل شيء. [١٠٨/أ] اتّفق الحكماء والعلماء على أنّ النّعيم لا يدرك إلا بترك النّعيم. حكي عن بعض الصالحين أنه بقي أربعين سنة ما نام إلا في السّجود، كان سجوده فراشه ولحافه ووسادته. هذا حالة من قد زهد في الدنيا، ورغب في الآخرة، وخاف من الموت والبيات، من زهد في الخلق وفيما في أيديهم، ورغب في الخالق، وعرف ما عنده، وعرفه عَبَدَه، وجاهد نفسه فيه. مَنْ عرف الله أحبّه، ومن أحبّه وافقه. يا غلام: ما تفعل بهذه الدنيا. إن أقبلت اشتغلت، وإن أدبرت حسرت. إن جُعْت منها ضعفت، وإن شبعت منها ثقلت. في أطيب ما يكون الواحد منكم معها تجيئه الأمراض والأسقام والغموم والهموم / لا خير فيها إلا لمن أنفقها في طاعة الله [١٠٨/ب] عزّ وجلّ.

النفس جاهلة فعلّموها. سيئة الأدب فأدّبوها، ما تفرّق بين الداء والدّواء، وبين الحلال والحرام، وبين ما يُصلح ويفسِد. ما تزال تنازع ربها. لا تطعموها لقمة من الشهوات واللذات. لا تزيدوها على حقها الخبز البحت؛ أي بلا إدام.

فإذا اطمأنت على ذلك فانقلوها إلى حشائش الأرض حتى يكون كل أمنيتها أن تعيدوها إلى الخبز، فإذا اطمأنت وسكنت وذهب شرّها، جاءت أقسامها، جاءكم التوقيع من ربكم ﴿لا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيماً﴾ [سورة النساء ٤/٢٩] يقال لها: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية﴾ [سورة الفجر ٨٩ـ٢٧/٢٨] تبدو لها أقسامها، ويأمرها العلم السّابق باستيفاء ذلك فتستوفي / أقسامها مع ثباتها، وصحّة الزهد فيها، فحينئذٍ لا يضرّها تلبسها [١٠٩/أ] بها، يصير ذلك التناول إنشراحاً في الصدر وضياء وصفاء في القلب، تصير كالمريض إذا حَماه الطبيب من الأطعمة، وغذّاه بما يصلحه من الأغذية والأشربة إلى أنْ تأتيه العافية؛ فيأمره بتناول الطعام وينقله من طعام إلى طعام فيصير تناوله للطعام دواء له وزيادة في قسوة بدنه. وهكذا هذا الزّاهد إذا تناول الأقسام في آخر الأمر تصير عافية في دينه، ونوراً في قلبه وسرّه. اللهم اجعلنا زاهدين فيها سواك، راغبين فيك في جميع الأحوال. وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة، وقنا عذاب النار.

* * *

مجلس

﴿إنّ الدين عند الله الإسلام..﴾ [سورة آل عمران ٣/١٩]. حقيقة الإسلام الاستسلام/ عليكم بتحقيق الإسلام، ثم تحقق الإستسلام. صفّوا[١٠٩/ب] ظواهركم بالإسلام، وبواطنكم بالإستسلام. سلّموا نفوسكم إلى ربّكم عزّ وجلّ، وارضوا بتدبيره لكم. اتركوا قدره الذي حكم ربكم عزّ وجلّ به. اجعلوا جميع ما يأتي به القدر مقبولاً عندكم. ربكم عزّ وجلّ أعلم بكم منكم، ارضوا به مدبّراً وحاكماً. ارضوا بكلامه مؤنساً، استقبلوا أوامره ونواهيه بيد القبول. استقبلوا دينه بكل قلوبكم. اجعلوه شعاركم ودثاركم[٥]. اغتنموا حياتكم قبل أن يجيء موتكم. قبل أن يجيء يوم لا مردّ له من الله عزّ وجلّ، وهو يوم القيامة. عليكم بقصر الأمل؛ فما أفلح من أفلح إلا بقصر الأمل. أقلّوا حرصكم على الدنيا؛ فإنّ أقسامكم تأتيكم وإن لم تحرصوا، ما تخرجون / من الدنيا إلا بعد استيفاء جميع [١١٠/أ] ما هو لكم.

ويحك دعْ الهوس؛ فلا انفلات لك من يد الموت. ليس عند الموت فوت. أين توجّهت وكيف تقلبت هو أمامك وحواليك، ما عليك من القيامة، فيوم موتك قيامة خاصة في حقّك، ويوم القيامة قيامة عامّة في حقّك وفي حقّ غيرك. القيامة الأولى تريد القيامة الثانية. إذا رأيت ملك الموت جاء إليك بوجه ضاحك منبسط،

---

(٥) الشعار: ما تحت الدثار وهو ما يلي شعر الجسد دونما سواه من الثياب، وفي المثل (هُمُ الشعار دون الدثار». يصفهم بالمودّة والقرب، وفي حديث الأنصار الذي أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف، كتاب الفضائل، باب في فضل الأنصار، عن أبي سعيد الخدري (أنتم الشعار والنّاس دثار). أي أنتم الخاصة والبطانة، والناس العامة. والدثار: الثوب الذي فوقه الشعار.

وأعوانه كذلك، وسلّموا عليك وأخذ روحك بالرفق كما أخذ أرواح الأنبياء والشهداء والصالحين، فأبشر بالخير في القيامة. اليوم الأول يريد اليوم الثاني، وعنوانه: إنْ رأيت خيراً فخير، وإن رأيت شرّاً فشر. جاء ملك الموت إلى موسى عليه السّلام وبيده / تفاحة فأشمه إياها، فأخذ روحه في تلك الشمّة. وهكذا كل [١١٠/ب] من قَرُبَتْ منزلته عند الله عزّ وجلّ، يأخذ روحه على أسهل وجه، وأحسن حال.

يا قوم: موتوا قبل أن تموتوا عن نفوسكم وإرادتكم، أكثروا ذكر الموت، وتأهّبوا له قبل مجيئه، وقد متّم قبل أن تموتوا يسهلْ عليكم الموت، ولا يبقى له ثقل ولا كرب. لا بد من مجيء يوم الموت، ويوم القيامة، فانتظروهما. هذان يومان لا مردّ لهما من الله عزّ وجلّ. كونوا عقلاء. ما أرى لكم قلوباً ولا معرفة بالقلب.

ويحك تدعي الزهد وتلبس ثياب الزهاد ثم تمضي إلى أبواب الملوك والأغنياء الذين هم أبناء الدنيا، فترجع نفسك وتطلب الدنيا، وتتمنّى ما هم فيه، أما علمت أن النبي صلى الله عليه / و[آله وصحبه] وسلم قال: «من حام حول الحمى [١١١/أ] يوشك أن يقع فيه»(٦).

شغل الدنيا أنها تقطع الطريق على عباد الله عزّ وجلّ، تسحرهم وتأخذ عقولهم هذا عام في حقّ الكل إلا من شاء الله عزّ وجلّ. آحاد أفراد يتولى الله عزّ وجلّ قلوبهم وأعمالهم ويحفظهم في خلواتهم وجلواتهم، يُصفّي لهم بيد قدره

---

(٦) قطعة من حديث، أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب فضل من استبريء لدينه، ٥٢، عن النعمان بن بشير يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه [وآله وصحبه] وسلم يقول: «الحلال بيّن والحرام بيّن، وبينهما أمور مُشَبّهات لا يعلمها كثير من الناس، فمن اتقى المشبّهات استبريء لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات كراعٍ يرعى حول الحمى، يوشك أن يواقعه، ألا وإنّ لكل ملك حمى، ألا إن حمى الله في أرضه محارمه، ألا وإنّ في الجسد مضغة، إذا صلَحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب». كما أخرجه مسلم في كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات، ١٥٩٩، بألفاظ مختلفة.

مأكولهم ومشروبهم وملبوسهم. القوم عملوا بما جاء به الرسول فرضي عنهم الرسول وتولاهم وأحبّهم. التمسوا الجار قبل شراء الدار، الرفيق قبل سلوك الطريق. ما هذا الجار [إلا] قرب الحقِّ عزّ وجلّ، ومعرفته والإيمان به، والتوكل عليه والثقة بوعده. فقهت قلوبهم فتنحّت عن دار الدنيا وعن دار الآخرة، ووقفوا ناحية عنهم.

يا غافلين هذا / الذي قد شرحته لا يجيء إلا بالعمل والغوص فيه، بالجوارح [١١١/ب] تارة وبالقلب أخرى، بالقلب تارة وبالفعل أخرى، أي نُطْقٌ تارة ثم خرس، عمل تارة وترك الطلب أخرى، عمل واستحياء، وإطباقة عين القلب عن العمل وغمضها وقتاً عن رؤية الأعمال؛ فإذا تمّ هذا جاء التحريك من الله عزّ وجلّ. يقال له: تحرّك وتقدم، وافتح عينيك، وانظر بعيني رأسك وبعيني قلبك. ما قد جاءك من الله عزّ وجلّ على يد قدره.

القوم أبداً متصاغرون متواضعون لا يزالون على ذلك حتى يرفعهم الذي تواضعوا لأجله. المؤمن يجتهد في إخراج ما بيده والإيثار به؛ لأنه يعلم أنه مخبأ له يجده وقت الحاجة إليه. يتورع ولا يقطع بصفاء كل ما يجده، ويترك أشياء / كثيرة [١١٢/أ] حتى يأخذ شيئاً يعرف أصله وفرعه، يعمل لكل شيء حجّة حتى يخرجه من يده، يقع بيده إرثاً عن أبيه وأمّه، فيقول لعلّهما اكتسبا هذا بغير يد الورع فيخرجه إلى الفقراء والمساكين.

يا من يدعي الإرادة ما تصح إرادتك ولك شيء يحجب عن مرادك. تقول: لي ومالي. المحبّ لا مال له، ولا غرض له، لا خزانة له، لا دار له بالإضافة إلى محبوبه. الكلّ لمراده ومحبوبه. المحبُّ مملوك. عبد بين يدي محبوبه ذليل. والعبد وما ملك لمولاه. إذا تمَّ تسليم المحبّ إلى محبوبه سلّم المحبوب إليه ما تسلّمه منه، وفوضه إليه. ينقلب الأمر، يصير العبد حرّاً، الذليل عزيزاً، البعيد قريباً، المحبّ محبوباً. لمّا صبر مجنون ليلى على محبّتها انقلبت المحبّة إليها / فصارت ليلى المجنون [١١٢/ب]

والمجنون ليلى. من صبر على محبّة الله عزّ وجلّ وصدق فيها ولم يهرب من بابه لأجل سهامٍ [ما] فاته شيء إلا تلقاها بصدر قلبه، صار محبوباً، مراداً، مطلوباً. من ذاق هذا فقد عرفه. هذا شيء لا يجيء بالصفة(7). هو شيء من وراء معقول الخلق كلهم إلا آحاد أفراد منهم، هم أفهم الخلق، سواء علمهم بلمحة يفطنون بأدنى إشارة، يرجعون ويتأدّبون ويعلمون ما يراد بهم.

يا قوم: اكتسبوا الإيمان واضربوا نفوسكم بعصا المجاهدة. سلموها إلى رائض الإيمان(8). هي مهرة غير مكيسة(9)، نفوسكم غير مروّضة، غير مُعَلَّمة، هي ملأى من الكبر والعظمة. طريق الحقّ عزّ وجلّ ليس فيها، أنا، ولي، ومعي. كل هذه الطريق محو وفناء، من / البداية عند ضعف الإيمان لا إله إلا الله. وفي النهاية عند قوة الإيمان لا إله إلا أنت؛ لأنه يخاطب حاضراً، مشاهداً. هذا أمر باطن، سر في سر، نفحة من نفحاته، ولهذا كان النبي صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم يقول: «إنّ لله عزّ وجلّ في أيام دهركم نفحات ألا فتعرضوا لنفحاته»(10). [113/أ]

يا منافق: يحقّ ألا تعقل ما أقول؛ لأنّك مكذِّب لي فيما أقول. إنْ أردت أن تعقل ما أقول وتفهمه فتب من نفاقك وأخلص في عملك وازهد في دنياك وفيما

(7) أي بالوصف.

(8) رائض المهرة: أي معلمها.

(9) أي غير جيدة.

(10) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات، ، 150 عن أنس عن رسول الله صلى الله عليه [وآله وصحبه] وسلم أنّه قال: «اطلبوا الخير دهركم كلّه، وتعرضوا لنفحات رحمة الله تعالى؛ فإن لله عزّ وجلّ نفحات من رحمته، يصيب بها من يشاء من عباده، وسلوا الله عزّ وجلّ أن يستر عوراتكم ويؤمّن روعاتكم.» كما ذكره الزبيدي في الإتحاف، 5/40، بغير هذا اللفظ.

سوى مولاك. هذا الأمر أوله لا إله إلّا الله محمد رسول الله وآخره استواء الحجر والمدر؛ أعني بالحجر الذهب الذي هو محبوب الخلق ومرادهم.

قم باسم الله، اعزم، ما أرى لك بداية ولا نهاية. ما أنت محقق / في قول [١١٣/ب] لا إله إلا الله محمد رسول الله، ولا قائم بشروطها، ولا أنت مع الخواص حتى يستوي عندك الحجر والمدر، فأنت أي شيء؟ أنت كيف نذكرك ونعدك وأنت لا في الأول ولا في الآخر. تريد مني [أن] أمدحك بما ليس فيك حتى تفرح نفسك وترضى عني، وتهدي لي. لا كرامة لك، إنّي أقول الحقَّ ولا أخاف لومة لائمٍ، إنّي في كرّ وفرّ بين الخلق والخالق، بين من لا يعقل وبين من يعقل، وبين من يُضْبط وبين من لا يضبط. أنت جاهل. مالك ولي؟ لا تعادني فتهلك. لا تكن من الذين يعادون ما جهلوه، جهلت ما أنا فيه فعاديتني، فلا فكرة بك وبعداوتك.

يا غلام: إنْ يمسسك الله بضرّ أو بليّة فما يقدر [أن] يكشفها / إلا هو، فلم [١١٤/أ] تقول لعاجز مثلك اكشف عني ما قد وقعت فيه. إذا جاءك مرض أو أذيّة من الخلق وأُخِذ عرضك أو مالك فلا كاشف لذلك إلا هو. إذا جاءك خسران في المال، أو جوع في الكبد، أو هجر من الإخوان والجيران حتى لا يعطوك لقمة ولا ذرة، وضاقت الدنيا برحبها عليك فاقطع بكل قلبك أنّ هذا كلّه من الله عزّ وجلّ، ولا كاشف لذلك كله إلا هو، ولا رافع له إلا الذي وضعه، هو الذي ألقاه عليك وهو الذي يرفعه، هو ألبسك هذا الثوب وهو ينزعه.

كونوا عقلاء ولا تشركوا بالخلق والأسباب، اجعلوا لكم ربّاً واحداً لا أرباباً. هو المسخر، وهو المسلّط، هو الحاكم، هو القاضي، هو الفاعل. قدره يجيء وبيده المرض، فيطرق باب عافيتك وبيده / الضيق. يجيء فيطرق باب سعتك. قدره [١١٤/ب] يجيء وبيده الغمّ والحزن فيطرق باب فرحك. قدره يجيء وبيده الخوف فيطرق باب أَمْنك. كل هذا منه ولا كاشف له إلا هو. الدنيا سجن المؤمن فإذا انتهى فيه وانتقلت أقدامه، وانتقل إلى حال المعرفة وقعت حيطان السجن وانفتحت بين يديه

الأبواب، يتريّش قلبه، فيطير في جوّ علم ربّه عزّ وجلّ. يلتحق بالأرواح التي هناك. هذا من وراء معقولكم. قلوب القوم وأرواحهم تأكل من طبق فضل الله عزّ وجلّ وهم في الدنيا كما تأكل أرواح الشهداء في الجنّة. وها هنا يكون الغِنا عن الخلق، من ها هنا يكون ملك القلب، فهم ملوك في الدنيا وملوك في الآخرة، [١١٥/أ] رؤساء في الدنيا / ورؤساء في الآخرة.

يا جاهل، يا معانق الدّينار والدراهم، يا فرحاً بحمد الخلق وثناءهم، أنت عبد الحمد والثناء والعطاء. لو كان لك قلب بكيت على نفسك. إنّا لله وإنّا إليهِ راجعون. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. اللهم ارزقنا تحقيق عبوديتك. والصدق في طلبك، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

* * *

مجلس

يا غلام[11]: الصادق لا وراء له، ولا يزال إلى قدّام، له صدر بلا ظهر. لا يزال يصدق في طلبه حتى تصير ذرّته جبلاً، قطرته بحراً، قليله كثيراً، مصباحه شمساً، قشره لبّاً. إذا ظفرت بصادق فلازمه. إذا ظفرت بمَن عنده دواء دائك فلازمه. وإذا ظفرت بمن يدلك على شرٍّ بك فلازمه. وإذا ظفرت بمن يدلك على / [١١٥/ب] ما ضاع منك فلازمه. يحقّ لكم ألاّ تعرفوهم فإنهم آحاد وأفراد. القشر كثير واللّب قليل. القشور على المزابل واللّبّ في خزائن الملوك. كل قلب مليء من الدنيا والشهوات واللذات فهو قشر لا يصلح إلا للنار. متى ما رأيت في قلبك شيئاً من المخلوقات فأنت معاقب. قال الله عزّ وجلّ: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون. ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يُطعمون. إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾ [سورة الذاريات ٥١/٥٦ـ٥٧ـ٥٨]. الأكثر منكم محجوبون يدّعون الإسلام وما عندهم من حقيقته شيء.

ويحكم، اِسم الإسلام فحسب لا ينفعكم حتى تعملوا[12] بشرائطه. ظاهراً بلا باطن. لا يسوى عملكم شيء. ظاهرك في المحراب، وباطنك يرائي وينافق / [١١٦/أ] ظاهرك متنسّك، وباطنك مليء من الحرام، ولك قعيدة[13] في بيتك. الشرع يسقط عنك العقوبة ظاهراً؛ لأنه لم يظهر منك شيء يخالفه. والعلم يحكم عليه بالمقت والعقوبة باطناً. قدّر أنّك انفلت اليوم من العقوبة مَنْ يفلتك غداً؟!. قدّر

---

(١١) يا غلام: نقص من (أ).

(١٢) في (أ): تعلمون.

(١٣) أي ملازمة البيت، ولعله قصد بذلك المكوث على الحرام.

أنّك سُتِرْتَ عند أهل الحكم كيف تُسْتر عند أهل العلم الذين ينظرون بنوره عزّ وجلّ، ويعرفون الخلق بعلامات عندهم؟! أنت عند العوام مُصلّ صائم مطيع مزكٍّ حاجّ متورّع متّقٍ زاهد، وعند أهل العلم منافق دجال جهنميّ. إذا دخلت عليهم رأوا خراب بيت دينك، يَرَوا آثار النفاق على وجهك، يعرفونك بسيماك، ولكنهم لا ينطقون. خَتْم قرب الحق عزّ وجلّ على أفواههم، وستره ويد سِتْره / [١١٦/ب] ممسكة لألسنتهم، ولسان كرمه وحلمه يمنعهم. لولا ذلك لَهُتكت أستاركم.

يا منافقين: حققوا الإسلام حتى يجيئكم الإيمان والإيقان والمعرفة والمناجات والمخاطبة والمحادثة.

كونوا عقلاء، لا تقتنعوا بالقشور دون المعاني، اعملوا وأخلصوا وقد تخلصتم. اخدموا العلماء بالعلم، العمّال به. من خدم خُدِم. من تواضع رفع. أخدم فإنّك تصير سيّداً، أما سمعت: سيد القوم خادمهم. أنت تحسن [أن] تخدم نفسك وزوجتك وولدك تخبىء مالك عن الفقراء وتنفقه في هواك وأغراضك المدبرة عن قريب تبصر خبرك(١٤)، أنت تخاف حارس دربك، ووالي محلتك. أكثر مما تخاف من ربّك عزّ وجلّ، تعطيهم وتهدي لهم؛ لأنهم يطلعون على خراب / [١١٧/أ] بيتك وفضائحك. عن قريب يفنى مالك، ويهجرك أصدقاؤك الذين هم قرناء السوء ويعادونك، ويفضحك حارس دربك ووالي محلتك لانقطاع عطائك لهم كيف يبارك الله عزّ وجلّ لك وأنت تنفق نعمه على معاصيه. عن قريب تكدي فلا يكدى عليك، ويصير مأواك المناجس والمزابل، وربما جاءك الموت وأنت على ذلك فتنتقل من كرب إلى كرب.

كن عاقلاً واستحي من الله عزّ وجلّ. الدنيا لا تدوم والآخرة تدوم، شهوات الدنيا لا تدوم، وشهوات الآخرة تدوم. المؤمن يبيع الدنيا بالآخرة، والخلق

---

(١٤) في «أ»: يقصد خيرك.

بالخالق. مِن القوم مَن إذا استغنى بالله عزّ وجلّ عن الخلق وعن كل ما في الأرض. ألقى عليه العيال والمؤن[15] ليرجع إلى الخالق ويأخذ من أيديهم، [و] ليكون أخذه[16] رحمة لهم / ، فيكون فقره ظاهراً، وغناه باطناً. يكون غناه سرّاً، [117/ب] وفقره جهراً، يغلبهم فيما يريد وهم سكون متأدّبون. أول ما يربيهم الكتاب والسّنّة، يعملون بهما فيصيرون متّقين ثمّ يربيهم الرسول، في المنام يقول لهم: افعلوا كذا وانتهوا عن كذا وكذا، ثم يرون ربهم عزّ وجلّ في المنام. فيأمرهم وينهاهم، يُرَقَّون من درجة إلى درجة، من كتاب إلى كتاب، من دار إلى دار، من ذكر إلى ذكر.

المؤمن عنده جميع الخلق شخص واحد ذلك الشخص مريض عاجز فقير لا يقدر أنْ يجلب إلى نفسه نفعاً، ولا يدفع عنها ضرّاً، يبغض من عصا من الخلق، ويُحبّ من أطاع منهم. يوافق ربّه عزّ وجلّ في بغضه ومحبته، ولا يحب الخلق لعطائهم. / ولا يبغضهم لمنعهم، لا يحبّ ولا يبغض لنفسه وهواه. هو [118/أ] معزول النفس أبداً، لا يوافقها إلا في طاعة ربّه عزّ وجلّ. يُنحّي الدنيا عن قلبه ما يزال قائماً مع دين ربّه عزّ وجلّ، مراعياً له، وواقفاً في نصرته.

ويحك. القلب يزهد لا الجسد، يا متزهداً بظاهره، زهدك مردود عليك، قد خبّأت عمامتك وقميصك، ودفنت ذهبك في الأرض ولبسْت المسح[17] وجمعت الأكناف[18]. قطع الله جلدك ورأسك إنْ لم تتب. قد فتحت دكاناً تبيع فيها النفاق. رمى الله دكّانك عليك وقتلك تحته إن لم تخرّبه أنت، وتتوب وتقطع الزنّار.

---

(15) في «ب»: المؤمن.

(16) نقص من «أ».

(17) المِسح: بالكسر والفتح، ثوب من الشعر غليظ. يلبسه الرهبان.

(18) اكتنف القوم: اتخذوا كنفا أي مِرْحاضاً، ولعله قصد جمع القذرات.

ويلك المؤمن زهده في قلبه، وقرب ربّه عزّ وجلّ في سرّه، والدنيا والآخرة على [١١٨/ب] بابه في خزانته لا / في قلبه. قلبه فارغ من غير مولاه، كيف يسع غيره وقد امتلأ به وبذكره وقربه. قلبه وادع منكسر لأجل مولاه، فلا جرم يكون عنده؛ لأنه قال عزّ وجلّ في بعض كلامه: «أنا عند المنكسرة قلوبهم، من أجلي[١٩]». انكسرت نفوسهم بترك الدنيا، وانكسرت قلوبهم لأجل المولى.

فلمّا تحقق لهم الإنكسار جاء إليهم وجبر كسرهم. جاء الطبيب فطبهم. هذا هو النعيم، لا نعيم الدنيا والآخرة.

القوم مرضى وطبيبهم عندهم، هم بين يدي طبيبهم، نيام في حجر كرمه ولطفه، يقلبهم بيد منته ورأفته ورحمته. من لم يرَ المفلح لا يفلح، جالِسوا القوم واسمعوا نطقهم واصحبوهم لله عزّ وجلّ لا للدنيا، وقد انتفعتم بهم. تعلموا [١١٩/أ] العلم / فإنّ فيه خيراً كثيراً. تعلّموا واعملوا حتى تنتفعوا بالعلم. العلم كالسيف، والعمل كاليد، سيف بلا يد لا يقطع، ويد بلا سيف لا تقطع. تعلموا ظاهراً وأخلصوا باطناً. ما تعطون ذرّة من الثواب بلا إخلاص. اسمعوا القرآن واعملوا به؛ إنّما أنزله الحقّ عزّ وجلّ لتتوصلوا به إليه. له طرفان: طرف بيده، وطرف بأيدينا. إذا عملتم به رقى قلوبكم إليه، يختطف قلوبكم إلى دار قربه وأنتم في الدنيا قبل الآخرة. إنْ أردت الوصول إليه فازهد في الدنيا والخلق. إزهد في نفسك وأهلك ومالك وشهواتك ونزهاتك[٢٠] وحبّك لحمد الخلق وثنائهم وإقبالهم [١١٩/ب] عليك، إذا صحّ لك هذا استغنيت عنهم، وشبع بطنك، وارتوت / كبدك وعُمّر

---

(١٩) ذكره الزبيدي في الإتحاف ٦/ ٢٩٠ وقال موسى في مناجاته: «إلهي أين أبغيك ـ أي أطلبك ـ قال: إبغني عند المنكسرة قلوبهم». كما ذكره القاري في الأسرار المرفوعه في الأخبار الموضوعة، ٧٠، بلفظ «أنا عند المنكسرة قلوبهم المندرسة قبورهم لأجلي».

(٢٠) في (أ): شبهاتك.

باطنك وخلوتك، يضيء قلبك وسرّك، وتطمئن نفسك، يكون كلّ هذا ببركة عملك بالقرآن، وهذا القرآن شمس مضيئة فاتركوه في بيوت قلوبكم حتى يضيء لكم. ويحكم إذا أطفأتم المصباح كيف ترون ما بين أيديكم في ظلمة الليل، وأجيبوا الرسول إذا دعاكم لما يحييكم. قلب ميّت ماذا يسمع! كيف يرى قلب ميّت بالدنيا وحبّها وحب الخلق ورجائهم؟! كيف يسمع ويرى؟! اعرف الدنيا وقد زهدت فيها اعرف النفس وقد خالفتها، اعرف الخلق وقد أبغضتهم اعرف تقله[21]. يا موتى القلوب تطلبون الدنيا والرغبة فيها والمحبّة لها، وأنتم يا زهّاد طلبكم للجنّة قيّدكم عن ربّكم عزّ وجلّ.

ويحكم / أخطأتم الطريق، حصّلوا الجار قبل الدار، والرفيق قبل الطريق. [١٢٠/أ] وأنتم يا وعّاظ قد صعدتم موضع الأنبياء من غير صنعة، قد تقدمتم إلى الصف الأول وما تحسنون الكرّ والفرّ والصّراع. انزلوا وتعلموا واعملوا وأخلصوا ثم اصعدوا. هذا الأمر [بَدْؤُه] الصراع مع النفس والهوى والطبع والشيطان والدنيا والشهوات واللذات، وترك الخلق، والرؤية لهم في الضرّ والنفع. فإذا تغلبت على هؤلاء كلّهم وقهرتهم بقوة إيمانك ويقينك وتوحيدك خلع الحقّ على قلبك وسرَّك ومكّنهما في دار قربه، ثم أمَّرهم على خلقه، وردهما إليهم. فحينئذ تحسن الكرّ والفرّ في مصاف الوقوف مع الخلق والمقاسات لهم.

اللهم استعملنا فيما يرضيك عنا وآتنا / في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا [١٢٠/ب] عذاب النار.

---

(٢١) لعله من القلى أي البغض.

مجلس

رمضان خمسة أحرف: راء وميم وضاد وألف ونون.

الراء من الرحمة والرأفة، والميم من المجازات والمنّة[٢٢]والمحبّة، والضّاد من الضمان للثواب، والألف من الأُلفة والقرب، والنون من النور والنوال.

إذا أتيتم بحقّ هذا الشهر وصحّحتم العمل فيه جاءتكم هذه الأشياء من الحقِّ عزّ وجلّ، يجيئكم في الدنيا تقوية لقلوبكم، تنويراً لها ونعمة، ونواله ظاهراً وباطناً. ويجيئكم منه في الآخرة مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

الأكثر منكم ما عندهم خبر من الصيام، إحترام الأمر على قدر إحترام الآمر. فكلّ من ليس عنده خبر من الله عزّ وجلّ ولا من رسله / [١٢١/أ] وأنبيائه والصالحين من عباده كيف يكون عنده خبر من هذا الشهر.

الأكثر منكم رأوا آباءهم وأمهاتهم وجيرانهم يصومون فصاموا معهم، عادة لا عبادة. يظنون الصوم هو الإمساك عن الطعام والشراب فحسب، لا يأتون بشرائطه وأركانه. يا قوم: اتركوا العادة والزموا العبادة، وصوموا لله عزّ وجلّ، لا تتضجروا بصيام هذا الشهر والعبادة فيه، اعملوا فيه، وأخلصوا في أعمالكم، لازموا صلاة التراويح، أشعلوا الضوء في مساجدكم، فإنه نور يوم القيامة.

إذا أطعتم الله عزّ وجلّ في هذا الشهر واحترمتموه كان شفيعاً لكم يوم القيامة. اقضوا حقّ الصوم حتى يقضي حقكم، وفّوه حتى يوفيكم، ويشهد لكم

---

(٢٢) نقص من (أ).

عند / ربكم عزّ وجلّ ويثني عليكم، يطلب لكم من فضله وكرامته ونعمته ومنّته[١٢١/ب] ورأفته ولطفه وحفظه وكلاءته وحراسته.

ويحك ما الذي ينفعك، تصوم وتفطر على الحرام وتنام مع المعصية في هذه الليالي الشراف، وأنت ويلك تصوم رياء أو نفاقاً ما دمت بين الخلق، فإذا خلوت أفطرت ثم تخرج بينهم، وتقول: أنا صائم، وأنت طول النهار تَشْتم وتقذف وتحلف الأيمان الكاذبة، وتأخذ أموال الناس بالتطفيف والتحيّل والغصب.

ما ينفعك صومك، ولا يعدّ صوماً. قال النبي صلى الله عليه و[آله] وسلم: «كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش، وكم من قائم ليس له من قيامه إلا التعب / والسهر»[٢٣] منكم من هو مسلم ظاهراً، وكعبدة الأصنام [١٢٢/أ] باطناً. ويلكم جددوا الإسلام والتوبة والاعتذار والإخلاص حتى يقبلكم مولاكم عزّ وجلّ، ويعفو عما تقدم من ذنوبكم.

يا صُيّام اشكروا ربكم عزّ وجلّ، كيف أَهّلكم للصّوم وأقدركم عليه. من صام منكم فليصم سمعه وبصره ويداه ورجلاه وجميع جوارحه وقلبه، وليصم كل ظاهره وكل باطنه. إذا صمتم فاتركوا الكذب وشهادة الزور والغيبة والنميمة والسعاية بالناس وأخذ أموالهم. إنما تصومون حتى تتطهّروا من الذنوب وتتنزّهوا عنها، فإذا وقعتم فيها فماذا ينفعكم صومكم. أما سمعتم قول النبي صلى الله عليه و[آله] وسلم: «الصوم جنة»[٢٤]. معنى/ قوله جنّة يستر صاحبه ويغطيه، ولهذا [١٢٢/ب]

---

(٢٣) أخرجه أحمد في المسند عن أبي هريرة، ٩٦٩١ بلفظ: «كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع. وكم من قائم ليس له من قيامه إلا السهر.» كما أخرجه الخطيب التبريزي في مشكاة المصابيح، كتاب الصوم، باب تنزيه الصوم، ٢٠١٤ .

(٢٤) قطعة من حديث، أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب فضل الصوم، ١٧٩٥، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، أن رسول الله صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم قال: «الصيام جنّة، فلا يرفث ولا يجهل، وإنِ امرؤ قاتله أو شاتمه فليقل إني صائم =

سُمّي الترس مجنّة؛ لأنه يستر صاحبه ويمنع عنه السهام، وسمي زائل العقل مجنوناً؛ لأنه قد تغطى عقله. الصوم جنة لمن صام بورع وتقوى وإخلاص فحينئذ يمنع عنه آفات الدنيا والآخرة. يا صيّام واسوا الفقراء والمساكين بشيء من طعامكم وقت إفطاركم؛ فإنه أكثر ثوابكم وعلامة لقبول صيامكم.

كل هذا يفنى، ما يبقى إلا ما تقدمونه لآخرتكم فقدموا ما دمتم قادرين على التقديم. يوم القيامة تحشرون جياعاً عطاشاً عراة خائفين خجلين وجلين. من أطعم في الدنيا أُطْعِم ذلك اليوم. من سقى في الدنيا سُقِي في ذلك اليوم ومن كسا في الدنيا كسي في ذلك اليوم، ومن خاف الحق عزّ وجلّ واستحى منه / في الدنيا [١٢٣/أ] أَمن ذلك اليوم. ومن رحم في الدنيا رحمه الله في ذلك اليوم.

في هذا الشهر ليلة القدر، هي أعظم ليلة في السنة لها علامات عند الصالحين. من عباد الله عزّ وجلّ مَنْ يكشف عن أبصارهم فيرون نور الألوهية التي بأيدي الملائكة، ونور وجوههم، ونور أبواب السماوات ونور وجه الحق عزّ وجلّ؛ لأنه في تلك الليلة يتجلى لأهل الأرض.

يا قوم: لا تجعلوا همكم في مأكولكم؛ فإنه هَمّ دني. قد ابتليتم بالأكل والشرب وقد كفيتم أمر الرزق فلا تهتموا له. سبحان الصمد الذي لا يأكل ولا يشرب، يرزق ولا يُرزق، يطعم ولا يُطْعَم، الصمد الذي لا جوف له، ولا يأكل ولا يشرب ولا ينام. حرصكم قد زاد، وقلّ ورعكم وأماناتكم / ويحك [١٢٣/ب] الدنيا ساعة فاجعلها طاعة. يا غلام: استعمل الورع في جميع احوالك من أمور

ـ مرتين ـ والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله تعالى من ريح المسك، يترك طعامه وشرابه وشهوته من أجلي، الصيام لي، وأنا أجزي به، والحسنة بعشر أمثالها». كما أخرجه مسلم في كتاب الصوم، باب فضل الصيام، ١١٥٣، بغير هذا اللفظ. وكذلك أحمد في مسند أبي هريرة، ٧٤٨٤.

الدنيا والآخرة، وقد أفلحت. إذا استعملت الورع لم يبق عليك حجة، وكان رضاء الله عزّ وجلّ عنك، رُؤي بعض الصالحين في المنام بعد موته فقيل له: ماذا فعل الله عزّ وجلّ بك؟ فقال: غفر لي، فقيل له بماذا، فقال: توضأت يوماً في حمام ومضيت إلى المسجد، فلما قربت منه رأيت بقدر الدرهم من رجلي لم ينلْه الماء، فرجعت وغسلت ذلك المكان، فقال الله عزّ وجلّ: قد غفرت لك لاحترامك لشريعتي.

أين أنتم من القوم الذين تتجافى جنوبهم عن المضاجع لا يقدرون [أن] يناموا. وكيف ينامون والخوف يقلقهم ويطيّر النوم عن أعينهم، والأنس الذي يجدونه في قيامهم / يحوجهم، لا ينامون إلا غلبة في سجودهم. فسبحان من يمنّ[١٢٤/أ] عليهم بذلك النوم غلبة حتى تستريح أجسادهم. تلك اللحظة تنبو جنوبهم عن المضاجع، ولا تقدر أن تستقر عليها خوفاً تارة، رجاء أخرى، وحياء تارة، وشوقاً أخرى، ما أقل خوفكم من ربكم عزّ وجلّ مع قلة طاعتكم. وما أكثر خوف الصالحين مع كثرة طاعتهم له عزّ وجلّ. كان نبينا صلى الله عليه و[آله] وسلم إذا صلّى يسمع من صدره أزيزاً كأزيز القِدر.

إبراهيم صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى يسمع أزيز صدره من ميل وهو ثلث الفرسخ. كانوا يخافون مع كونهم صدِّيقين وأخلاء ومحبين ومجابي الدعوات. فقولوا لي هذا الأمر الذي أنتم فيه ما وجهه؟!.

إني أراكم قد استدرتم من الوسط، وخرجتم من العدد / وقد قلَّ أنسكم[١٢٤/ب] بالطاعة، وكثرت وحشتكم منها، وقد قنعتم من الخير باليسير، والكثير من الدنيا ما يشبعكم. ما هذا عمل من يعلم أنه يموت، ويلقى ربه عزّ وجلّ! وتعرض عليه أعماله يوم القيامة. ما هذا عمل من يخاف المحاسبة والمناقشة، ما هذا عمل من يريد أن ينزل إلى قبره ولا يعلم هل هو حفرة من النار أو روضة من رياض الجنّة.

القوم يصومون النهار ويقومون الليل فإذا تعبوا انطرحوا على الأرض،

فيستريحون، فتتجافى جنوبهم عن المضاجع، فيقعدون ويعودون إلى ما كانوا عليه يدعون ربهم خوفاً وطمعاً، يخافون من الردّ، ويرجون القبول. يقولون: ربنا ما عملنا عملاً صحيحاً كاملاً بالإخلاص، خالياً عن رؤية النفس والعُجب، [١٢٥/أ] فيخافون من الرد، ثم / يرجون قبوله لعلمهم بأنه كريم، يقبل القليل، ويعطي الكثير، يقبل الردي البهرج، يعطي الجيد. يقبل البضاعة المزجاه ويوفي الكيل.

الخوف عزيمة والرجاء رخصة. القوم في تردّد بين الخوف والرجاء. تارة في هذا، وتارة في هذا، وتارة مع الظاهر وتارة مع الباطن، تارة مع الصفا وتارة مع الكدر، تارة عزّ وتارة ذلّ، تارة عطاء وأخرى منع، لا يزالون كذلك حتى يبلغ الكتاب أجله، وتصل قلوبهم إلى خالقهم فحينئذ لا يبقى لهم عندهم رخصة ولا كدر بل عزيمة وصفاء كلّي.

المال يتبعك إلى الباب. والأهل يتبعونك إلى القبر ويرجعون. والعمل يصحبك وينزل معك إلى القبر ولا يفارقك.

[١٢٥/ب] يا غافلين: استقلُّوا ممن يفارقكم واستكثروا ممّن يصحبكم ولا /يفارقكم. استكثروا من الأعمال الصالحة، صوموا وأخلصوا في صومكم، صلّوا وأخلصوا في صلواتكم، حجّوا وأخلصوا في حجّكم، زكّوا وأخلصوا في زكواتكم، اذكروا ربّكم عزّ وجلّ وأخلصوا في ذكره، واخدموا الصالحين وتقربوا إليهم، وأخلصوا في خدمتكم لهم، واشتغلوا بعيوب أنفسكم وأعرضوا عن عيوب غيركم، مُروا بالمعروف وانهوا عن المنكر، ولا تفشوا على الناس، ولا تهتكوا أستارهم، أنكروا ما ظهر ـ وما عليكم مما بطن ـ اشتغلوا بأنفسكم، وما عليكم من غيركم. لا تكثروا الكلام فيما لا يعنيكم؛ فإن النبي صلى الله عليه و[آله] وسلم قال: «من حسن إسلام المرء ترك مالا يعنيه»[٢٥]. عيوبك تعنيك وعيوب غيرك لا تعنيك.

---

(٢٥) انظر تخريجه ص ٣٣ .

أطع ولا تعصِ، وحدّ ولا تشرك /. اعتمادك على الخلق والأسباب شرْك. [١٢٦/أ]

ويحك أنت مجنون؛ التسخط والاعتراض [لا] يعطيك شيئاً، يزيل من عندك أشياء. غضبك [لا] يقدّم شيئاً و[لا] يؤخّر شيئاً. البلاء وزوال البلاء بيد الله عزّ وجلّ. هو أنزل الداء والدواء، الذي خلق الداء خلق الدّواء؛ وإنّما يبتليك ليُعرّفك نفسه بالبلاء؛ ليريك آياته وقدرته في نزول البلاء وفي رفعه، يريك رفع طبقه ووضعه، البلايا معرفات مطرقات إلى باب الحق عزّ وجلّ، جامعات بين القلب وبين الحقّ عزّ وجلّ، رافعات للمنازل. لا تُبغضوا البلايا؛ فإنّ لكم مصالح فيما تكرهون نحو لِمَ وكيف من الوسط، إذا صبرتم على البلايا طُهّرتم من الذنوب الظاهرة والباطنة، عن النبي صلى / الله عليه و[آله] وسلم أنه قال: [١٢٦/ب] «لا تزال البلايا بالمؤمن حتى يمشي على الأرض وما عليه خطيئة»[٢٦]. ترتفع خطاياه من صحائفه وتنساها الملائكة الذين كتبوها. كان بعض الصالحين يقول: (إلهي أحببتك الناس لنعمائك وأحببتك لبلائك).

وكان بعضهم يوم لا تجيئه بليّة يقول: (إلهي أيّ ذنب عملت اليوم حتى حرمتني البلاء).

ويحك إذا لم ترضَ بقضائه فلا تأكل رزقه، واطلب ربّاً سواه. قال الله عزّوجلّ في بعض كلامه: «يا بن آدم إن لم ترض بقضائي ولم تصبر على بلائي فاطلب ربّاً

---

(٢٦) أخرجه الدارمي في السنن، باب في أشدّ الناس بلاء ج ٢/، ٣٢٠ عن سعد قال: سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «أي الناس أشدّ بلاء؟ قال: الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل. يبتلى الرجل على حسب دينه. فإن كان في دينه صلابة زيد صلابة، وإن كان في دينه رقة خُفّف عنه، ولا يزال البلاء بالعبد حتى يمشي على الأرض ما له خطيئة». وأخرجه الحاكم في المستدرك ج ١/، ٣٤٦ بغير هذا اللفظ، كما ذكره الهيثمي في المجمع ٢/٢٩٢ بألفاظ مختلفة. كان بعض الصالحين يقول: إلهي أحببتك الناس لنعمائك وأحببتك لبلائك. وكان بعضهم يوم لا تجيئه بليّته يقول: إلهي أيّ ذنب عملت حتى حرمتني من البلاء.

سوائي»[٢٧]. اصبروا مع ربّكم عزّوجلّ فليس لكم ربٌّ سواه، ليس غيره ربّاً ثانياً. ليس غيره باباً آخر، ليس خالقاً آخر، ليس رازقاً آخر. اصبروا مع هذا / [١٢٧/أ] الواحد على إرادته. اللهم اجعلنا مطمئنين راضين موافقين مسلمين مستسلمين، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

* * *

(٢٧) انظر تخريجه ص ٧٦ .

مجلس

يا غلام: العبد إذا عرف الحق عزّ وجلّ قرّب قلبه كلّ القرب، وأعطاه كلّ العطاء، وآنسه كل الأنْس، وأعزّه كلّ العزّ. فإذا سكن إلى ذلك أزاله عنه، ويفقر يده، ويرده إلى نفسه، ويجعل بينه وبينه حجاباً، يختبره لينظر كيف يعمل، هل يهرب؟ هل يميل أو يثبت؟ فإذا ثبت رفع الحجب عنه، وردّه إلى ما كان عليه، أَمَا رأيتم والداً اختبر ولده يخرجه من بيته ويغلق الباب في وجهه ويقف ينظر ماذا يصنع؟ فإذا رآه قد لازم العتبة، ولم يمض إلى جاره، ولم يشكُ منه، ويسيء الأدب، فتح الباب وأخذه / وضمّه إليه، وزاده في الإحسان إليه. كل من لم [١٢٧/ب] يُخْلِص في عمله لا يقع بيده ذرّة من قرب الله عزّ وجلّ وكرامته. قال الله عزّ وجلّ في بعض كلامه: «أنا أغنى الشركاء عن الشرْك، من عمل عملاً وأشرك فيه غيري فهو لشريكي دوني لا أقبل إلا ما يريد به وجهي»(٢٨).

عن النبي صلى الله عليه و[آله] وسلم أنّه قال: «يُنَادَى المنافق يوم القيامة، يا غادر يا فاجر اطلب جزاك من الذي عملت له»(٢٩).

يا عابدين لغير ربّهم عزّوجلّ: أما سمعتموه كيف قال: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾. [سورة الذاريات ٥١/٥٦]، وقوله: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين. . .﴾ [سورة البينة ٩٨/٥]. يجب على كل عبد أنْ

---

(٢٨) رواه ابن ماجه في السنن، كتاب الزهد، باب الرياء والسمعة، ٤٢٠٢، بلفظ «قال الله عزّ وجلّ: أنا أغنى الشركاء عن الشرك، فمن عمل لي عملاً أشرك فيه غيري، فأنا منه بريء، وهو للذي أشرك».

(٢٩) لم نعثر عليه.

يعبد ربّه عزّ وجلّ طالباً لوجهه ومرضاته لا لغرض[٣٠] ولا للعطاء. من عجز منكم [١٢٨/أ] عن / الإخلاص في العمل في الجلوة فليكن عمله في الخلوة حيث لا تراه عين مخلوق، ولا تسمع أذن صوت قراءته وتسبيحه. إنّ شأن الرياء لعظيم. عن بعضهم أنه قال: لو صلّى مصلٍّ في بيت مظلم واطلع عليه عبد زنجي عاجز فقير لا يقدر على شيء لتغير له.

كل من يعمل ولا يخلص فليس له في عمله شيء. يا ممسكاً عن الإنفاق أمَا سمعت قوله عزّ وجلّ: ﴿وممّا رزقناهم ينفقون﴾ [سورة البقرة ٢/٣] يعني ينفقون أموالهم على الأهل والأولاد والفقراء والمساكين. البخيل محروم مطرود مردود. بعيد من الخلق والخالق. سلوا ربّكم عزّوجلّ من فضله، سلوه إن أجابكم وإنْ لم يجبكم؛ فإن السؤال له عبادة. الدعاء في البعد والمناجات في القرب والإيماء عند [١٢٨/ب] الحبّ. من هو في البعد يستغيث / إلى الباب ينادي يا ملك أعطني قَرِّبني، ومن قرب منه ووصل عند السُّدّة يناجيه بصوت خفي، لأنّه قرب منه، ومن اقعد إلى جنبه تغلبه الهيبة فيسكت ويشير إشارة. المسلم في البعد ينادي ويدعوا والمؤمن العارف في القرب يناجي بحسن الأدب، والمحبوب الواصل قلبه في مخدع القرب يومي إيماءاً.

رحم الله من أدرك ما أقول وعمل به وأخرج التهمة من قلبه لي ولكلامي. وسلّم مالا يفهمه ولا يصل علمه إليه إلى ربّه عزّ وجلّ.

القوم يؤمنون ويُصدّقون ويعملون وينفقون أموالهم على الصالحين، يخرجون أموالهم بحجج يحتجون بها على النفوس، تارة زكاة مفروضة، وتارة صدقة غير [١٢٩/أ] مفروضة، وتارة / إيثاراً، وتارة نذراً، يحلفون بيمين جزماً لا بدّ [أن] يخرجوا هذا الشيء. كل ذلك يتقرّبون به إلى الله عزّوجلّ لقوة قلوبهم وإيقانهم، وقهرهم

---

(٣٠) في (أ): لا للعوض.

لنفوسهم. ومنهم من يُؤمر بالعطاء لشيء معين من ماله فيتمثل أمر الله عزّ وجلّ. ومنهم من يجري العطاء على يده وهو في غيبة عن ذلك. الأولياء يؤمرون بالعطاء للفقراء والمساكين. والأبدال تؤخذ أموالهم من أيديهم وهم في غيبة عن ذلك. حكي عن بعضهم أنه كان واقفاً في بعض الصحارى يصلّي، فاجتاز عليه جماعة عيّارون(٣١) فأخذ واحد منهم رداءه من على كتفه، فلما فرغ من صلاته قال له الذي أخذه: اجعلني في حل من أخذي لردائك وازعاجك. فقال لهم: والله ما شعرت وقت(٣٢) ما أخذته / ولا شعرت في وقت ما رددته، وإن أردت أن [١٢٩/ب] تأخذه فخذه. ما عند القوم خبر غير ما هم فيه. إذا وقفوا بين يدي ربّهم عزّوجلّ غابوا عمّا سواه. يغيب المعنى وتبقى الصورة، يغيب القلب ويبقى القالب. كان مسلم بن يسار(٣٣) رحمة الله عليه إذا دخل بيته إنقبض أولاده وتأدّبوا حتى لا يقدر أحدهم [أنْ] يضحك، وكان يحسُّ بانقباضهم، فكان إذا أراد الدخول في الصلاة يقول لهم: اشتغلوا بشغلكم واتركوا انقباضكم؛ فإني لا أدري ما تفعلون فكان إذا دخل في الصلاة لعبوا وانبسطوا وضحكوا وهو لا يعلم بما يفعلون. وكان في بعض الأيام قائماً يصلّي في الجامع فوقعت إلى جنبه سارية وما عليها من السقوف وما علم بوقعها. ووقع في داره حريق وهو في الصلاة / فجاءه الناس وأطفأوه وهو لا يعلم [١٣٠/أ] به.

القوم كلهم للحق عزّ وجلّ، كلهم لمصالح الخلق، ولهم الخالق، وينفقون ما

---

(٣١) رجل عيّار: لغة كثير التطواف والحركة، ومجازا: الذكي من الشطار.

(٣٢) نقص من «أ».

(٣٣) من التابعين، لقي عددا من الصحابة، وروى عنهم. حدّث عنه من التابعين أبو قلابه ومحمد بن سيرين وقتادة. كان زاهدا، عابدا. لا يشعر بما جرى حوله وهو في الصلاة لخشوعه.

انظر التاريخ الكبير للبخاري ٧/٢٧٥.

بأيديهم من الدنيا وما في قلوبهم من العلم. وقعوا بالكنز الأعظم فهانت عندهم كنوز الدنيا. رأوا[34] الملك الأعظم، فهان عندهم ملك الدنيا. زهدوا في كل مكوَّن فأعطيت قلوبهم التكوين. ما دام هذا الظاهر بيدك وقلبك معانق له ما ترى من التكوين شيئاً. قيل لبعضهم من أين تأكل فقال: من البيدر الكبير. فقيل له: ما البيدر الكبير، فقال: كن فيكون.

انظروا في أمور الدنيا إلى من هو دونكم وفي أمور الآخرة إلى من هو فوقكم. عن بعضهم أنه اشترى في يوم عيد باقلاء، وجلس يأكله فقال: ترى يكون مثلي أحد / في مثل هذا اليوم يأكل الباقلاء من غير دهن وملح؟! فالتفت فرأى واحداً يأكل ما يرميه من القشور فبكى. واعتذر إلى الله عزّوجلّ من قوله. [١٣٠/ب]

يا ابن آدم ما أبخلك على نفسك، أليس قد استقرض الحق عزّ وجلّ منْك وأنت لا تقرضه؟! أمَا سمعت قوله عزّ وجلّ: ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً....﴾ [سورة البقرة ٢/٢٤٥] إذا أقرضته وقبلت حوالته على يد الفقير ضاعف لك، وأعطاك أكثر مما أعطيت اليوم وغداً. عاملوه وقد رأيتم الأرباح، عاملوه بغير تجربة. كان جعفر الصادق[35] رحمة الله عليه إذا احتاج إلى خمسمائة دينار وعنده خمسون ديناراً تصدّق بها، فبعد أيام تجيئه خمسمائة ديناراً، ولو لم تجئه ما اتّهم ربّه عزّ وجلّ ولا عارضه ولا استبخله.

القوم تعوّدوا معاملة ربّهم عزّ وجلّ بطريق كتابه وسنة رسوله [صلى الله عليه

---

(٣٤) نقص من «أ».

(٣٥) هو جعفر بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي ابن أبي طالب. كان من أجلاء التابعين، (٨٠ ـ ١٤٨هـ). له منزلة رفيعة في العلم. أخذ عنه كثير من الخلق منهم: الإمامان أبو حنيفة ومالك. لقّب بالصادق لأنّه لم يعرف عنه الكذب قط. انظر الأعلام للزركلي ٢/١٢٦.

وآله وسلم] وبيقين من قلوبهم. عن بعضهم أنه كان عنده ثلاث بيضات فجاء سائل فقال لجاريته: أعطه تلك البيضات، فأعطته بيضتين وخبأت واحدة، فبعد ساعة أهدى له صديق عشرين بيضة، فقال لجاريته: كم أعطيت السائل؟! فقالت بيضتين وخبّات لك واحدة تفطر عليها، فقال لها: يا قليلة اليقين حرمتنا عشرة. عن النّبي صلى الله عليه و[آله] وسلم أنّه قال: «ملعون من تعزز بمخلوق مثله»[36]. يا مسكين إذا جاءك فقير يستقرض منك فأقرضه، ولا تقل: ما الذي يعطيني هذا. خالف نفسك وأقرضه وبعد وقت هبْه له. مِنَ الفقراء من لا يستحسن [أنْ] يطلب بل يستقرض وينوي / قضاءه، يثق بالله عزّ وجلّ [١٣١/ب] ويستقرض عليه فإذا جاء إليك يا غني يطلب منك القرض فأقرضه. ولا تواجهه بالعطاء[37] فينكسر زيادة على كسره؛ فإذا طالت المدة فالقه واسألْهُ قبول ذلك الدين منك وأبرىء ذمّته منه، فيحصل لك ثواب فرحه الأول وفرحه الثاني. قال النبي صلى الله عليه و[آله] وسلم: «هدية الله عزّ وجلّ إلى عبده السّائل إلى بابه»[38]. ويحك كيف لا يكون الفقير هدية الله عزّ وجلّ وهو يأخذ لك من دنياك إلى آخرتك، يخبىء لك شيئاً تجده في وقت الحاجة إليه، ذلك القدر الذي تعطيه يفنى ويذهب وأنت ترتفع لك الدّرجات عند الله عزّ وجلّ. ويحكم يا عبّاد أمّا تستحْيون. ويحكم يا عباد تعبدون ربكم عزّ وجلّ حتى يعطيكم / الجنّة، [١٣٢/أ] ويعطيكم الحوريات، يعطيكم الولدان. الجنّة هي الدار. أين الجار؟ مَن يريد

---

(٣٦) لم نعثر عليه، ويشفع له ما رواه ابن حنبل في المسند، ١٨٨٠٤، عن عيسى ابن عبد الرحمن، قال: دخلت على عبدالله بن عكيم وهو مريض نعوده، فقيل له: لو تعلقت شيئا، فقال: أتعلق شيئا وقد قال رسول الله صلى الله عليه [وآله وصحبه] وسلم: «من تَعلق شيئا وكِل إليه».

(٣٧) أي لا تجعله يشعر أنك تتصدق عليه.

(٣٨) انظر تخريجه في ص ١٠٨.

وجه الحقّ عزّ وجلّ غير من يريد الجنّة، غير من يريد الدنيا، غير من يريد الخلق. ما أقل من يريد رؤية الله عزّ وجلّ وقربه. رؤيته قرة عيون العارفين والمحبين. ورؤية الجنّة والسّكون فيها مع الحور، والأكل والشرب قرّة عيون الزاهدين، وشتّان ما بينهم! ما أبعد ما بينهم!

يا مَنْ يريد الدنيا ذهب زمانك في لا شيء[٣٩]، ويا مَنْ يريد الجنّة والحور والولدان قد أردت غير ربّك واخترت غيره. لو كان عندك خير ما طاب لك أن تغيب عنه لحظة، ولكنّك لا تعرف.

ويحك لذة نظرة إلى الحقّ عزّ وجلّ تستوعب جميع ما في الجنّة من الولدان واللذات والشهوات والنعيم فكيف لذة نظرات / وساعات. الدنيا دار البلاء، [١٣٢/ب] وأكبر البلايا شهوة البطن والفرج. ما للأعزب والإفطار بالنهار والمشي في الأسواق والأكل للشهوات واللذات والقعود مع شياطين الإنس الذين هم قرناء السوء؛ فكأنه يشْعِل نار الشهوات في حطب النفس. اللهم قوّنا على مجاهدات أنفسنا، وارزقنا الهداية، واهدنا للناس، نور قلوبنا واجعلنا نوراً يستضيء بنا الناس، إسقنا شراب أنسك حتى نرتوي به ويرتوي بها كل ظمآن، وارزقنا عطاء ورضاء، ألهمنا الشكر في حالة العطاء، والرضا في حالة المنع، وعلق الباب، وحقّق صدقنا، وامحق كذبنا وباطلنا، آمين.

[١٣٣/أ] المتقون الذين هم يتقون الله عزّ وجلّ في الخلوات والجلوات / ويراقبونه في جميع الحالات، ترتعد فرائص قلوبهم منه في الليل والنهار، يخافون البيات من مجيء الآفات التي تقطعهم عنه مع عدم الصّبر؛ فينتقلون إلى الكفر. يخافون من مجيء الموت وهم على شرّ عمل، يؤتون ما أتوا وقلوبهم وجلة، يصلّون ويصومون ويحجون ويتصدّقون ويفعلون جميع أفعال الخير وقلوبهم وجلة خائفة من الردّ،

---

(٣٩) نقص من «أ».

خائفة من علم الله تعالى عزّ وجلّ فيهم. كان الفضيل ابن عياض[٤٠] رحمة الله عليه إذا لقي سفيان الثوري يقول له: (تعالى حتى نبكي على علم الله عزّ وجلّ فينا). ما أحسن هذا الكلام. هو كلام عارف بالله عزّ وجلّ، عالم به وبتصاريفه.
ما علم الله عزّ وجلّ الذي أشار إليه هو قوله: «هؤلاء إلى الجنّة ولا أبالي وهؤلاء إلى النار ولا أبالي وخلط / الكلّ موضعاً واحداً فلا يدري من أي القبيلين [١٣٣/ب] هم[٤١]». لم يغتروا بما ظهر من أعمالهم؛ لأن الأعمال بخواتيمها.

المتقون هم التاركون للمعاصي والزلّات ما ظهر منها وما بطن، والرياء والنفاق والعمل للخلق والأغراض، فهم اليوم في جنّة الطاعة، وغداً يكونون في جنّات وعيون، قعوداً بين أشجار لا تيبس أبداً، وأثمار لا تنقطع أبداً، وأنهار لا ينضب ماؤها أبداً، كيف تنضب وهي تخرج من تحت العرش، لكل واحد منهم نهر من ماء، ونهر من لبن، ونهر من عسل، ونهر من خمر، تجري هذه الأنهار معهم أينما ذهبوا من غير شق في الأرض. كل شيء في الدنيا مثله في الآخرة وزيادة. كل شيء في الآخرة في الدنيا نموذجه /. آخذين ما آتاهم ربّهم من النعيم؛ وهو مالا [١٣٤/أ]

---

(٤٠) هو الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشير، الإمام القدوة، الثبت، شيخ الإسلام، ولد بسمرقند، نشأ بأبيورد، ارتحل في طلب العلم، وتوفي في مكة ١٨٧ هـ. كان ثقة، نبيلاً، فاضلاً، عابداً، ورعاً، كثير الحديث. روى عن خلق كثير، وروى عنه خلق كثير. انظر سير أعلام النبلاء ٨/٤٢٣.

(٤١) أخرجه مسلم في كتاب القدر، باب في كيفية الخلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه...، ٢٦٥١ بغير هذا اللفظ، وورد في الصحيح المسند من الأحاديث القدسية، ١٨٠ عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه [وآله وصحبه] وسلم قال: «خلق الله آدم حين خلقه، فضرب كتفه اليمنى، فأخرج ذريّة بيضاء كأنّهم الدرّ، وضرب كتفه اليسرى فأخرج ذرية سوداء كأنهم الحميم، فقال للذي في يمينه إلى الجنة ولا أبالي، وقال للذي في كفّه اليسرى إلى النار ولا أبالي.
كما ذكره الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة، ٢٤٩.

عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، قطوفها دانية، إذا اتكى أحدهم جاءت الثمار إلى فِيْه فيتناولها وهو نائم، عروق أشجارها إلى فوق، وأثمارها إلى تحت، أصولها من فضّة، وأغصانها من ذهب. إذا خطر بقلب واحد منهم أكل شيء منها فتتقدم الثمرة إلى فِيه فيتناول منها ما يريده، ثم يرجع. كل شيء يغنّي لأهل الجنّة في الجنة ويطربُهم، كلامهم لذيذ بأحسن صوت حتى أنهارها وأشجارها وجميع ما فيها.

يا طالبي الدنيا، الدنيا فانية متعبة. اطلبوا الجنّة الباقية التي هي دار الراحة، دار النعيم والنعمة، دار الشكر، ليس فيها صوم ولا صلاة ولا حج ولا زكاة ولا صبر على الآفات والأمراض والأسقام ولا فقر ولا خوف من الخروج.

يا قوم: عن قريب يجيئكم الموت ويأخذكم، فتصيرون كأنكم لم تخلقوا، ولم تُرَوا.

أعرضوا بقلوبكم عن أهاليكم وأولادكم وأموالكم. ازهدوا في جميع خلق ربكم عزّ وجلّ، ولا تتكلوا على أحد منهم لا في قليل ولا في كثير. اللهم ارزقنا التوكل عليك في جميع الأحوال، ورؤية غيرك بعين العجز. وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

* * *

مجلس

يا غلام: لا تهرب من البلاء والصّبر عليه، لا بد منه ومن الصبر عليه، كيف تتغيّر/ جبلّة الدنيا وما خلق عليها لأجلك، ما يزال الأنبياء الذين هم خير الخلق [١٣٥/أ] مبتلين، وهكذا أتباعهم المقتدون بهم والماشون في جادّتهم والمقتفون آثارهم. نبيّنا محمد صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم كان محبوبَ الله عزّ وجلّ، الموجود من أجله كلّ شيء، ما زال يُبْتلى بالفقر والفاقة والجوع والقتال والحروب وأذيّة الخلق حتى مات. وعيسى عليه السلام روح الله وكلمته، الذي خلقه من غير ذَكَرٍ، ويبريء الأكْمه والأبرص، ويحيي الموتى، وهو مستجاب الدعوة سُلِّط عليه قومه يسبُّونه، ويقذفون أمّه، ويضربونه. وفي آخر الأمر هرب منهم هو والحواريون، ثم ظفروا بهم، وأخذوهم وضربوهم وعذبوهم، وقصدوا صلب عيسى عليه السلام/ [١٣٥/ب] فنجّاه الله تعالى منهم، وصلب الذي دلّ عليه. وهكذا كان موسى عليه السلام مبتلى بتلك الأهوال التي جَرَت عليه، وكل واحد من الأنبياء عليهم السلام كان له بلاء يخصه. هذا فعله مع الأنبياء والرّسل الذين هم أحبابه. فمن أنت حتى تريد تغيير علم الله عزّ وجلّ فيك وفي الدنيا؟. إزهد في إرادتك واختيارك، ازهد في حديثك مع نفسك وهواك ودنياك. ازهد في حديثك للخلق والأنس بهم، فإذا تمّ لك هذا كان حديث قلبك مع ربك عزّ وجلّ، وأنسك به، يخيّم ذكره في قلبك، تصير أنت ذاكره وهو ذاكر لك، يقتنص قلبك إليه من فؤادك مع جوارحك، يجعلها عنده، تريد ما يريد، يصير ما سواه عندك [ممقوت]/. [١٣٦/أ]

يصير من الروحانيين الواصلين يزهد في البلاد والعباد، فتندفع الآفات والبلايا عن الخلق به، يأخذ ما آتاه ربك عزّ وجلّ، هذا هو العطاء الحقيقي وما سواه مجاز.

يا غلام: لا تحدّث أحداً من الخلق بما أنت فيه من أمور الدنيا وأمور الآخرة. سدّ ثقب ما أنت فيه، واجعله من وراء الأغلاق، غطّ وجه حالك ولا تري أحدا منه سوى العينين وإن كان النقاب برقعا فهو خير لك. هذا آخر زمان أيام الفتره، سوق النفاق، سوق المعاملة بالرغبة والرهبة، يرغبون في مجيء الدنيا ويرهبون من بعدها، يرغبون في القرب من الخلق ويرهبون من بُعدهم. قد صارت الملوك لكثير من الخلق آلهة. قد صارت الدنيا والغنى والعافية والحول والقوة آلهة.

[١٣٦/ب] ويلكم جعلتم/ الفرع أصلا، والمرزوق رازقا، والمملوك مالكا، والفقير غنيّا، العاجز قويّا، والميت حيا، لا كرامة لكم، لا نتّبعكم ولا ننتحل مذهبكم؛ بل نكون ناحية منكم، نَقِفُ على تلّ السلامة، على السنّة وترك البدعة، وعلى تلّ التوحيد والإخلاص وترك الرياء والنفاق، ورؤية الخلق بعين العجز والضعف والقهر، نرضى بالقضاء، ونترك التسخّط، ونتمسك بالصبر، ونترك الشكوى، ونمشي على أقدام قلوبنا إلى باب مليكنا عزّ وجلّ، التسخير والتسليط منه، كما أن التخليق والترزيق منه، إذا عظّمت جبابرة الدنيا وفراعنتها وملوكها وأغنياءها ونسيت الله عزّ وجلّ ولم تعظّمه فحكمك حكم عبدة الأصنام، يصير مَنْ عظّمته صنمك.

[١٣٧/أ] ويلك اعبد خالق الأصنام: وقد ذلّت لك الأصنام، تقرّب إلى الله عزّ وجلّ وقد تقرب الخلق إليك، على قدر تعظيمك لله عزّ وجلّ يعظمك خلقه، على قدر حبّك له يحبّك خلقه، على قدر خوفك منه يخاف منك خلقه، على قدر احترامك لأوامره ونواهيه يحترمك خلقه، على قدر تقرّبك منه يقرب إليه خلقه، على قدر خدمتك له يخدمك خلقه، على قدر خدمتك له يخدمك خلقه. عليك بالورع، لا تخله من يد قلبك. إن تركته فالخذلان في زيقك[٤٢]. من ترك الورع اسود قلبه بالشبهات والتخليطات.

---

(٤٢) في (أ): ريق، والزيق: هو طرف الشيء. انظر اللسان مادة «زيق».

ويلك تدعي أنّك متّقٍ وأنت تارك للورع. المتورع يترك أشياء كثيرة خوفاً من الوقوع في الحرام والشبهة، يعاقبه الله عزّ وجلّ بأدنى ترخص. مررْت يوماً على/ [١٣٧/ب] قرية وحولها ذُرَة مزروعة فمددْتُ يدي فأخذت قصبة من قصب الذرة حتى أمصها، فإذا جاءني رجلان من أهل القرية، ومع كل واحد منهما عصا، فضرباني حتى وقعت على الأرض، فعاهدت الله عزّ وجلّ في تلك الساعة أني لا أعود أترخص فيما يخصّني، لأنّ الشرع قد أباح للمجتاز على الزروع والثمار أن يأكل منها قدر الحاجة، ولا يأخذ منه شيئاً، فهذه رخصة عامة، ولكنّي لم أُتْرَك مع هذه الرخصة، وطولبت بالعزيمة ودقيق الورع.

كل منْ يذكر الموت يكثر ورعه، وتقل رخصته، وتكثر عزيمته. ذكر الموت دواء لأمراض النفس ومنفعه. على رأسها بقيْتُ سنين أُكْثر من ذكر الموت ليلاًونهاراً؛ فإني أفلحت بذكري له، وقهرت نفسي بذكره. ففي بعض تلك/ [١٣٨/أ] الليالي ذكرت الموت وبكيت من أوّل الليل إلى سحره، وكنت في تلك الليلة أبكي واقول: إلهي أسألك أن لا يقبض ملك الموت روحي و[أنْ] تتولى قبضها أنتَ، فغفت عيناي وقت السحر فرأيت رجلاً شيخاً بهياً له سمت حسن، قد دخل عليّ من الباب، وقلت له: من تكون؟ فقال: أنا ملك الموت. فقلت له: إنّي سألت الله عزّ وجلّ أن يتولّى قبض روحي ولا تقبضها أنت، فقال: ولِمَ سألته ذلك؟ أيّ ذنب لي؟ إنْ أنا إلا عبد مأمور، أومرَ بالرفق بقوم، وبالفظاظة على قوم. وعانقني وبكا وبكيت معه، ثم انتبهت وأنا أبكي.

دعوا عنكم الهوس، هذا لا يجيء بالتحلّي والتمني ولَقْلَقْة اللسان، إن كنت قاعداً على هذا الطبق وعلى هذا المنهل فكُلْ واشرب/ وأطعم واسق. وإن كنت [١٣٨/ب] سمعت بها سماعاً فاسكت، لا تخبر عن شيء لم تره، ولا تدع الناس إلى دعوة غيرك. لا تدع الناس إلى بيت فارغ فيضحكوا عليك. إرمنا من جعبتك، أنفق علينا من كيسك، من كسبك وعرق جبينك. لا تطعمنا من عملتك التي سرقتها

من جيرانك، لا تكسنا من عاريتك. ما نقبل الهدية إلا من مالك لا من مستعير وغاصب. التوحيد نار محرقة لكل شيء، يا نار كوني برداً وسلاماً. اللهم أعطنا خير هذا اليوم. واكفنا شرّه، وهكذا جميع الليالي والأيام.

يا قعوداً على دنياهم وطول أمالهم، عن قريب تأتي الآجال، فتحول بينكم وبين الآمال. بادروا الآجال قبل مجيئها، انظروا إلى وجه الموت الفجأة، ليس من [١٣٩/أ] شرط للموت/ المرض. إبليس عدوّكم يحب منكم أن تموتوا على قدم الغفلة والمعصية والكفر. لا تغفلوا عن عدوكم، ولا تقبلوا مشورته، لا تأمنوه فما هو أمين. كونوا منه على حذر، فما يرد سيفه عن صديق ولا زنديق، وما ينفلت منه إلا آحاد أفراد. أَخْرج أباكم آدم وأمّكم حوى عليهما السلام من الجنّة وهو مجتهد أنْ لا يخليكم تدخلونها. هو يأمر بالمعاصي والزلات(٤٣) والكفر والمخالفة؛ فكل المعاصي منسوبة إليه بعد قضاء الله تعالى عزّ وجلّ وقدره. كل الخلق مبتلون به سوى عباد الله المخلصين والمحققين لعبادته، فلا سلطان له عليهم، وفي بعض الأوقات يؤذيهم بعض الأذية. إذا جاء القضاء غشى البصر، عمله معهم في الجسد [١٣٩/ب] لا في القلب والسرّ، فيما يلي الدنيا/ لا فيما يلي الآخرة، فيما يلي الخلق لا فيما يلي الحقّ عزّ وجلّ. وأكثر ما يدخل على الخلق بطريق الدنيا والنفس. طلب الدنيا نار محرقة. يا غلمان اشتغلوا بما يعنيكم وما يصلحكم، العمل لما بعد الموت يعنيكم، مجاهة نفوسكم تعنيكم. والاشتغال بعيوبكم يعنيكم، والاشتغال بعيوب الناس لا يعنيكم. اذكروا الموت واعملوا لما بعد الموت. قال النبيّ صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلك: «الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنّى على الله المغفرة»(٤٤). ألزموا أنفسكم التواضع لله عزّ وجلّ

---

(٤٣) في (أ) اللذات.

(٤٤) رواه أحمد في مسند الشاميين، عن شداد بن أوس، ١٧١٢٣، دون لفظ المغفرة، وأخرجه ابن ماجه في السنن، كتاب الزهد، باب ذكر الموت والاستعداد له، ٤٢٦٠، دون لفظة المغفرة.

وللمؤمنين من خلقه. طالبوها بحقوق الله عزّ وجلّ التي له عليها. ناقشوها وحاسبوها كما يفعل الصالحون. وكان أمير المؤمنين/ عمر بن الخطاب رضي الله [١٤٠/أ] عنه إذا جنّ الليل يُقْبل على نفسه ويقول لها: ما فعلت لربّك عزّ وجلّ؟ ما صنعت له؟ ثم يأخذ الدّرة(٤٥) ويضرب بها فخذيه، ويواقفها(٤٦) على شيء فشيء، كان يطالب نفسه بحقوق الله عزّ وجلّ، ويطلب منها الزيادة في خدمته، وهو من كبار الصديقين المقرّبين المحدّثين المقطوع لهم بالجنّة. الصّالحون يحاسبون أنفسهم مع صلاحهم وطاعاتهم وأنتم لا تحاسبونها، لا جرم لا تنتفعون بها. اللهم قوّنا على أنفسنا وأهويتنا وشياطيننا، واجعلنا في حزبك، ومن حزبك، قرّب قلوبنا إليك قبل الموت، وارزقنا لقاء الخاص قبل لقاء العام، آمين. / كان لقمان الحكيم رحمة [١٤٠/ب] الله عليه يقول لابنه: (يا بني كيف يأمن النار من لا بد له من الجواز عليها؟! وكيف يأمن الدنيا من لا بدّ له من الاشتغال عنها؟ وكيف ينسى الموت من لا بدّ له منه؟!. وكيف يغفل عنه وهو لا يغفل عنه؟!) كلكم تجوزون على النّار وما يتخلّص منها إلا من اتقى اللهعزّ وجلّ. الجواز على النار سفر يريد زاد التقوى وما أراكم حَصّلتم زاد التقوى. يا طلاب الدنيا، يا عاشقين لها، هل هي إلا خدامة(٤٧) بالإضافة إلى الجنّة، الجنّة هي السّريّة(٤٨)، هي السّت، هي الأصل. كان الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمة الله عليه ـ يقول: (عزيز على قلوب حبّ الدنيا وقد جمعت صدورها القرآن). عن النبي صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم أنه

كما أخرجه الترمذي في كتاب صفة القيامة، باب الكيّس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، ٢٤٦١ .

(٤٥) الدرّة: العصا التي يضرب بها السلطان.

(٤٦) في (أ): يواقعها.

(٤٧) في «أ»: خداعة.

(٤٨) السّرية: الشرف، وقصد بها الرفعة والغاية.

[١٤١/أ] قال: «إنّهذه القلوب لتصدأ وإنّ جلاءها القرآن/، وحضور مجالس الذكر»(٤٩).

مجالسة العلماء العمال بالعلم تجلو القلوب وتصفيها وترقيها وتزيل قساوتها. شكى رجل إلى الحسن البصري ـ رحمة الله عليه ـ قساوة قلبه فقال: (أَدْنه(٥٠) من الذكر. الذاكرون لله عزّ وجلّ العلماء به، الأولياء له.).

هم الملوك على الحقيقة عرفوا الملك من هو فسعوا إليه، فصيّرهم ملوكاً. رأوا الآخرة فصغُرت الدنيا في قلوبهم. ورأو الحقّ عزّ وجلّ فصغُر الخلق عندهم. العزة في طاعة الله عزّ وجلّ وترك معاصيه.

هذا القلب لا يصحّ ولا يفلح حتى يترك كل محبوب، ويقطع كل موصول، ويزهد في كل مخلوق. أترك وقد أوتيت خيرا مما تركت. قال النبي صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم: «من ترك شيئاً لله عوضه الله عزّ وجلّ خيراً منه»(٥١).

[١٤١/ب] اللهم أيقظ قلوبنا لك/ ونبهنا/ عن الغفلة عنك، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

---

(٤٩) ذكره ابن عدي في الكامل ١/٢٥٨، عن ابن عمر رضي الله عنه، بلفظ «إن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد إذا أصابه الماء، قالوا يا رسول الله: وما جلاؤها؟ قال: كثرة ذكر الله جلاؤها». كما ذكره القضاعي في مسند الشهاب، ١١٧٨، بلفظ «قيل يا رسول الله: فما جلاؤها؟ قال: ذكر الموت وتلاوة القرآن.

(٥٠) في (أ): دُم.

(٥١) ذكره السيوطي في الدرر المنتثرة، ٤٠٧، ويشهد له ما أخرجه القضاعي في مسند الشهاب، ١١٣٥، عن أبي قتادة وأبي الدهماء قالا: أتينا على رجل من أهل البادية فقال: أخذ بيدي رسول الله صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم فعلمني ممّا علّمه الله. فكان ممّا حفظته عنه: إنّك لا تَدَع شيئاًاِتقاء الله إلا أعطاك الله خيرا منه.

مجلس

الصادق يشكر على النّعم، ويصبر على النقم، ويمتثل الأمر وينتهي عن النواهي. القلوب على هذا تتربّ، الشكر على النعم يزيد النعم، والصّبر على النّقم يزيل النقم ويسهل أمرها. اصبروا عند موت الأولاد والأهل، وذهاب المال، وأخذ العرض، وكسر الأغراض وأذية الخلق وقد رأيتم خيراًكثيرا. إذا شكرت عند مجيء اليسير وصبَرْت عند مجيء العسر تَرَيَّش جناح إيمانك وقوى، فطار قلبك وسرّك بهما إلى باب مولاك عزّ وجلّ. كيف تدّعي الإيمان ولا صبر لك. أَمَا سمعت قول النّبي صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم: «الصّبر من الإيمان كالرأس من الجسد»[٥٢]. إذا لم يكن لك صبر/ فلا رأس لإيمانك. فإذاً لا عبرة بجسده، ولو[١٤٢/أ] عرفت المبتلي صبرت على بلائه. لو عرفت الدنيا ما خضْت في طلبها. اللهم اهدِ كلَّ ضال، وتب على كلّ عاصٍ، وصَبّر كلَّ مبتلى، ووفق للشّكر كل معافى، آمين.

سأله سائل: أيّما أشد نار الخوف أو نار الشوق، فقال: نار الخوف للمريد، ونار الشوق للمراد، هذا شيء وهذا شيء، أيّ النارين عندك يا سائل؟ يا معتمدين على الأسباب، نافعكم واحد، ضاركم واحد. ملِكُكم واحد، سلطانكم واحد، إلهكم واحد، صانعكم واحد، هو الذي صنعكم، والذي تصنعونه هو يصنعه على أيديكم، هو خلقكم ورزقكم وضرّكم ونفعكم وهدداكم، لمَ تعتمدون على

(٥٢) أخرجه الديلمي في الفردوس، ٣٨٤٠ عن أنس، والعراقي في تخريج الإحياء ٤/ ٦١، وذكره المناوي في فيض القدير، ٥١٣٦ عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

[١٤٢/ب] مخلوق مثلكم؟. لِمَ تعبدون ما لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعا، أمَا سمعتموه/ كيف قال: ﴿فمن كان يرجوا لقاء ربّه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً﴾ [سورة الكهف ١٨/ ١١٠].

يا منافق: زمانك يذهب في لا شيء، ويا مدبّر زمانك يضيع. رأس مالك يذوب، لا جرم لا ترى الأرباح. رأس مالك دينك، وأنت تأكل الدنيا به، فأنت إذا تأكل دينك، فهو ذائب ذاهب، يذهب بعملك للخلق، وطلبك للصيت، والدينار والدّرهم، والجاه والقبول. أنت عدوّ الله عزّ وجلّ ممقوته، وممقوت قلوب الصديقين من عباده، وممقوت الملائكة. الملائكة تلعنك، والأرض التي تحتك تلعنك، والسماء التي فوقك تلعنك، والثياب التي عليك تلعنك، فأنت [١٤٣/أ] ملعون الخالق والخلق، أمَا علمت أن المنافق في الدّرك الأسفل من النار. أسلم/ ثم تُبْ، تدارك الأمر قبل أن يفجأك الموت، قبل أن تؤخذ بغتة فتندم ولا ينفعك النّدم، إنّي أعرفك وما يمكنني [أن] أعينّ عليك، وقد أمرنا في الحكم بالسّتر عليك وعلى غيرك، ولكنّي أرسل الكلام إرسالاً من غير تعيين، أشير إليك إشارة من غير تصريح. إياك أعني، واسمعي يا جاره.

العبد يضرب بالعصا والحرّ تكفيه إشارة، الحقّ تعالى ناظر إلى خلوات الخلق وجلواتهم، وإلى قلوبهم، لا يقبل منهم إلا ما كان له، وارادوا به وجهه. لا تتصنّعوا ولا تبهرجوا لا تدلسوا، فإنه يعلم السرّوأخفى، يعلم خائنة الأعين وما تخفِي الصدور. أخدموا هذا الملك، هذا الخالق، هذا الرازق، هذا المنعم، هذا [١٤٣/ب] الذي جعل لكم الشمس ضياءا، والقمر نورا، والليل سكنا/ قد نبّهكم على نعمه عليكم، وعدّدها حتى تشكروه، ثم قال لكم بعد تعديدها ﴿... وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ...﴾ [سورة إبراهيم ١٤/ ٣٤]. مَنْ رأى نعم الله عزّ وجلّ على الحقيقة عجز عن شكرها، وبهت لها، ولهذا قال موسى عليه السلام: (إلهي إنِّي أشكرك بالعجز عن شكرك.) ما أقلّ شكركم، وما أكثر اعتراضكم، لو عرفتموه خرست ألسنتكم بين يديه، وتأدّبت قلوبكم وجوارحكم في جميع الأحوال؛ ولهذا

قال النبي صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم: «من عرف الله كَلَّ لسانه»[٥٣]. العارف لا يزال أخرس، لا ينطق بالأسرار التي عنده إلا بإذنٍ منه [عزّ وجلّ].

يا غلام: استودع نفسك وجوارحك وأهلك ومالك الحقَّ عزّ وجلّ الذي لا تضيع ودائعه، وسرْ بقلبك إليه؛ فإنّك تجد عنده كل خير. أدّ حقّ الحكم. أرض هذا النبيّ/صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم واتّبعه، ثمّ ادخل على ربّك [١٤٤/أ] عزّ وجلّ بأقدام علمك به، ومعرفتك له، اصحب الحكم إلى أنْ تصل إلى الباب، فإذا وصلت إليه استوقفه هناك واسأله الدعاء بالسلامة، وسعادة البخت ثم ادخل إلى دار سرّك ومعناك. عن بعضهم أنه قال: (لإنْ آكل الدنيا بالطبل والمزمار أحب إليّمن أنْ آكلها بالدِّين). عن قريب يتفكر كل واحد منكم ما سعى من التوحيد والشرك، من النفاق والإخلاص، ذلك اليوم تَبْرز الجحيم لمن يرى، كل من في القيامة يراها، ويفزع منها إلا آحاد أفراد. إذا رأتِ المؤمن ذلّت له، وخمدت حتى يجوز؛ ولهذا نقل عن النبي صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم أنّه قال: «تقول النار يوم القيامة للمؤمن جُزْ يا مؤمن فقد أطفأ نورك/ لهبي»[٥٤]. [١٤٤/ب] تناديه قبل أن يجوز عليها أسرع، جُزْ، لا تبطل عليّ شغلي، فإن شغلي مع غيرك، لا بد من الجواز عليها للمسلم والكافر، للطائع والعاصي. إذا استقرت قدم المؤمن على الصّراط الممدود عليها تنزوي وتخمد، وتقول له: جز فقد أطفأ نورك لهبي. ومنهم من يجوز ولا يراها، فإذا دخلوا الجنّة يقولون: أليس قد قال الله عزّ وجلّ: ﴿وإن منكم إلا واردها . . .﴾ [سورة مريم ١٩/ ٧١]. فما رأيناها، فيقال لهم: جزتموها وهي خامدة.

العاصي آبق من مولاه عزّ وجلّ. المؤمن الطائع واقف في خدمة مولاه عزّ وجلّ، علم أنّه سيلقاه، ويسأله عن جميع أموره التي كان فيها وهو في الدنيا،

---

(٥٣) لم نجده بهذا اللّفظ.

(٥٤) انظر تخريج الحديث في الصفحة (٥٠).

ترك متابعة هواه؛ لأنّه علم أنّه يضلّه، ويأمره بمنازعة ربّه عزّ وجلّ، خالف [١٤٥/أ] نفسه/وعاداها؛ لأنه علم أنها معادية لربّه عزّ وجلّ. أوحى الله عزّ وجلّ إلى داود عليه السلام: (يا داود اهجر هواك، فإنّه لا منازع ينازعني غير الهوى) اصحبوا الحقّ عزّ وجلّ بالسكون والإطراق وحسن الأدب. اتركوا إرادتكم لإرادته، اختياركم لاختياره، حكمكم لحكمه، مشيئتكم لمشيئته. هو فعّال ما يريد، لا يسأل عما يفعل وهو يسألون. صحبته كصحبة السباع والأفاعي؛ ولهذا القوم وقوف معه على قدم الخوف والحذر، لا ليلهم ليل، ولا نهارهم نهار. أَكْلُهم أكل المرضى. ونومهم نوم الغرقى. وكلامهم ضرورة. المريض بأدنى شيء يشبع ويأكل وهو خائف من أكله، لا يدري هل هو يوافق مزاجه أم لا، والغريق تغفو عيناه [١٤٥/ب] غلبة، والأمواج تنبّهه. هم في بحر القدرة:/ بحر فعّال لما يريد لا ما يريدون[٥٥]. يخافون أن تغرقهم الأمواج، أو تسلّط عليهم بعض الدّواب فتأكلهم، ويرجون أن ترميهم إلى السّاحل فتدخلهم قصر قربه ومناجاته ومشاهدته. يا من يريد: اجتهد أنّك لا تريد. قيل لبعضهم: ما تشتهي؟ قال: أشتهي أن لا اشتهي). كل الدائرة على الرضا بالقضاء. وترك الإرادة واستطراح القلب بين يدي مقلبه. اللهم اجعلنا من المسلمين المستطرحين بين يدي قدرك. وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

---

(٥٥) في (أ): لا يريدون سواه.

مجلس

يا غلام: القوم تركوا العمل وقالوا: ما سواه حشو وقشر، طلبوا اللّبّ واستغنوا به عن القشرة بما لا بدّ منه عما لا بدّ منه. الحقّ عزّ وجلّ ما لا بدّ منه، وما سواه بدّمنه. لما علم/ منهم صدقهم في الطلب أعطاهم العفو والعافية والقرب [١٤٦/أ] منه، هنالك الولاية لله الحقّ. كل قلب لا خوف فيه كبلدة لا شحنة[٥٦] فيها، وغنم بلا راع، فتكون البلدة خرابا، والغنم مأكول الذئاب. من خاف أدلج، لايستقر مكاناً واحداً، لا يزال سائراً. غاية سفر القوم إلى دار قرب الحق عزّ وجلّ. السير سير القلوب، والوصول وصول الأسرار. إذا وصلت الأسرار صارت ملوكاً، وتصير الجوارح أتباعا وحواشيا. إذا وصل القلب إلى الباب استأذن للسير، فيدخل هو بعده. ما أكثر علومكم وأقل أعمالكم. قد جعلتم حظكم من العلم حفظه، وإيراد الحكايات، والسير. ما ينفعكم هذا. يحفظ أحدكم كذا وكذا حديثاً ولا يعمل بحرف منه. هذه حجة عليكم لا حجة لكم، أحدكم/ يقول: [١٤٦/ب] شيخي فلان، وصحبت فلانا، قرأت على فلان، قلت للعالم فلان. كل هذا من غير عمل لا يساوي شيئاً. الصادق في عمله يودّع الشيوخ ويجوزهم، يشير إليهم: اقعدوا مكانكم حتى أمضي إلى الموضع الذي دللتموني عليه. الشيوخ باب فهل يحسن أن تلزم الباب ولا تدخل الدار، ويضرب الله الأمثال للناس.

علامة شقاوة العبد قساوة قلبه، وجمود عينيه، وطول أمله، وبخله بما في يده وتهاونه بالأمر والنهي، وتسخطه عند نزول الآفات فإذا رأيتم أحداً على هذه الصفة فاعلموا أنّه شقي. صاحب القلب القاسي لا يرحم أحدا، ولا تدمع عيناه: لا في

---

(٥٦) أي فارغة لا خير فيها.

فرحة، ولا في ترحه، لأن جمود عينيه لقساوة قلبه علامة، كيف لا يكون قلبه قاسيا
[١٤٧/أ] وهو ملآن من التمني للمعاصي والزلات/وطول الأمل والحرص على ما لم يقسم
له، والحسد عليه، ويبخل بالزكاة المفروضة عليه، والكفارات لا يخرجها، والنذور
لا يوفي بها، وأقاربه لا يتفقدهم، والديون التي عليه لا يقضيها مع القدرة على
قضائها بل يماطل بها أو يجحدها، يكره إعطاء الفضل والحقّ، فكلّ هذا وأمثاله من
علامات الشقاوة. قال عز من قائل: ﴿ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر
الله وما نزل من الحق . . .﴾ [سورة الحديد ١٦/٥٧]، ولا تحتجوا عليه بقدره.
جدّوا واجتهدوا، ولازموا واطلبوا، وتضرّعوا وابكوا، واستشفعوا وذلّوا، واثبتوا
على الباب ولا تهربوا. كل الأمور بيد الله عزّ وجلّ، هو الموقظ والمحذّر. هو المنبّه،
هو المنوّم. نبيّنا صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم لمّا سمع مناداة الحقّ عزّ وجلّ
[١٤٧/ب] له ﴿يا أيها/ المدّثر﴾ [سورة المدثر ١/٧٤]. قام عن فراشه وخرج هائماً. وهكذا
القلب يسمع مناداة الحق عزّ وجلّ فيجيبه ويهيم في طلبه، يشتاق إليه. هو ينبّه
القلوب ويدلّها عليه. إذا أرادك لأمر هيّأك له، هذا أمر باطن. وهو القدر والسّابقة
والعلم. لا يجوز لنا الوقوف معه والاحتجاج به، بل نجدّ ونجتهد، و[لا] نعترض
ولا نكسل. اللهم رضّنا بقضائك، صبّرنا على بلائك، أوزعنا شكر نعمائك.
نسألك تمام النعمة ودوام العافية، والثبات على المحبّة. عن إبراهيم بن أدهم(٥٧)
ـ رحمة الله عليه ـ أنّه قال: (بقيت ليلة، من أوّل الليل إلى آخره أدعوا الله عزّ وجلّ

---

(٥٧) هو إبراهيم بن أدهم بن منصور التميمي البلخي توفي (١٦١هـ). زاهد مشهور كان أبوه من أهل الغنى في بلخ فتفقّه ورحل إلى بغداد وجال في العراق والشام والحجاز ولم يعبأ بالغنى، كان يعيش من عمله بالحصاد وحفظ البساتين والحمل والطحين، ويشترك مع الغزاة في قتال الروم، أخذ عنه كثير جداً من العلماء. أخباره كثيرة وفيها اضطراب في نسبته ومسكنه ومتوفاه.

انظر الاعلام للزركلي ٣١/١ .

بأنواع الدعاء وأبكي إلى قريب من الصبح غفت عيني، فرأيت الله عزّ وجلّ في نومي فقال: (يا إبراهيم إنّك ما تحسن تدعوني/ قل: اللهم رضني بقضائك، [١٤٨/أ] وصبّرني على بلائك، أوزعني أن أشكر نعمائك ، أسألك تمام النعمة، ودوام العافية، والثبات على المحبّة) فانتبهت وأنا أكررها. العبد المحقق للعبودية من استغنى بربّه عن خَلْق ربّه عزّ وجلّ، بحاله عن أحوال غيره، بنبيه صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم عن سائر الأنبياء. لا يبقى له حاجة إلى شيء، وتحتاج الأشياء إليه.

القوم لا يطلبون من الله عزّ وجلّ غير الله، يطلبون المنعم لا النعمة، الخالق لا المخلوق، هربوا من الطعام والشراب واللباس والنكاح وصداع الدنيا، هربوا إليه فهم يعبدونه لأجله، ويطلبون منه، ما يعبدونه لعلف النفوس، ما يعبدونه لدار الضيافة، يقولون ما نصنع بالزحمة؟! نريد الرحمة، نريد الخلوة مع المحبوب من غير زحمة، المحبّة/ لا تحمل شريكاً. يا مَنْ يدّعي المحبّة، المحبّ ضيف [١٤٨/ب] المحبوب، وهل رأيت ضيفاً يتحرّك في تحصيل طعامه وشرابه ومصالحه؟ تدّعي المحبّة وتنام! المحبّ كيف ينام؟! لا يخلو إمّا أن يكون محبّاً أو محبوباً؛ فإنْ كنت محبّاً فالمحبّ كيف ينام؟! وإنْ كنت محبوباً فالمحب ضيفك يا مدّعي ما ليس عندكم سوف تعلمون نبأه بعد حين. سوف ترون(٥٨) عقوبة دعاويكم عاجلاً وآجلاً.

يا علماء: يا متعلمون: ليس المقصود العلم إنّما المقصود ثمرته. ماذا تنفع الشجرة من غير ثمرة؟! وما ثمرة العلم إلا العمل والإخلاص. الكتاب والسنة آلة يُعمل بهما فكيف تنفع آلة لا يعمل بها، إنّما تحصل الأجرة للصّانع بعد عمله وتعبه. لا كلام حتى تُقْدم من سفْرة الدنيا والوجود والخلق. إذا قدمت عليه بَيَّنَ/ [١٤٩/أ] لك وكشف وشرح. قال الله تعالى: ﴿... اتقوا الله ويعلمكم الله ...﴾ [سورة

---

(٥٨) في (أ): تعلمون.

البقرة ٢/٢٨٢]. وقال: ﴿. . . ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب. . .﴾ [سورة الطلاق ٦٥/ ٢-٣].

التقوى أساس كل خير، سبب لمجيء الدنيا والحكمة والعلوم وصفاء القلوب والأسرار. اتقوه واصبروا معه، رأس الإيمان(٥٩) الصبر وجسده العمل؛ ولهذا كان النبي صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم يقول: «الصبر من الإيمان كالرأس من الجسد»(٦٠) كل الأعمال لا تتم إلا بالصّبر تحت قضاء الله عزّ وجلّ. اصبروا واثبتوا وتورعوا. عليكم بالورع في خلواتكم وجلواتكم، والزهد في أقسام غيركم، والإعراض عن أقسامكم. أنت تغنم بدل الدين الجاه، وتجمع الغلات والدنانير والثياب والدور والجواري والخيل والخدم، كل هذا هوس، عن قريب تفارقه. [١٤٩/ب] ارجع إلى ربّك/ عزّ وجلّ. اعكس تصب، دع الباطل والاختلاط والجنون، كيف تجمع شيئا تتركه لغيرك، وتنفرد بمحاسبته ومناقشته، ما ينفعك من جميع ما تجمع ذرّة، ما يقع بيدك منه إلا حجته وحسابه ونكاله وذهابه وندامته. مالك عقل، اشترِ مني عقلاً، تقدَّم إلى بين يديّ واسمع نصحي لك. إنّي أعرف ما لا تعرف، وأرى من الآخرة ما لا ترى. ويحكم الأعمال الصّالحة هي التي تردّ العذاب عنكم في قبوركم. عن النبيّ صلّى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم أنّه قال: «إذا نزل المؤمن إلى قبره: تقعد الصدقة عند رأسه والصلاة عن يمينه والصيام عن شماله، والصّبر عند رجليه فيأتي العذاب من عند رأسه فتقول الصدقة مالك عندي سبيل، فيأتي عن يمينه فتقول الصلاة مالك عندي/ سبيل، فيأتي عن شماله فيقول [١٥٠/أ]

---

(٥٩) في «ب»: الدين.

(٦٠) أخرجه الديلمي في الفردوس، ٣٨٤٠، عن أنس رضي الله عنه، كما ذكره العراقي في تخريج أحاديث الإحياء، ٤/ ٦١، وذكره في المناوي في فيض القدير، ٥١٣٦، عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

الصيام مالك عندي سبيل، فيقول الصبر: ها أنا حاضر إن احتجتم إليّ ساعدتكم[٦١]».

يا قوم: عليكم بالمواساة للفقراء والإيثار لهم عند ضعف الإيمان، والمواساة عند قوته، والإيثار مع التبسم. استقبلوا الفقراء بالعطاء أو بالردّ على أحسن وجه عند العدم. عن النبي صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم أنّه قال: «هدية الله عزّ وجلّ إلى عبده السّائل على بابه»[٦٢].

ويحكم تكرهون هدية الله عزّ وجلّ وتردّونها ولا تقبلونها[٦٣]، عن قريب ترون جزاءكم، يجيء إليكم الفقر فيطرد غناكم ويقعد مكانه، يجيء إليكم المرض فيطرد عوافيكم ويقعد مكانها، لا تخاطرون برؤوس نعم ربّكم عزّ وجلّ التي له عندكم.

---

(٦١) رواه ابن حبان في صحيحه، ٣١١٣، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه [وآله وصحبه] وسلم قال: «إن الميت إذا وضع في قبره إنه ليسمع خفق نعالهم حين يولّون عنه، فإنْ كان مؤمنا كانت الصلاة عند رأسه، وكان الصيام عن يمينه، وكانت الزكاة عن شماله، وكان فعل الخيرات من الصدقة والصّلة والمعروف والإحسان إلى الناس عند رجليه. فيؤتى من قبل رأسه فتقول الصلاة: ما قِبَلي مدخل. ثم يؤتى عن يساره، فتقول الزكاة: ما قبلي مدخل. ثم يؤتى من قبل رجليه، فتقول فعل الخيرات من الصدقة والصّلة والمعروف والإحسان إلى الناس: ما قبلي مدخل . . .». وقد أورد الطبراني في الأوسط عن أبي هريرة رفعه، قال: يؤتى الرجل في قبره، فإذا أُوتي من قبل رأسه دفعه تلاوة القرآن، وإن أُتي من يديه دفعته الصدقة، وإذا أُتي من قبل رجليه دفعه مشيه إلى المساجد، والصبر حَجْره، فقال: أما إني لو رأيت خللاً كنت صاحبه». قوله حَجْره بفتح الفاء وسكون الجيم والراء، أي ناحية. انظر تخريج إحياء علوم الدين لمحمود الحداد، ٤٠٦٥ .

(٦٢) انظر تخريجه ص ١٠٨,

(٦٣) نقص من «أ».

المؤمن يعلم أنّه لم يوجّه الحقّ عزّ وجلّ إليه بالسائل[٦٤] إلا حتى يعطيه من نعمه التي له عنده، ويرى أنّه/ إذا أعطاه أكرمه وقبل حوالته، أعطاه ما هو أوفى وأكثر [١٥٠/ب] وأحسن من عطيته دنيا وآخره.

يا مدبرا: تعامل السلاطين والأمراء والأغنياء طلبا للجاه والزيادة، ولا تعامل ملك الملوك[٦٥]. هو أغنى الأغنياء الذي لا يموت أبداً، ولا يفتقر أبداً، وإذا أقرضته يضاعف لك، يعطيك عن الدرهم عشرة في الدنيا وثوابك في الآخرة لا ينقص. يعطيك في الدنيا البركة وفي الآخرة الثواب، أمَا سمعت كيف قال: ﴿... وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه ...﴾ [سورة سبأ ٣٤/٣٩].

اللهم ارزقنا معاملتك، وطيّب لنا خدمتك، والوقوف على بابك مع جملة خدمك. وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

* * *

---

(٦٤) نقص من «أ».

(٦٥) في (أ): مالك الموت.

مجلس

عن النبي صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم أنّه قال: قال لي جبريل عليه السلام/ إنّما يرحم الله من عباده الرحماء[٦٦]»، «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء»[٦٧]. يا من يريد الرحمة من الله عزّ وجلّ، زنْ ثمنها وقد وقعتْ بيدك! ما ثمنها؟ رحمتك لخلقه والشفقة عليهم، وإصلاح نيّتك لهم. تريد شيئاً بلا شيء. ما يقع بيدك؟!. هات الثمن وخذ المثمّن. [١٥١/أ]

ويحك تدّعي معرفة الله عزّ وجلّ ولا ترحم خلقه. كذبت في دعواك. العارف يرحم كل الخلق من حيث العلم، ويرحم قوما دون قوم من حيث الحكم. الحكم يفرق، والعلم يجمع. قال الله تعالى: ﴿... وأتوا البيوت من أبوابها ...﴾ [سورة البقرة ٢/١٨٩]. الشيوخ العاملون الصادقون هم أبواب الحقّ عزّ وجلّ وطرقه إلى قربه. هم ورثة الأنبياء والمرسلين ونوّباهم. هم مفردوا الحق عزّ وجلّ والدعاة إليه. هم سفراء بينه وبين خلقه/ هم أطباء الدِّين ومعلموا الحقّ. اِقْبلوا منهم واخدموهم. سلّموا نفوسكم الجاهلة إلى يد أمرهم ونهيهم. الأرزاق بيد الله عزّ وجلّ. رزق الأبدان. ورزق القلوب. ورزق الأسرار فاطلبوها منه لا من غيره. رزق الأبدان الطعام والشراب، ورزق القلوب التوحيد. ورزق الأسرار الذكر الخفي. ارحموا نفوسكم بمجاهدتها وأمرها ونهيها ورياضتها. ارحموا الخلق بأمرهم [١٥١/ب]

---

(٦٦) قطعة من حديث أخرجه البخاري، كتاب الجنائز، باب ما يرخص في البكاء من غير نوح، ١٢٢٤، «هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده، إنما يرحم الله من عباده الرحماء». كما أخرجه أحمد في مسند الأنصار، ٢٢٦٣ .

(٦٧) رواه الترمذي في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب من رحمة الناس، ١٩٢٤، عن عبدالله بن عمرو، كما رواه البيهقي في الشعب، ١١٠٤٨ ١٠هـ.

بالمعروف ونهيهم عن المنكر، والصدق في نصيحتهم، والأخذ بأيديهم إلى باب ربهم عزّ وجلّ.

الرحمة من صفات المؤمنين، والقساوة من صفات الكافرين. صلوا من قطعكم، وأعطوا من حرمكم، واعفوا عمّن ظلمكم، إذا فعلتم هذا فقد اتصل حبلكم بحبل الله/ تعالى، وما عندكم بما عنده؛ لأنّ هذه الأخلاق من جملة أخلاق [١٥٢/أ] الحقّ عزّ وجلّ. أجيبوا المؤذنين الذين يدعونكم إلى المساجد التي هي بيت الضيافة والمناجاة. أجيبوهم فإنكم تلقون النجاة والكفاية عندهم. إذا أجبتم داعيه أدخلكم داره وأجابكم وقربكم وعلّمكم المعرفة والعلم. يريكم ما عنده، ويهذّب جوارحكم، ويطهر قلوبكم، ويصفي أسراركم، ويلهمكم رشدكم، ويقيمكم بين يديه، ويوصل قلوبكم إلى دار قربه، ويأذن لها بالدخول عليه. هو كريم إذا أجبتموه ولم تتهاونوا بدعائه أجابكم، وأحسن إليكم، وخلع عليكم [الخِلَع]. قال عزّ من قائل ﴿هل جزاء الإحسان إلا الإحسان﴾ [سورة الرحمن ٥٥/٦٠].

إذا أحسنتم العمل أُحْسِن الثواب. قال النبي صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم/ : «كما تدين تدان»[٦٨]، «كما تكونوا يولّى عليكم»[٦٩]. أعمالكم أعمالكم. [١٥٢/ب] كونوا في الدنيا بقلوب زاهدة متعففة معبّرة. لا تتوطنوا فيها فليست دار الوطن والمقام. ثم وطن آخر [و] مقام أخير. هذه الدار سجن بالإضافة إلى دار الآخرة؛ ولهذا قال النبي صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم: «الدنيا سجن

---

(٦٨) قطعة من حديث، أخرجه عبد الرزاق في المصنف، عن أبي قلابة، ٢٠٢٦٢، وأوله: «البرّ لا يبلى، والذنب لا ينسى، والديّان لا يموت؛ فكن كما شئت، فكما تدين تدان». كما أخرجه الديلمي في الفردوس، ٢٢٠٣، عن ابن عمر بنفس اللفظ.

(٦٩) أخرجه الديلمي في الفردوس، ٤٩١٨، بلفظ «كما تكونوا يولى عليكم أو يؤمر عليكم». كما ذكره العجلوني في الكشف، ١٩٩٧.

المؤمن»[٧٠] هي سجنه ولو عاش فيها ألف سنة متقلب في نعيمها، والآخرة فَرَجُه وفرحته وجنّته وبرّه وثوابه ودولته وأمره ونهيه وسعته.

وأما العارف العالم الصدّيق فثوابه في الدنيا قبل الآخرة، وهو قرب ربّه عزّ وجلّ، يتمنّى أن لم تخلق، يرى أن القيامة زحمه والجنة زحمه، يرى أن في القيامة ظهور سريرته؛ لأنّ في ذلك اليوم تنقلب الأسرار إلى الوجوه، ويرى/ أنه يقوم من [١٥٣/أ] قبره وعليه حليّ وحلل، وتستقبله المواكب[٧١] والغلمان، وقلبه أبداً زاهد في مثل هذا. يكره الزحمه لاستغنائه برؤية ربّه عزّ وجلّ، يحبّ المنعم لا النّعمة، يحبّالدخول على الملك من باب السرّ لا في المواكب، يكره الجواز في الجنّة؛ لأنّه يتعثر بنعيمها ويتغير، يتمنّى ـ المحبّ لله عزّ وجلّ التارك لما سواه ـ أنْ لا يرى الجنّة حتى لا يتقيّد بها، ولا يتعثر بها، ولا تقف خطواته عن ربّه عزّ وجلّ ويشتغل بغيره.

واحريقاه، واناراه على من لا يعرف الله عزّ وجلّ في الدنيا قبل الآخرة، ويشمّ نسيم قربه، ويأكل من طعام فضله ويشرب من شراب أنسه. كم أناديكم يا منافقين، وأنتم لا تسمعون، وغذا سمعتم تتصامون ولا تجيبون. ما أبعدكم وأنتم تنادون/ من مكان بعيد. تجيء أصواتكم من قرار الأرض لا من قلعة القرب [١٥٣/ب] وساحل المنة. كلّ همّكم بطونكم وفروجكم وأجسادكم وجميع دنياكم. إن هذا [إلّا] دنس[٧٢].

---

(٧٠) أخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقاق، ٢٩٥٦، عن أبي هريرة رضي الله عنه. كما أخرجه الترمذي في كتاب الزهد، باب الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، ٢٣٢٥، كما ذكره الحاكم في المستدك، كتاب الرقاق ٤/ ٣١٥، بلفظ «الدنيا سجن المؤمن وسنته، فإذا خرج من الدنيا فارق السجن والسنة».

(٧١) في (أ): المراكب.

(٧٢) في (ب): دَنِيّ.

الجوع طعام الله عزّ وجلّ في الأرض، تشبع به بطون الصّديقين. يا خائفين من الفقر، الفقر هو الخوف من الفقر، والغَنَاء هو الغنى بالله عزّ وجلّ عمّن سواه لا الغنى بالدراهم والدنانير.

يا غلام: أقم القيامة على نفسك، أُدخل بأقدام فكرك إلى النار والجنّة، وأنظر ما فيهما بعيني إيمانك ويقينك، ما يزال المؤمن يعمل حتى يصحّ فكره ونظره؛ فحينئذ يقيم القيامة عَلَى نفسه، ويقوم بين يدي ربّه عزّ وجلّ ويقرأ صحائفه، ويرى فيها حسناته وسيئاته، ويرى سيئاته قد غلبت على حسناته، وأنه قد وقع بها في [١٥٤/أ] النار(٧٣)، يجوز الجواز على/ الصراط فيجوز عليه وهو بين الخوف والرجاء والهلاك والعبور، فبينما هو كذلك إذ تداركه الله عزّ وجلّ برحمته فأمر بردّه إليه، وعرّض الصراط تحت قدميه وأطفأ لهب النّار بماء رحمته حتى قالت: له: جُزْ يا مؤمن فقد أطفأ نورك لهبي. كل هذا يتفكّر فيه المؤمن ويصوّره ويقرّره، لا يزال يؤمن به حتّى يصير عنده يقينا.

يا غلمان: لا تنقطعوا عن هذا النعيم الذي قد شرحته لكم بعدْوِكم خلف أقسامكم، ارتكوا العدو خلفها حتى تسعى هي خلفكم(٧٤)، هذا شيء قد جرّبته ورأيته، ورآه غيري ممّن سلك هذا الطريق. لا تستعجلوا فما يفوتكم ما هو لكم. عن النبي صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم أنّه قال: «ما تخرج نفس من الدنيا [١٥٤/ب] حتى تستوفي رزقها فاتقوا الله/وأجملوا في الطلب»(٧٥). توقفوا، ولا تحرصوا، ولا تتبعوا، وتثبّتوا، هذا إن كان لا بد لكم من الطلب. إذا أعرضت عن أبواب

---

(٧٣) في (ب): وقع له بالنار.

(٧٤) في (أ) و (ب): حتى سعت.

(٧٥) أخرجه الحاكم ٢/٤،٠ عن جابر بلفظ «قال رسول الله صلى الله عليه [وآله وصحبه] وسلم: «إنّ أحدكم لن يموت حتى يستكمل رزقه فلا تستبطؤوا الرزق، واتقوا الله أيها الناس وأجملوا في الطلب، خذوا ما حلّ، ودعوا ما حرّم».

الملوك فتح الله لك باباً لا ينغلق ابدا، باب السّرّ، باب الباطن، يفتح لك من غير حولك وقوتك وظنّك.

المؤمن يخرج من بيت نفسه وهواه وطبعه قاصداً إلى باب ربّه عزّ وجلّ. فبينما هو كذلك إذْ وقف في طريقه سدّالآفات في نفسه وماله واهله، فيقف متحيّراً، فيرجع إلى ذنوبه وسوء أَدَبه في خرق حدود شرع ربّه عزّ وجلّ فيتوب من جميع ذلك، ويسكت عن لِمَ وكيف، ويخرس ظاهراًوباطناً عن الدعاوي وعن المنازعة، ويسلّم ويستطرح لا يعالج، ذلك السدّ الذي بين يديه بيد حركته وجده واجتهاده، ولا يستعين على فتحه بغير ربّه عزّ وجلّ يجعل/ كل شغله في ذكره، [١٥٥/أ] والرجوع إليه، وذكر ذنوبه، والاستغفار منها، والرجوع إلى(٧٦)نفسه بالملامة. حتى إذا فرغ من ذلك رجع إلى قدر ربّه عزّ وجلّ، يقول قَدَرُ الله عزّ وجلّ وقضاؤه وسابقته مكتوب عليّ، يرجع إلى التسليم والتفويض من حيث القلب لا من حيث اللسان. فيما هو كذلك مطرقا مغمضا إذ فتح عينيه والسد قد زال، والباب مفتوح، وقد جاءه مكان الآفات نعماء، ومكان الضيق سعة، ومكان المرض عافية، ومكان الهلاك ملْكا، كل ذلك تصديق قوله عزّ وجلّ ﴿. . . ومن يتق الله يجعل له مخرجا ويرزقه من حيث لا يحتسب . . .﴾ [سورة الطلاق ٦٥/٢-٣]

لا يزال العبد يقابل النعم بالشكر، ويقابل البلاء بالموافقة والاعتراف بالجرائم/والذنوب واللوم للنفس حتى تنتهي خطوات قلبه إلى ربّه عزّ وجلّ.[١٥٥/ب]

لا يزال يخطو بالحسنات والتوبة من السيئات حتى يصل إلى باب ربّه عزّ وجلّ.

لا يزال يخطو بالشكر على النعم وبالصبر على النقم حتى يصل إلى باب ربّه عزّ وجلّ، فإذا وصل إلى هناك رأى ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر. إذا وصل قلب العبد إلى ربّه عزّ وجلّ انقطعت توبته: الحسنات

---

(٧٦) في «أ»: على.

والسيئات، والشكر والصبر، والتعب والشفاء كما تنقطع خطوات المسافر إذا وصل إلى مقصده ومنزله فتبقى المجالسة والمجانسة والمشاهدة والمحادثة والإطلاع على الأسرار. إذا وصل محبّإلى محبوب هل يبقى تعب؟! ينقلب التعب راحة، البعد/ [١٥٦/أ] قربا. الغَيبة حضورا. الخبر معاينة، يطلع على أسراره، ويطوف به داره، ويفتح له خزائنه، ويفرجه في بساتينه. أليس تفعلون هذا، ويضرب الله الأمثال للناس؟!. إنما يعرف الإشارة أهل الإشارة.

يا عابداً بغير قلب حاضر، مَثَلُك مثل الجمل المشدود العين وهو يطحن، يظنّ أنه قد مشى فراسخ كثيرة وهو من مكانه لم يبرح.

ويلك تقوم وتقعد في صلاتك، وتجوع وتعطش في صومك بلا ذرّة من الإخلاص والتوحيد، فماذا ينفعك؟! ما يقع بيدك غير التعب. تصلي وتصوم وعين قلبك إلى ما في بيوت الناس وجيوبهم وأطباقهم! وتنتظرهم حتى يهدوا لك وتريهم [١٥٦/ب] عبادتك وتُعْلِمُهُ/ بصومك/ ومجاهدتك! يا مشركاً بالخلق ما أنت على شيء، ارجع عن شركك. يا منافقا، يا مرائيا، يا مُدْبراً عن صف الصديقين الروحانيين الربانيين، أما تعلم أني محكّكم وكيركم وشحنة عليكم، أطالبكم بدعاويكم، عن النبي صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم أنّه قال: «لو أُخذ الناس بدعاويهم لادعى القوم دماء قوم ولكنّ البينة على المدّعي واليمين على من أنكر»(٧٧). ما أكثر قولك، وما أقل فعلك، اعكس تصب. من عرف الله عزّ وجلّ كَلَّ لسانه، ونطق قلبه، وصفا سرّه، وارتفعت عنده درجته، واستأنس به واستراح إليه، واستغنى

---

(٧٧) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الأقضية، باب اليمين على المُدّعي عليه، ١٧١١، بلفظ «لو يعطى الناس بدعواهم لادّعى ناس دماء رجال وأموالهم لكنّ اليمين على المدّعى عليه.

كما ذكره الشوكاني في نيل الأوطار، باب استحلاف المدَّعى عليه في الأموال والدماء وغيرها» ٤/٣٠٥ .

به، يا نار القلوب كوني برداً وسلاماً. يا قلوب تهيء ليوم تسير فيه الأرض والجبال وتبرز فيه الأرض. الرجل كلُّ الرجل/ من يثبت في ذلك اليوم. الربانيّ يثبت في [١٥٧/أ] ذلك اليوم على قدمي إيمانه وإيقانه وتوكله ومحبته لمولاه وشوقه إليه على قدميّ معرفته له في الدنيا قبل الآخرة. تسير جبال الأسباب والخلق وتبقى جبال المسبّب والخالق، تسير جبال ملوك الظاهر والصور وتضمحل، وتظهر جبال ملوك الباطن، وتثبت يوم القيامة، يوم التغيير والتبديل. هذه الجبال التي ترونها(٧٨) وتتعجبون من قوتها وصلابتها وعظم خلقها تصير كأنّها الصّوف المندوف، وتنقطع من أماكنها بعروقها، وتذهب صلابتها وتسير أسرع من سير السحاب، وتصير السماء كالمهل وهو الصفر المذاب(٧٩)، تتغير صفة الأرض والسماء، تنتهي نوبة الدنيا، ونوبة الحكمة، نوبة الأعمال، نوبة الزراعة/ نوبة التكليف. وتجيء نوبة الآخرة، نوبة [١٥٩/ب] القدرة، نوبة الإثابة على الأعمال، نوبة الحصاد، نوبة الراحة من الكلفة، نوبة إعطاء كل ذي فضل فضله. اللهم ثبت قلوبنا وجوارحنا في ذلك اليوم، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار.

---

(٧٨) التي ترونها: نقص من (أ).

(٧٩) أي النحاس المذاب.

مجلس

عن النبي ﷺ أنّه قال: «خالطوا الناس بخلق حسن فإن متّم ترحّموا عليكم وإن عشتم حنّوا إليكم»[٨٠]. اسمعوا هذه الوصية، شدّوها على أعين قلوبكم ولا تنسوها، قد دلّكم على عمل يسير، له ثواب كثير. ما أحسن الخلق الحسن! هو راحة لصاحبه ولغيره، وما أقبح الخلق السيء، هو تعب لصاحبه وأذية لغيره.

[١٦٠/أ] ينبغي للمؤمن أن يجاهد نفسه في تحسين خلقه ويلزمها به كما يجاهدها في بقية الطاعات؛ فإنّ دأبها الكبر والغضب وحقارة الناس. جاهدوها حتى تطمئن فإذا اطمأنت تواضعت وذلّت وحسن خلقها، وعرفت قدرها، واحتملت من غيرها. قبل المجاهدة هي فرعونة، طوبى لمن عرف نفسه وعاداها وخالفها في جميع ما تأمر به. ألزموها ذكر الموت وما وراءه وقد ذلّت وحسن خلقها. إمنعوها الحظوظ، وأوفوها الحقوق وقد ذلّت وحسن خلقها. خذوها بيد الفكر وأدخلوها النار والجنة حتى ترى ما فيها وقد ذلّت وحسُن خلقها. تفكروا في القيامة، أقيموها على أنفسكم قبل أن تقوم. يوم القيامة فرح لقوم وغمّ لقوم، عيد لقوم ومأتم لقوم.

[١٦٠/ب] هو/ يوم عيد الصالحين، يوم زينتهم وحللهم وحليهم وركوبهم لنجائبهم، وظهور غلمانهم وأعلامهم. تصير أعمالهم صورا. يظهر نورها على وجوههم. يا غلام: إن كان لك غرض في ربّك عزّ وجلّ وكنت مريداً له فالزمني واقنع مني بخرقة ولقمة، واخدم فيما أستخدمك فيه، ولا تخالف قولي. إنْ فعلت هذا وإلا فلتصدّ عني.

---

(٨٠) ذكره أحمد في مسند معاذ بن جبل، ٢٢١٢٠، بلفظ «يا معاذ اتق الله» حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن». كما ذكره الترمذي في أبواب البرّوالصلة، باب ما جاء في معاشرة الناس، ١٩٨٨، عن أبي ذر.

هذا الطريق لا يسلك مع النفس والهوى والطبع ورؤية الخلق، قد كشفت لك الحال؛ فإن أردت تقبلْ، وإلا فأنت أعرف. إن قبلت رجوت لك من الله عزّ وجلّ خيرا كثيرا. اتبعني ولا تخف على نفسك من الجوع والفقر. أُصدق وما يكون إلا ما تريد، ولا ترى إلا الخير. كنت أخلو بنفسي في مواضع خالية وأنا صغير فأسمع في بعض الأوقات صوتا/ ولا أرى شخصاً: يا مبارك: إنك بخير، وسترى خيراً،[١٦١/أ] فأقوم وأطوف حوالي فلا أدري من أين ذلك الصوت. وبحمد الله عزّ وجلّ رأيت البركة والخير في جميع أحوالي. من عباد الله عزّ وجلّ قوم يقولون للشيء: كن فيكون ولكنكم لا تدرونهم، وإذا رأيتموهم لم تعرفوهم، وتغلقون أبوابكم في وجوههم، تشدون أكياسكم وخرقكم عنهم، ويحكم إذا سددتم أبوابكم في وجوه الفقراء سدّ الله عزّ وجلّ عليكم، وإذا فتحتموها في وجوههم فتح الله عزّ وجلّ عليكم. إذا أنفقتم لوجوه الخلق عسَّر عليكم. أنفقوا ولا تبخلوا، قال الله عزّ وجلّ: ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم/ بالفحشاء . . .﴾ [سورة[١٦١/ب] البقرة ٢/٢٦٨] وقد وعدكم بالخلف في مقابلة الإنفاق، فقال: ﴿. . . وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه . . .﴾ [سورة سبأ ٣٤/٣٩]. ويْلك تدّعي الإسلام وتخالف الرسول، وتُحْدِث في دينه ما تريد بهواك. كذبْت في إسلامك. ما أنت متبع بل أنت مبتدع[٨١]، ما أنت موافق بل أنت مخالف! أما سمعت كيف قال النّبيّ ﷺ: «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم»[٨٢]. وقوله: «تركتم على بيضاء نقيّة»[٨٣]. ترد عليه؟! وتخالف قوله؟! وتدّعي أنك متبع له؟! لا كرامه لك. إنّي

---

(٨١) بل أنت مبتدع: نقص من «أ»..

(٨٢) ذكره الهيثمي في المجمع ١/ ١٨١، وقال عن عبدالله بن مسعود قال: اتبعوا ولا تبتدعوا، فقد كفيتم، كما ذكره الهندي في الكنز، ١١١٢ .

(٨٣) ذكره الزبيدي في إتحاف السادة المتقين، ١/ ١٨٢، بلفظ «تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك».

أقول لك الحقّ، فإنْ شئت أن تجيء وإن شئت لا تجيء[٨٤]، إنْ شئت أن تمدح وإن شئت أن تذم. قال عزّ من قائل: ﴿وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر . . .﴾ [سورة الكهف ١٨ / ٢٩] ما يهرب من حِدَّة كلامي إلا منافق دجّال نصّاب مدَّعٍ، راكب هواه موافق لنفسه، ومخالف/ لكتاب الله عزّ وجلّ [١٦٢/أ] وسنة نبيه ﷺ، مبغض للحق، محب للباطل، لا خطوات لقلبه تقرب من مولاه عزّ وجلّ.

يا غلام: اسمع وانظر بقلبك من غير تهمة، ثم انظر ماذا ترى من العجائب. أزل التهمة للقوم وصدّقهم واقتفهم[٨٥] بلا لِمَ ولا وكيف. وقد استصحبوك معهم، ورضوك لخدمتهم، وأخرجوا لك سهما مِمّا ينزل عليهم من النعم والمنن، وما ينزل من السماء على قلوب الصّدّيقين، وموارد الأسرار تنزل على أسرارهم في الليل والنهار. إنْ أردت أن يرضوك لخدمتهم فطهر ظاهرك وباطنك، وقف بين أيديهم. طهّر قلبك من البدعة؛ فإن القوم اعتقادهم اعتقاد النبيين والمرسلين والصديقين. هم سلفيون، ومذهبهم مذهب العجائز، يدّعون اعتقاداً/ ولهم على [١٦٢/ب] دعواهم شاهدان عدلان، مقطوع بعدالتهما من التهمة: كتاب الله عزّ وجلّ وسنة نبيه.

يا قوم: لا تظلموا أنفسكم، ولا تظلموا غيركم. الظلم يخرب الديار، ويقلع الأصول، ويسوّد القلوب والوجوه ويضيق الأرزاق. لا تظلموا فلنا قيامة، لا بد أن تقوم. كل آتٍ قريب، لنا خالق لا بد أن يوقفنا بين يديه ويحاسبنا ويناقشنا ويسألنا عن القليل والكثير ويطالبنا بالذرات. إنّي لكم ناصح لا أريد منكم على نصحي أجره. لا تقربوا الربا. فتحاربوا ربكم عزّ وجلّ، وترفع البركة من أموالكم. أقرضوا الدينار بدينار، ومن قدر منكم أن يقرض الفقير وبعد وقت

---

(٨٤) لا تجيء: نقص من «أ».

(٨٥) في «أ»: وافن فيهم.

يحلله يحالله لله فليفعل، يفرحه مرتين: مرة بالإقراض، ومرة بالاستحلال. /[١٦٣/أ] افعلوا ذلك اتكالاً على ربّكم عزّ وجلّ وثقة به، إنه يخلق ويثيب ويبارك. اجتهدوا أنكم لا تردون سائلاً بل أعطوه أي شيء حضر. القليل خير من الحرمان وإن لم يحضركم شيء فلا تنهروه وردّوه بلين الحديث، ولا تكسروه. من كل وجه الدنيا معْبرة تعبر باختلاف الليل والنهار. كل من مات فقد قامت قيامته وعرف ما له وما عليه. كل شيء له آخر: العافية والبليّة، والخير والشَّر، والغنى والفقر، الحياة والموت، العزة والذل. هذه الأشياء كلُّها أضداد، يأتي أحدها ويذهب ضدّه. وفي آخر الأمر الموت. المؤمن العارف إذا أغمض عيني رأسه انفتحت عينا قلبه، فيرى الخلق على ما هم عليه. وإذا أغمضت عينا قلبه انفتحت عينا سرّه. فيرى الحق عزّ وجلّ وتصاريفه في الخلق، وإذا حضر الخالق ذهب الخلق/وإذا حضرت [١٦٣/ب] الآخرة ذهبت الدنيا، وإذا حضر الصدق ذهب الكذب، وإذا حضر الإخلاص ذهب الشرك، وإذا حصر الإيمان ذهب النفاق. كل شيء له ضدّ. العاقل ينظر إلى العواقب. لا تنظروا إلى ظواهر الدنيا وزينتها؛ فإنها عن قريب منتقلة زائلة تزولون ثم تزول بعدكم. لا تهربوا من صحبة ربكم عزّ وجلّ لأجل الآفات التي ترد عليكم منه، هو أعرف بمصالحكم منكم. المصالح في طي المكاره. كونوا عقلاء وتأدّبوا تأتِ الآفات إلى قلوب الصديقين فتسلّم عليها، وتشفع لها، ويقف المتمكّن من الله عزّ وجلّ يضمها إلى صدره، ويقبّل بين عينيها ويزفّها بالصبر والموافقة والرضا؛ فتبقى عنده مدّة ثم تؤخذ من عنده، فيقال لها: كيف رأيت المكان والضيافة؟ فتقول: نعم المكان/ ونعم المضيف، نعم الهدية[٨٦] ونعم المهدي. قيل [١٦٤/أ] لبعض هؤلاء السادة ـ رحمة الله عليه ـ وكان قد ابتلي ببلاء: كيف أنت في هذا البلاء؟ فقال: سلوا البلاء عني. اصبروا مع ربكم عزّ وجلّ؛ فإنّه يزيل بلاءكم، ويرفع درجاتكم عنده جزاء لصبركم. كونوا معه على أنفسكم. كونوا مع الصادقين

(٨٦) في (أ): الهداية، وفي (ب): الدابة.

فيه. العاملين معه وبه وله. اللهم سخّر لنا ويسّر لنا، وافتح لنا، وسهّل لنا، آمين. «الإيمان الذي يزيله المرض والفقر والجوع وكثرة الأغراض ليس بإيمان؛ إنما يبين جوهر الإيمان وصحته ويظهر نوره عند البلاء»[٨٧] إنّما تظهر شجاعته عند مجيء عسكر البلاء. ربكم عزّ وجلّ بما تعملون خبير. يا ملوك ويا مماليك، ويا عوام ويا خواص، يا أغنياء ويا فقراء، يا أهل الخلوات ويا أهل الجلوات ما لأحد عنه حجاب، هو معكم/ أينما كنتم. اللهم ستراً وغفرا وعفوا ولطفاً وعلما [١٦٤/ب] وتجاوزا وعناية وكفاية ومعافاة، آمين.

كل ما أنتم عليه من الخير والشرّ والصدق والكذب والإخلاص والشرك والطاعة والمعصية هو به عليم خبير رقيب حاضر مشاهد. استحيوا من نظره، وانظروا بعين الإيمان وقد رأيتم نظره من جهاتكم الست. يكفيكم هذا في الموعظة، لو اتعظتم وسمعتم بآذان القلوب يكفيكم هذا في الخوف من ربكم عز وجل في خلواتكم وجلواتكم. راقبوه وانظروا إلى نظره إليكم، وما عليكم من الملائكة الكرام الكاتبين، خافوا منه وراقبوه من الحدود الشرعية التي يقيمها عليكم.

سلطانكم وأميركم لو خفتم منه لما تعب المتولون عليكم معكم. يا فقير يا جائع يا عريان يا محتاج تستغيث بغيره[٨٨] سكوتك أحب/ إليك وأنفع [١٦٥/أ] لك.

علمه بحالك يغنيك عن سؤالك. إنما ابتلاك لترجع إليه، فارجع بقلبك إليه واثبت وقد رأيت الخير. لا تستعجله ولا تستبخله ولا تتهمه. جوّعك وأعراك وأحوجك وحجبك لينظر هل تلازم بابه أو باب غيره؟ ترضى عنه أو تسخط عليه؟

---

(٨٧) العبارة بين قوسين من: «ب».

(٨٨) نقص من «أ».

تشكو إليه أو تشكو منه؟ تصرخ عليه أو تضرع إليه؟ يبتليكم لينظر كيف تعملون.

يا جهّال: تركتم باب الغنى ولزمتم باب الفقر! تركتم باب الكريم ولزمتم باب اللئيم! تركتم باب الرحيم ولزمتم باب غير الرحيم! تركتم باب القادر ولزمتم باب العاجز! يا جهال به: عن قريب يجمعكم بين يديه، ويوقفكم يوم يجمعكم ليوم الجمع، ويجمعكم على اختلاف أجناسكم. يا سائر الخلق قال عزّ من قائل: ﴿هذا يوم الفصل جمعناكم والأولين/ فإن كان لكم كيد فكيدون﴾ [سورة المرسلات ٧٧/٣٨-٣٩] [١٦٥/ب] يوم القيامة يوم يجمع الله الخلائق على غير هذه الأرض. أرض[٨٩] لم يصب عليها دم بريء، ولم يُعمل عليها خطيئة. هذا شيء لا ريب فيه. لا شك فيه. قال الله عزّ وجلّ: ﴿وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور﴾ [سورة الحج ٢٢/٧] يوم القيامة يوم التغابن، يوم الحسرة، يوم الندامة، يوم التذكرة، يوم الموافقة، يوم الشهادة، ويوم القصاص، يوم الفرح، يوم الحزن، يوم الخوف، يوم الأمن، يوم النعيم، يوم العذاب، يوم الراحة، يوم التعب، يوم العطش، يوم الري، يوم الكسوة، يوم العري، يوم الربح، يوم الخسران، يوم يفرح المؤمنون بنصر الله عزّ وجلّ. اللهم إنا نعوذ بك من شرّ ذلك اليوم، ونسألك خيره وآتنا في الدنيا حسنة/ وفي الآخرة حسنة وقنا [١٦٦/أ] عذاب النار، آمين.

---

(٨٩) نقص من «أ».

مجلس

العبادة ترك العادة، هي ناسخة لها، الشرع ينسخ العادة ويزيلها. تمسكوا بشرع ربكم عزّ وجلّ، واتركوا عاداتكم. العالِم يقف مع العبادة، والجاهل يقف مع العادة، عوِّدوا أنفسكم وأولادكم وأهاليكم فعل الخير والدوام عليه. عوِّدوا أيديكم البذل للدنيا، وعودوا قلوبكم الزهد فيها، لا تبخلوا بها على الفقراء إليها، لا تردوا السؤال لكم فيرد الحقّ عزّ وجلّ سؤلكم. كيف لا يرد سؤالكم وقد رددتم هديته. قال النبي ﷺ: «هدية الله عزّ وجلّ إلى عبده السائل على بابه»[٩٠]. ويحك ما تستحي [أن] تقطع بفقر جارك وجوعه ثم تحرمه عطاءك بظنّ باطل. تقول: معه ذهب مخبأ وهو يظهر/ الفقر. تدعي الإيمان وتنام وجارك جائع وعندك [١٦٦/ب] ما يفضل عنك ولا تعطيه. عن قريب يؤخذ مالك من يدك، وترفع مائدتك من بين يديك، وتذلّ وتفتقر قهراً وجبراً، وتفارقك دنياك التي هي محبوبتك، اتركوا الدنيا اختياراً لا اضطراراً ارضوا بأقسامكم ولا تنظروا إلى أقسام غيركم. اقنعوا بما يسدّ الرمق ويغطي العورة، فإنْ كان لكم شيء آخر فهو يجيء من وقته، هذا فعل الأذكياء المجربين، استراحوا والله من ثقل الطمع وذله. الزهاد عرفوا الدنيا ما عرفوها إلاّ عن معرفة وخبر عرفوا أنها تربّي ثم تقتل، تعطي ثم تأخذ، تولّي ثم تعزل، تحب ثم تبغض، تسمن ثم تأكل، تقبل ثم تدبر، ترفع على الرؤوس ثم تنكس. تحولوا عنها بقلوبكم ومعانيكم. لا تشربوا من ثديها،/ ولا تناموا في [١٦٧/أ] حجرها. لا ترغبوا فيها لأجل زينتها، ولين جلدها وثيابها، وطيب كلامها وحلاوة طعامها. طعامها مسموم، هي قتالة سحّارة مكّارة غدّارة. ما هي دار البقاء

---

(٩٠) انظر تخريجه ص ١٠٨.

والإقامة. انطروا في أحوال مَنْ تقدم معها وفعلها بهم. لا تقتلوا أنفسكم في طلب الزيادة منها؛ فإنها ما تعطيكم زيادة على أموالكم من عندها. دع طلب الزيادة والنقصان واسكت وتأدّب واقنع. قل: صدق الله في قوله ووعده، وصدق رسوله في قوله: «فرغ ربكم من الخلق والرزق والأجل. جف القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة»(٩١). وقوله ﷺ لما خلق القلم قال له: اجرِ. قال: بما أجري، قال: اجرِ بحكمي في خلقي إلى يوم القيامة»(٩٢).

يا غلام: لو ذكرت الموت لما كان/ لنفسك معك كلام، ولما خالفت في طاعة [١٦٧/ب] مولاك عزّ وجلّ،. لكنّك قد جعلتها أميرتك وراكبتك، ما تحبّ أن تؤلمها بذكر الموت، ولا تبغضها ولا تحزنها به، وتقودك إلى النار وما عندك خبر. يا عبد النفس والطبع والهوى قد خرجت عن نسب أبيك عليه السلام والاتصال به. لو رأيت نفسـك كما يرى الصالحون نفوسهم لهربت منها. ويحك انتبه قد جعلتْك راحلتها،

---

(٩١) انظر تخريجه ص **١١٧**.

(٩٢) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات، ٣٧٨ . عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ مشابه قال: (أول ما خلق الله عزوجل من شيء القلم فقال له: اكتب. فقال يا رب وما أكتب؟ قال: اكتب القدر، فجرى بما هو كائن من ذلك اليوم إلى قيام الساعة. قال ثم خلق النون، فدحا الأرض عليها، فارتفع بخار الماء، ففتق منه السماوات، واضطرب النون فمادت الأرض فأثبتت بالجبال، وإن الجبال لتفخر على الأرض يوم القيامة).

ويشهد له أيضاً ما أخرجه الترمذي في صحيحه، كتاب القيامة، باب ولكن يا حنظلة، ،٢٥١٨ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كنت خلف رسول الله صلى الله عليه [وآله وصحبه] وسلم يوماً فقال: يا غلام: إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك. إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله. واعلم أنّ الأمّة لو اجتمعت على أنْ ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلاّ بشيء قد كتبه الله لك. ولو اجتمعوا على أن يضرّوك بشيء لم يضرّوك إلا بشيء قد كتبه الله عليك، رفعت الأقلام وجفت الصحف.

وأثقالها عليك وهي راكبتك، تحملها من موضع إلى موضع. أولياء الله عزّ وجلّ عَكَسوا الأمر جعلوا نفوسهم رواحلهم، وحمّلوها أثقال المجاهدة، وتكاليف العبادة، وقعدوا على تلّ السلامة معها، لا جرم جاءت الدنيا والآخرة إلى خدمتهم [١٦٨/أ] ووقفتا بين أيديهم يأمرنها/ وينهونا، يستوفون أقسامهم من هذه عاجلاً ويستوفون أقسامهم من الأخرى آجلاً.

يا سامعين لهذا الكلام: هو حجّة عليكم يوم القيامة إذا لم تعملوا به، وحجة لكم إن عملتم به. يقال لكم: سمعتم وما عملتم، ما أكثر حضوركم في المجلس للهوى والمعصية والمعارضة، فحضوركم باطل بلا حقّ، عقاب بلا ثواب. شرّ بلا خير. توبوا من حضوركم على هذه الصفة. احضروا بنيّة الانتفاع وقد انتفعتم. إنّي أرجوا من الله عزّ وجلّ أنْ ينفعكم بي ويصلح قلوبكم ونياتكم ومقاصدكم. ما آيِسُ منكم امتثالاً لقوله تعالى: ﴿. . . لعل الله يحدث بعد ذلك أمرا﴾ [سورة الطلاق ٦٥/١] سوف تنتبهون ولتعلمن نبأه بعد حين. اللهم ارزقنا يقظة [١٦٨/ب] المستيقظين، عاملنا/ بما عاملتهم به، أدخلنا في أحوالهم مع العفو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة، ارزقنا قربك مع العفو والعافية. ارزقنا خير هذا اليوم وخير كل يوم. ارزقنا خير من حضر وخير من غاب، واصرف عنا شرّ من حضر وشرّ من غاب. وارزقنا خير السلاطين الذين مكنتهم في أرضك، واكفنا شرّهم. واكفنا شرّ الأشرار، وكيد الفجار، وشرّ كل عبادك وبلادك، وشرّ كلّ دابّة أنت الآخذ بناصيتها إنك على صراط مستقيم. هَبِ العصاة للطائعين، والجهال للعالِمين، والغائبين عنك للحاضرين عندك. الباطلين للعاملين. الضالين للمهتدين.

[١٦٩/أ] أخرجوا من قلوبكم الأضداد والأنداد والشركاء؛ فإن الحق عزّ وجلّ لا يقبل/ شريكاً ولا سيّما في القلب الذي هو بيته. كان الحسن والحسين عليهما السلام يلعبان بين يدي رسول الله ﷺ وهما صغيران، وهو فرح بهما، مقبل عليهما **بكليته**.

فجاءه جبريل عليه السلام فقال: «هذا يُسَمُّ وهذايقتل»[٩١] وإنّما قال له ذلك حتى يخرجهما من قلبه، وينقلب فرحه بهما غَماً عليهما، وهكذا كان رسول الله ﷺ يحبّ عائشة عليها السلام فجرت عليها تلك القصة المشهورة المعروفة، فتنحّت عن قلبه مع علمه وتيقنه ببراءتها وبراءة ساحتها؛ لأنّه علم مقصود الحقِّ عزّ وجلّ في ذلك. ويعقوب عليه السلام لّما أحبّ يوسف عليه السلام، جرى ما جرى عليه وفرق بينه وبينه، ومن هذا الجنس كثير جرى على/ الأنبياء والأولياء محبوبي الحقّ عزّ وجلّ؛ [١٦٩/ب] لأنه غيور يفرغ قلوبهم مما سواه.

عليكم بالإخلاص، صلّوا لله [تعالى]، صوموا لله [تعالى] لا لخلقه، تعيشوا في الدنيا لله [تعالى] لا لخلقه ولا لنفوسكم. كونوا في جميع الطاعات لله [تعالى] لا لخلقه. ما تقدرون على الأعمال الصالحة والإخلاص فيها إلّا بقصر الأمل، وقصر الأمل ما تقدرون عليه إلّا بذكر الموت. ما تقدرون عليه إلّا برؤية المقابر الدّارسة والتفكر في أهلها وما كانوا فيه. أُقْعدوا عند القبور الدّوارس، وقولوا لأنفسكم: هؤلاء كانوا يأكلون ويشربون وينكحون ويلبسون ويجمعون كيف حالهم؟ الآن أي شيء ينفعهم ذلك؟! ما بقي بأيديهم غير الأعمال الصالحة. فيكم يا أهل هذه البلدة من لا يقول بالبعث والنشور، متبعون مذهب الدهرية/ وهم [١٧٠/أ] يسترون على أنفسهم خوف القتل، وإني أعرف منهم جماعة غير أني أعاملكم بحِلم الله عزّ وجلّ، وأستر عليكم وجه علم الله عزّ وجلّ. أعاينكم واحدا واحدا، وأغطي عيني عنكم. اللهم ستراً وغفراً وهداية وكفاية وغاية آمين.

ويلك لا تكن أبلهاً تنازع الله عزّ وجلّ وتناظره بحماقتك وجهلك فتخاطر برأس ظاهرك ودينك. أغمض، أطرق، تأدب، اعرف من أنت، اعرف قدرك وذل في نفسك. أنت عبد والعبد وما يملكه لمولاه. ليس له في نفسه تصرف. يجب عليه أنْ يترك إرادته لإرادة سيّده، واختياره لاختيار سيّده، وقوله لقول سيّده. أنت تتواقح على الله عزّ وجلّ لأجل نفسك، والقوم يتواقحون على ربّهم عزّ وجلّ

---

(٩١) لم نعثر عليه.

[١٧٠/ب] لأجل الخلق. يسألونه/ : ربي، حياتي فيهم، ويلحون عليه لأجلهم. هم الذين ودّعوا الخلق، طهّروا قلوبهم عن الخلق، لم يبق في قلوبهم من الخلق ذرّة، هم قيام معه وله وبه، هم في بسطٍ كلي بلا قبض، عزّ كلي بلا ذل، عطاء كلّي بلا حرمان، إجابة كلية بلا منع، قبول كلّي بلا رد، فرحة بلا ترحة، قدرة بلاعجز، قوّة بلا ضعف، نعمة بلا نقمة. قد ألبسوا خلع الكرامة، وسلّم إلى أيدي قلوبهم التوقيع بالتفويض(٩٣)والتمكين(٩٤)والتكوين(٩٥)، صارت التكوين في أيديهم كنزاً لا ينفذ، ومعينا لا ينضب، كلّما خافوا زادهم أمنا، كلما تأخروا قدمهم، لهم قول مسموع، وشفاعة مقبولة، فوَّض إليهم ملك الدنيا والآخرة من وراء معقول [١٧١/أ] الخلق. يُدْعون في الملكوتْ عظماء، عن النّبيّ ﷺ أنّه قال: «من تعلم/ وعمل دعي في الملكوت عظيما»(٩٦).

---

(٩٣) التفويض: إرجاع الأمور التي جعلها الله لهم إلى الحقّ عزوجل من جميع أمورهم، ملاحظون لأفعال الله تعالى، مفوضون إليه زمام الأمر، وهذا تفويض الشهداء. أما تفويض الصدّيقين فملاحظة الجمال الإلهي حيث تنوعات التجليات مع غير التقييد بتجلٍ ما.

وتفويض المقرّبين: عدم الجزع على ما اطلعوا عليه بما جرى به القلم في المخلوقات. فلا يتصرفون بشيء في الوجود بل مفوضون إلى الحق تعالى يتصرف في ملكه كيف يشاء وهم الأمناء.

(٩٤) التمكين: هو حال أهل الوصول، فأهل المقام من المبتدئين، وأهل التمكين من المنتهين في محل الكمال والدرجات العليا. والتمكين أيضاً رفع التلوين.

(٩٥) التكوين: لعله قصد فيها الطبع والسجية.

(٩٦) أخرجه أحمد في الزهد ص ٧٧ من كلام عيسى عليه السلام. كما ذكره في الإحياء من كلامه عليه السلام، ج ١/ ١١٠ .

ولعل الناسخ قد ألبس عليه بسبب ذكر الشيخ الجيلاني لعبارة (صلى الله عليه وسلم).

تفكروا فيما أنتم فيه وعليه؛ فإنْ رأيتم أنه موافق لرضى[97] الله عزّ وجلّ فالزموه وإن رأيتم أنه مخالف لرضاه فاتركوه.

تورّعوا في مأكولكم ومشروبكم ومنكوحكم وحركتكم.

يا غلام: اكتم ما عندك؛ فإنْ أخبرت به من غيرك كنت محمولاً فيه،وإنْ أخبرت به من نفسك عوقبت، فالأدب أنْ يكون المخبر غيرك لا أنت. من الصالحين من يكون قاعداً في خلوته في بريّة في صومعته في ساحله مراقباً برأسه في زيقه مستأنساً بربّه عزّ وجلّ وبذكره، يمرّ به مار من صالحي الإنس والجنّأو الملك، فيقول له: هَنَّأَكَ الله عزّ وجلّ بأنسك به وبتنعمك بذكره، يا مصفاً يا مستأثراً يا مقرّباً يا متقياً يا مميزاً يا مخلصاً/ يا منعماً عليه، وهو لا يرفع راسه إليه، ولا يغترّ بما سمع منه[171/ب] بقلبه، ويسمع ذلك مرّة بعد أخرى وكأنّه ما سمع هذا وأمثاله. إذا رجع أحد إلى الخلق كان طبيباً لهم في مارستان الدنيا، تكون أدويته نافعة عاملة، وكحله يقلع سيلان عيون القلوب، ويزيل أمراضها. هو معافى يُعافى به فيجيء نور فيستضاء به، طعام يشبع به، شراب يرتوي به، شافع فتقبل شفاعته. قائل فيقبل قوله، آمر فيمتثل أمره، ناهٍ فيقبل نهيه.

القوم يكتمون ما في قلوبهم، يكتمون معارفهم وعلومهم، أبواب قلوبهم مفتحة إلى دار قرب ربّهم عزّ وجلّ، في ليلهم ونهارهم. عندهم دار ضيافة القلوب. ما تزال قلوبهم وأسرارهم في سماع موارد الحقّ عزّ وجلّ ليلاًونهاراً/ ابن[172/أ] آدم إذا صحّ فهو الصحيح يعلو على الكلّ، يتجوهر ويصفو فيعلو ويعلو الجميع، جميع الخيرات فيه. يصير كعصا موسى عليه السلام التي جمع له فيها الخيرات. قيل إن جبريل عليه السلام أخذها من غرس الجنّة وسلّمها إلى موسى عليه السلام حين هرب من فرعون. وقيل إن يعقوب عليه السلام سلمها إلى من انتقلت منه إليه

---

(97) في (أ): لوجه الله.

وجعلها الله عزّ وجلّ معجزة للخلق وتقوية لنبوته، وتصحيحا بها وأنحله[98] مما يخصه بأشياء أخر. كان موسى عليه السلام إذا تعب حملته كالدابة له ولما معه. وإذا عرض له نهر صارت له جسراً يعبر عليها، وإذا جاءه عدو قاتلت عنه. يوم يرعى الغنم في برية قفراء وحده بلا مؤنس غير ربه عزّ وجلّ، فغلبه النوم فنام، فانتبه فرأى في [١٧٢/ب]رأس العصا/ أثر الدم ففتّش حوله فرأى حيّة عظيمة مقتولة، فشكر الله عزّ وجلّ على دفعها عنه. وكان إذا جاع صارت شجرة وأثمرت في الحال، يأكل على قدر كفايته. وإذا عطش صارت نهرا فيشرب منه على قدر كفايته. وكان إذا آذاه حرّ الشمسِ تركها إلى جنبه فظلّلته. هكذا هذا العبد، إذا صحّ قلبه وصلح لربه عزّ وجلّ جعل فيه منافع للخلق عامة وله خاصة. نفع خاص وعام: ما ظهر للخلق وما بطن، له الجهر للخلق، والسرّ له، هذا الأمر أوله لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وآخره استواء الحمد والذمّ والخير والشرّ، والنفع والضرّ والقبول والردّ وإقبال الخلق وإدبارهم، صحّح[99] الأول حتى يصح الثاني. إذا لم يَثْبت [١٧٣/أ]قدمُك على الدرجة الأولى كيف تترقى إلى الثانية. الأعمال بخواتيمها، / قولك لا إله إلا الله محمد رسول الله دعوى فأين البيّنة؟! وهي التوحيد والإخلاص مع إحكام الحكم وإعطائه حقّه.

---

(٩٨) أنحله نحلا: أعطاه عطيه، والنُّحل: جميع أنواع العطاء. ذكر الخازن في تفسيره ٣/ ٢٣٦ في قوله تعالى: ﴿ولي فيها مآرب أخرى﴾ أي حاجة ومنافع أخرى، وأراد بالمآرب ما كان يستعمل فيه العصا في السفر، فكان يحمل بها الزاد، ويشدّ بها الحبل، ويستقي بها الماء من البئرّ، ويقتل بها الحيات، ويحارب بها السباع، ويستظلّ بها إذا قعد. كانت تماشيه وتحدّثه. كان يضرب بها الأرض فيخرج له ما يأكل يومه. وإذا اشتهى ثمرة ركزها فتصير غصن تلك الشجرة وتورق وتثمر، وكانت تضيء بالليل كالسراج، وإذا ظهر له عدوّ كانت تحارب وتناضل عنه.

(٩٩) في (أ): صح.

الموحّد ما عنده خبر من السلطان ولا من الشيطان. هو ناحية عنهما، قائم بقلبه مع الرحمن، يرى تصاريف الحق وأفعاله فيه وفي خلقه، يده في حلقتي مصراعي القضاء والقدر، يراهما كيف يفتحان ويردّان يرى الخلق بعين العجز والضعف والمرض والفقر والذلّ والموت، لا صديق له ولا عدو له، ولا من يدعوا له ولا من يدعوا عليه. إذا أنطقه ربّه عزّ وجلّ بالدّعاء على شخص دعا عليه، وإذا أنطقه بالدعاء لشخص دعا له. هو تحت الأمر والنهي. البتحق قلبه بالملائكة الذي قال الله عزّ وجلّ في حقهم ﴿لا يعصون الله ما أمرهم. ويفعلون ما يؤمرون﴾ [سورة التحريم ٦٦/ ٦] ينطق كما/تنطق الجوارح يوم القيامة، فإذا [١٧٣/ب] دعا عاتبهم من هو منهم، قالوا: أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء. يصير هذا العبد الذي وصل إلى هذا المقام فانياً عنه موجوداً بربه عزّ وجلّ. اللهم صحّح دعاوينا فيك، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، آمين.

* * *

مجلس

عن النبي ﷺ أنه قال: «ويل لمن ترك عياله بخير وقدم على الله بشرّ»[1]. إني أرى الأكثر منكم هكذا، يجمعون الدراهم والدنانير بغير يد الورع، ويخلفونها لأهلهم وأولادهم ويكلوهم إليها. ويكون الحساب عليهم والهناء لغيرهم، والحزن لهم والطرب لغيرهم.

يا مخلّفي الدنيا لعيالهم، اسمعوا قول نبيكم صلى الله عليه [وآله وصحبه] وسلم: «لا تُخلِّفوا لهم الحرام فتقدموا على الله عزّ وجلّ/ في صحبة الشرّ والعذاب والنكال»[2]. المنافق يسلّم أولاده إلى المال الذي خلفه لهم، والمؤمن يسلّم أولاده إلى ربّه عزّ وجلّ. لو خلَّف لهم الدنيا وما فيها ما سلّمهم إلى ما خلَّف، قد جرّب وعرف أنّ كثيرا من الناس سلّموا أولادهم إلى ما خلفوا من الأموال فذلوا وافتقروا، وكدّا من الناس، وارتفعت البركة من الذي خلفوه لهم، ذهبت البركة من لكونه مجموعاً بغير يد الورع، ولكونهم اعتمدوا عليه، وسلّموا أولادهم إليه، ونسوا ربّهم عزّ وجلّ، المنافقون عبيد الخلق، عبيد الدراهم والدينار، عبيد الحول والقوة والأرباح، عبيد الأغنياء والملوك والسّلاطين، أعداء من يدعوهم إلى ربّهم عزّ وجلّ ويدلّهم عليه ويقبح لهم ما هم فيه، المؤمنون قيام مع ربّهم عزّ وجلّ في البأساء والضرّاء والشدّة والرّخاء والنعيم/ والنقم في العافية والمرض، وفي الفقر والغنى، في إقبال الخلق وإدبارهم، في جميع أحوالهم، لا يفارقونه بقلوبهم

[١٧٤/أ] [١٧٤/ب]

(١) لم نعثر عليه.

(٢) لم نعثر عليه.

ولا لحظة، مسلمين، مستسلمين، مستطرحين، راضين، موافقين، وللمنازعة تاركين، غائبين لا يوقظهم[3] إلا الأمر والنهي.

يا غلام: استفت الكتاب والسنة في جميع تصاريفك، إذا أشكل عليك أمر في دينك فقل: ما تقول يا كتاب؟. ما تقولين يا سنّة؟. ما تقول يا رسول الله في هذه المشكل؟ ما تقول: أنت يا شيخ الذي دلّني على الرسول؟ ما تقول: أنت يا رسول الذي دلّني على المُرْسِل[4]؟ إذا فعلت هذا إنحل مشكلك، وزالت ظلمتك. إذا أشكل عليك شيء فاسأل عنه ظاهراًأهل الحكم، وباطنا قلبك؛ ولهذا قال النبي ﷺ/ لبعضهم: «استفت قلبك وإن افتاك الناس»[5]. فإن أفتوك فانظر ماذا [١٧٥/أ] يقول باطنك لك مع كونك قد استفتيت المفتين. انظر ماذا عند قلبك وماذا يتحرك فيه وإنْ أفتاك المفتون؟ استفت الحُجَّاب والبوّابين والوزير ثم ادخل إلى الملك وانظر ماذا يقول. فإن وافق فمرحبا بالوفاق، وإن خالف فالزم قوله دون قول غيره.
يا غلام: انعزل عن المُلْك إن أردت دوام الصحبة مع الملك. المُلْك حجاب عن الملك. النعمة حجاب عن المنعم، الوقوف مع البلاء حجاب عن المبتلي، التعلّق بالمخلوقات المكوّنات المصورات قيد للقلوب والأسرار والمعاني. مَنْ أراد الله عزّ وجلّ به خيرا كثيرا قيده، وأقامه بين يديه على رجلي قلبه، وأنبت له جناحين. يطير بهما في جوّ علمه، ثم يأوي إلى/ برج قربه ومع ذلك يلقى عليه الخوف وترك [١٧٥/ب] الاغترار بما هو فيه، يخاف يد الغيرة أنْ تقص جناحه وتحجبه عن معرفته بعدما

---

(٣) في (أ): لا يوافقهم.

(٤) في (أ): المرسل إليه.

(٥) أخرجه أحمد في المسند، عن وابصة بن معبد، ١٨٠٢٣، بلفظ يا وابصة استفت قلبك، البرّما اطمأن إليه القلوب. واطمأنت له النفس، والإثم ما حاك في القلب وتردّد في الصدر وإن أفتاك الناس». كما أخرجه الدارمي في البيوع، ٢/ ٢٤٥، وأبو يعلى في المسند، ١٥٨٦.

عرف ما هناك. ما دام العبد في الدنيا لا بدّ له من الخوف وترك الاغترار ولو لوصل إلى أي حالة وصل؛ لأنّ الدّنيا دار التغير والتبديل، والآخرة دار الإقامة لا تغير فيها ولا تبديل. ويلك تدّعي وصول قلبك وهو مقيّد ومثقل ومسْجون خلف الأبواب والأغلاق، بَهْرِجْ على غيري، ما يصح لك معي شيء. إن كنت تجيء حتى تبهرج عليّ فلا تجيء؛ لأنّك تتعب ولا آخذ منك بهرجتك، وإن كنت تجيء حتى أسْبُك لك ذهبك، وأخرج منه الشبه والفضة والمشن[٦]فتعال. أَمَا علمت أن [١٧٦/أ] القوم صيارفة ينتقدون دنانير الدين، ويميزون بين/ الجيد والرديء، وبين ما هو لله عزّ وجلّ، وما هو للخلق. القوم سفراء أدلاء، أطبّاء، جهابذة، وكلاء، عمّال، وداعون إلى جين ربّهم عزّ وجلّ.

يا قوم: أحبّوا ربّكم عزّ وجلّ وحببوه إلى خلقه، أحبوه ودلوا عليه الخلق حتى يحبّوه معكم. ذكّروا الغافلين عنه، وذكروهم بنعمه عليهم حتى يحبّوه. أوحى الله عزّ وجلّ إلى داود عليه السلام، يا داود حَبِّبْني إلى خلقي. قد سبق علمه بمحبته لمن يريد، وقد سبق علمه بمن يحبّه، ثم أمر داود عليه السلام بتحبيبه إلى خلقه حتّى يظهر ذلك العلم القديم. إذا كنت في بيت مظلم وعندك المقدحة والحراق وقد قدحت أليس تظهر النار؟ فالنّار كانت في المقدحة قديمة؛ ولكن القَدْح أظهرها. هكذا تكاليف الحق [عزّ وجلّ] تظهر وتبين. العلم القديم في الخلق. الأمر والنهي [١٧٦/ب] يبينّ العبد الطائع من العبد/ العاصي. جهبذ التكليف المستوفي الأمر والنهي يعرف الغريم الوفي من غريم السوء. كان في قديم الزمان المخلصون قليلون وهو اليوم أقل من كل قليل. المؤمن يحبّ الله عزّ وجلّ وإنْ ابتلاه، وإن قلل طعامه وشرابه ولباسه وجاهه وعافيته، وطرْد الخلق له، لا يهرب من بابه بل يتوسد بالعتبة لا يستوحش منه، ولا يعترض عليه إذا أعطى غيره وحرمه. إنْأعطاه شكر، وإنْ منعه صبر. ليس مقصوده العطاء، بل مقصوده رؤيته له وقربه منه، والدخول

(٦) القشر.

عليه. يا كاذبين، الصادق لا زور له، الصادق لا يرجع، الصادق أمام بلا وراء، صدق بلا كذب، قول وعمل، دعوى وبيّنة. ما يرجع عن محبوبه لسهام تأتيه منه، بل يتلقاها بصدره، حبّك للشيء يعمي ويصم، من علم ما يطلب هان عليه/[١٧٧/أ] ما يبذل، المحبّ الصادق في محبته أبدا يقتحم الأخطار في طلب محبوبه، لو كان بين يديه نار غاص فيها، يهجم على ما لا يتجاسر عليه غيره. صدقه يحمله على ذلك. محبته وقلة صبره عن محبوبه تحمله على ذلك. البلايا تظهر وتميز بين الصادق والكاذب. ما أحسن ما قال بعضهم: (وفي حالة السخط لا في الرضا يبين المحبّ من المبغض). البلايا والآفات تظهر الإيمان والإيقان، والمعرفة والعلم تميز بين اللّب والقشر. الموافق فيها لبّ، والمنازع قشر. الموافق لربّه عزّ وجلّ ينقشر الخلق عن قلبه فيبقى لباً بلا قشر. من قوي توحيده وتوكله ورؤيته بعين اليقين لا يرجع عن طريق الحق عزّ وجلّ، ولا يهرب من بابه. لا يزال على قدم الصّدق والاستقامة. المحبون لربّهم/ عزّ وجلّ يتمنون أنّهم لا يرون الدنيا والآخرة، [١٧٧/ب] ولا الإنس والجنّ ولا الملك. يتمنون أن لا يروا بعيونهم أحداً ولا تراهم عين أحد. كالمحبّ إذا ظفر بمحبوبه، يحبّ أن لا تراه حيطان خلوته، ولا باب بيته، يحبّ أنْ لا تراه الماشطة ولا الوالدة(٧)، يحبونه دون غيره. يريدون وجهه دون الدنيا والآخرة، دون العطاء والحمد والثناء. فهم نادر من كل نادر. أنتم تحبّون أنفسكم وشهواتكم ولذاتكم ووجوه مستحسناتكم، إذاً لا تفلحون، ولا ترون وجه قرب ربّكم عزّ وجلّ. ما أكثر همّكم بالأكل والشرب واللبس والنكاح، أكثر حديثكم في هذا حتى وقت قعودكم في مساجدكم التي هي بيوت ذكر الحقّ عزّوجلّ، المساجد تفرح بالذاكرين لله عزّ وجلّ، وتمقت الذاكرين/ لغيره. [١٧٨/أ]

ما أكثر ما تخافون من الجوع والفقر. لو كان لكم يقين ما تفكرتم في مثل

---

(٧) الماشطة: هي التي تحسن المشط، وحرفتها المشاطة.

والماشطة والوالدة: كناية عن الملازمة والقرب الدائم للإنسان ومحبتها له.

هذا. كونوا مع ربّكم عزّ وجلّ موافقين لإرادته إنْ جوّعكم فاصبروا بِطيبةٍ من قلوبكم، وإن أشبعكم فاشكروا، هو أعرف بمصالحكم ما عنده بخْل ولا قلّة. حكيَ أن سبعين نبيّاً مدفونون بين الملتزم والمقام قتلهم الجوع والقمّل، أما كان في مملكته ما يشبعهم به؟ غير أنّه اختار لهم ذلك. ورضيه لهم. وفعل ذلك بهم رفعة لهم لا لهوانهم عليه، بل لهوان الدنيا عليه. لهذا العبد إراده دون غيره من المخلوقات تحبس عنه إرادته، ويحجب بينه وبين الأشياء؛ لتذوب نفسه وتخمد ثائرة طبعه، وتستثقل ورحه المُقام مع الدنيا، وتشتاق إلى الآخرة التي فيها ربّه [١٧٨/ب] عزّ وجلّ، فيتمنى الموت ويستطيبه/ حتى يلحق بربّه عزّ وجلّ، هذا هو الأغلب والأعم، وأمّا النادر فهو آحاد وأفراد من خلقه، خلقهم لمعنىً آخر خارجٍ العدّ والعادة لأمر يعلمه، خلقهم لصحبته ونيابته وسفارته ودلالة خلقه عليه، يسيّرهم في الشرق والغرب والبحر، يخاطبون الخلق بألسنتهم، جعلهم أبوابه؛ فهم لا يتمنّون الحياة ولا الموت. هم فانون فيه عن إرادتهم، ماتت إرادتهم، واطمأنت نفوسهم، وانكسرت أهويتهم وانخمدت نيران طباعهم، وانهزمت شياطينهم، وذلّت الدنيا لهم. ولم يبق لها عليهم سبيل، فهم نادر من كل نادر، نزّاع العشائر[٨]، محبّوا الحقّ عزّ وجلّ وموادُّوه من خلقه.

يا قوم إنْ لم تكونوا محبين فاخدموا المحبّين، إقربوا من المحبين، أحبّوا المحبّين، أحسنوا الظّنّ في المحبين.

[١٧٩/أ] سأله/ سائل: نرى المحبّة أوّل الأمر اضطرارً وفي آخره اختيارا! فقال: المحبّة تأتي اضطراراً واختيارا. اضطرارا لآحاد أفراد ينظر الحقّ عزّوجلّ إليهم فيحبهم، وينقلهم من شيء إلى شيء في لحظة واحدة، ما يريد [أنْ] يحبّهم بعد سنين [بل] يحبّهم في ساعة واحدة فيحبونه ضرورة بلا تأخير، بلا تقدمة، بلا تدريج، بلا ممرّ زمان.

---

(٨) راجع ص «٧٣».

واختيار الجمهور: أنّ المحبين يختارون الله عزّ وجلّ على خلقه، يرون النعم التي عندهم منه لا من غيره، يرون ألطافه، وتربيته لهم، وإعطاءه إياهم فيحبّونه، ثم يختارونه على الدنيا والآخرة، يتركون الحرام والشبهة والمباح ويتقللون من الحلال، ويؤثرون بالموجود، ويهجرون اللحاف والفراش والنوم والقرار، تتجافى جنوبهم/ عن المضاجع، لا ليلهم ليل ولا نهارهم نهار. هم يقولون: إلهنا تركنا [١٧٩/ب] الكلّ وراء ظهور قلوبنا، وعجلنا إليك لترضى. يسيرون إليه تارة بأقدام قلوبهم، وتارة بأقدام أسرارهم، وتارة بأقدام إرادتهم، وتارة بأقدام هممهم، وتارة بأقدام صدقهم، وتارة بأقدام حبّهم، وتارة بأقدام شوقهم، وتارة بأقدام ذلهم وتواضعهم، وتارة بأقدام قربهم، وتارة بأقدام خوفهم، وتارة بأقدام رجائهم. كل ذلك حبّاً له، وشوقاً إلى لقائه. يا سائلاً أنت من جملة مَنْ يحبّ الله عزّ وجلّ اضطرارٌ أو اختياراً؟. فإن كنت لا ذا ولا ذا فاسكت، واشتغل بتصحيح الإسلام. ليتك صحّ لك الإسلام والإيمان، ليتك خرجت من زمرة الكافرين والمنافقين اليوم وغداً. ليتك قمت من مجالسة المشركين بالخلق والأسباب/ والمنازعين للحق عز [١٨٠/أ] وجل، تُبْ ولا تتعرّض لخزائن الملوك وأسرارهم. كان الشيخ حمّاد[٩] رحمة الله عليه يقول: (من لم يعرف قدْره عرّفته الأقدار قدْره). الاعتراف بقدْرك أحسن من إنكارك لقدْرك؛ لأنّ الجاهل جاهل بقدْره وقدر غيْره. اللهم لا تجعلنا من المدعين الكذابين الجاهلين بك وبخواصّك من خلقك، ربّنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، آمين.

---

(٩) هو شيخ حماد بن سلم الدباس الذي أخذ عنه الشيخ الجيلاني الخرقة، وهو شيخ عارف من كبار مشايخ بغداد. ولد برحبة الشام وتوفي في بغداد ٥٢٥ هـ. له كرامات ظاهرة ومشهورة.

انظر جامع كرامات الأولياء ٢/٥٤.

مجلس

ما أقل التوحيد فيكم! ما أقل الرّضى عن الله فيكم! ما من دار إلاّ ما شاء الله إلاّ وفيها منازعة وسخط، ما أكثر شرككم بالأسباب والخلق، قد اتخذتم فلانا وفلانا أربابا من دون الله عزّ وجلّ، تضيفون الضرّ والنفع، والعطاء والمنع إليهم، لا تفعلوا! ارجعوا إلى ربكم/ عزّ وجلّ. فرّغوا قلوبكم له. تضرعوا إليه. واسألوه [١٨٠/ب] حوائجكم. ارجعوا إليه في مهماتكم. مالكم موضع آخر. مالكم باب آخر. كلّ الأبواب مغلقة إلا بابه. أُخلوا به في المواضع الخالية، وحدّثوه وخاطبوه بألسنة يمانكم. كل واحد منكم إذا نام أهله، وسكنت أصوات الخلق فليتطهر وليضع جبهته على التراب، ويتوب ويعتذر، ويعترف بذنوبه، ويتعرض لنواله، ويسأل حوائجه ويشكو إليه من جميع ما يضيق به صدره، وهو ربكم لا غيره، هو إلهكم لا غيره، هو مليككم لا غيره. لا تهربوا منه لأجل سهام آفاته. كل من تقدمكم عاملهم بالبأساء والضرّاء والشدّة والرخاء ليعرفوه وليشكروه، وليصبروا معه، وليتوبوا إليه. العقوبات للعوام والكفارات للمؤمنين / المتقين، والدرجات [١٨١/أ] للصالحين المؤمنين المؤيدين الصديقين. قال النبي ﷺ: «نحن معاشر الأنبياء أشد الناس بلاءاً ثم الأمثل فالأمثل»(١٠) المؤمن إذا ابتلي صبر، وكتم بلاءه عن الخلق، ولم يشك إليهم؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «بشرى للمؤمنين في وجهه وحزنه في قلبه

---

(١٠) أخرجه الدارمي في السنن، باب في أشد الناس بلاء، ٢/ ٣٢٠، عن سعد قال: سُئِل النبي صلى الله عليه وآله وسلم: أيّ الناس أشدّ بلاء، قال: الأنبياء، ثم الأمثل فالأمثل. يبتلى الرجل على حسب دينه؛ فإن كان في دينه صلابة زيد صلابة، وإن كان في دينه رقة خفّف عنه، ولا يزال البلاء بالعبد حتى يمشي على الأرض ما له خطيئة». كما ذكره ابن حجر في الفتح، ١١٢/١٠.

يلقى بالبشر حتى لا يطلعون على ما في قلبه»(١١). يسترون كنوز بواطنهم، ويسترون على شحنة قلوبهم، الحزن شحنة القلوب، والخوف شحنة النفوس، الحزن غمامة ممطرة على القلوب الحِكَمَ والأسرار. لِمَ لا تصبرون على الحزن والانكسار وقد قال الله عزّ وجلّ في بعض كلامه: «أنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي»(١٢) كلَّما انكسرت قلوبهم بالبعد جاء جابر القرب جبرها، كلما استوحشت [١٨١/ب] عن الخلق جاء الأنس بالله عزّ وجلّ آنسها. كلما استوحشت عن الخلق استأنسوا بقرب الله عزّ وجلّ. كلما أدام حزنهم في الدنيا دام فرحهم في الآخرة. كان نبينا محمد ﷺ طويل الحزن(١٣)، دائم التفكر كأنّه مصغٍ إلى محدّث يحدّثه ومناد يناديه وهكذا خلفاؤه ونوابه ووراثه في طول حزنهم ودوام تفكرهم. كيف لا يقتدون به في أفعاله وهم قائمون مقامه، يَطْعمون طعامه، ويَسْقون شرابه، ويحملون على خيوله، ويقاتلون بسيوفه ورماحه. القوم ورثوا أحوال الأنبياء ومقاماتهم لا أساميهم وألقابهم، والخصائص التي كانت لهم والفضائل. الأولياء / والأبدال [١٨٢/أ]

---

(١١) لم نجده بهذا اللفظ ولكن روى الحاكم في المستدرك، ٤/ ٣١٥، عن أبي الدرداء، أن رسول الله صلى الله عليه [وآله وصحبه] وسلم قال: إن الله يحب كل قلب حزين».

كما يؤيده ما رواه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير وغيره، باب تفسير سورة المائدة، ٤٣٤٥، عن أنس رضي الله عنه قال: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاًولبكيتم كثيراً». قال فغطى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجوههم، لهم خنين، فقال رجل: مَنْ أبي؟. قال: فلان. فنزلت الآية ﴿لا تسألوا عن أشياء إن تبد لكم تسؤكم . . .﴾ [سورة المائدة ٥/ ١٠١].

(١٢) انظر تخريجه ص **١٣٢** .

(١٣) الحزن: حال يقبض القلب عن التصرف في أوديه يمنع الغفلة. وهو من أوصاف أهل السلوك.

وصاحبه: دائم التفكر. كثير الاستغفار ويمنع من الذنوب وقلبه عامر بذكر الله والخوف منه.

معدودون لا يزيدون ولا ينقصون، ففيهم من يظهر أمره من أول عمره ومنهم من يظهر أمره في آخر عمره، تتقلب به الأحوال وهو وليّ الله في علم الله عزّ وجلّ، وليس من شرط البدلية والولاية العصمة، ليس بعد الأنبياء معصوم. العصمة من جملة خصائصهم. يحكى عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا عصى ولي من أولياء الله تعالى ضحكت الملائكة وقال بعضهم لبعض انظروا إلى وليّ الله كيف يعصي»(١٤). كيف يتعجبون من معصيته وكفره وبُعده ونفاقه وهم يعلمون أنه بعد أيام يصير ولياً محبوباً مقرَّباً مطهَّراً شفيعاً دالاً وارثاً. يا منافقاً: مالك لسماع هذا الكلام، اخرج أنت عدو الله عزّ وجلّ، وعدو رسوله وأنبيائه وأوليائه/ [١٨٢/ب] لولا الحلم والحياء من الله عزّ وجلّ لنزلت وأخذت بعنقك وأخرجتك. كل ما أنت فيه هوس.

يا قوم: اعملوا وأخلصوا ولا تعجبوا، ولا تَمُنّوا على ربكم عزّ وجلّ بأعمال وفقكم عليها. المعجب جاهل، والمنّان جاهل، والمتكبّر على الخلق جاهل. التواضع من الرحمن والتكبر من الشيطان. أول من تكبّر إبليس فلعن ومقت وطُرد وحُرم. ولو لم يكن للذلّ والتواضع درجة عالية لما وصف به الذين يحبّهم ويحبّونه وهو قوله تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا من يرتدّ منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه أذلّة على المؤمنين أعزة على الكافرين . . .﴾ [سورة المائدة ٥/ ٥٤]. المؤمنون يذلّون للمؤمنين، ويتعززون على الكافرين. ذلّهم للمؤمنين عبادة، وتكبرهم/ [١٨٣/أ] على الكافرين عبادة. المؤمن لا يتكبّر على الخلق بل يتذلّل لهم. يكتم أمره وحاله بذله وتواضعه. هو قريب من الملك في داره، فإذا خرج خرج معه في زي الغلمان حتى لا يعلم أحد بقربه منه. فإذا خرج الوزير مع الملك وهما مختفيان فعرف الوزير واحدٌ من اصدقائه فكلمه فليس للوزير أن يتكبّر عليه. ويتجرّد ويقول له: الملك معي. بل يتبسّم في وجهه، ويقضي شغله ويُظهر له أن الذي معه أحد من غلمانه، ويغطي عليه ويستره.

---

(١٤) لم نعثر عليه.

يا غلام: ما تعرف أحوالهم ولا تؤمن بأقوالهم. وقوفك مع الخلق حجبك عنهم، حبّك للجاه في الدنيا وطلب الرياسة حجباك عنهم لو كان لك صدق في طلبهم لرأيتهم، وانتفعت بكلامهم.

ويحك لا تحضر هؤلاء العلماء الذين لا يعملون بعلمهم: لا ترمي الذي [١٨٣/ب] تشرب عندي عندهم، فلا يعمل الشراب فيك، كلهم عوام بإضافة إلى العمال. العامي منهم من لا يعمل بعلمه وإن كان قد حفظ كل العلوم. كل من لا يعرف الله عزّ وجلّ فهو عامي. كل من لا يخاف الله عزّ وجلّ و يرجوه فهو عامي. كل من لا يتقيه في خلواته وجلواته فهو عامي. أحوالكم[١٥]عندي بينة كهذه الشمس لا تهتدون، أنتم صبيان تلعبون، تطلبون شهواتكم. أنتم عبّاد الخلق، وعبيد عطائهم ومنعهم، عبيد حمدهم وذمهم.

لا تدلّوا عليّ فما بقي عندي شك. خارج الباب وداخل الدار عندي واحد. جميع ما في قلوبكم على وجوهكم أثره، وعليه علامة. سبحان من أوقفني بينكم وابتلاني بالكلام عليكم. إني زاهد فيكم وفي نفسي وفي أقسامي /، طوباي لا آكل [١٨٤/أ] ولا أشرب ولا ألبس ولا أنكح ولا أرى ولا أري. طوباي أوقفت ناحية عنكم واتعظت بالإشارة دون المقال، إني أكره رؤية المنافقين والعاصين والمشركين ولا بدّ لي منهم. هم مرضى وقد جعلت ساعورهم[١٦].

يا غلام: المؤمن المبتديء في الإيمان لا يقدر أن يرى واحداً من هؤلاء ولا يقاسيه لحظة. إذا رأى منافقا أو عاصياً أو مشركاً غضب عليه ولو أمكنه قتله.

---

(١٥) في (أ): أحوالي عندكم.

(١٦) الساعور: متفقّد المرضى، والسّاعور مقدَّم النصارى في معرفة علم الطبّ وأدواته، وأصله في السريانية «ساعورا».

انظر تاج العروس للزبيدي مادة «سَعَرَ».

كان بعضهم رحمة الله عليه إذا رأى كافراً وقع على الأرض من شدّة غضبه. كان يتمّ عليهِ ذلك من شدّة غيرته لله عزّ وجلّ، وغضباً له. كيف يكفر به عبد من عبيده، ولا شكّ أنه قد كان مبتديا، لأنّ البداية ضعف الإيمان والنهاية قوته. عن بعضهم أنّه قال لا يضحك في وجه المنافق/ إلا العارف، كثر علمه ودقت حيلته، [١٨٤/ب] وتمكّن طبّه فتبسّم في وجهه: أي عندي دواؤك، تعالى، يطيب له الكلام حتى يأخذه إليه، ويشغله معه، ويؤنسه حتى يأنس إليه، فإذا تمكّن منه عالج مرضه، يعرض عليه الإسلام والإيمان، ويصف له حديثهما وصفاتهما. يعرض عليه حديث ربه عزّ وجلّ، ويَضْمن له الصّلح معه. فكلما جاء يوم بعد يوم ذاب كفره ونفاقه ومعصيته، يذوب مرض قلبه، وتنصلح جراحة نفسه، ينصلح ظاهره وباطنه من غير خصومة ولا منازعة، من غير طعنة ولا ضربة. كان عيسى بن مريم عليهما السلام ويحيى بن زكريا عليهما السلام يسبّحان في البريّة، فإذا جنّهما الليل، ذهب يحيى إلى قرية المؤمنين، وذهب عيسى إلى قرية الفساق. كان يحيى يهرب إلى/ المؤمنين لضعف حاله، وعيسى إلى الفساق لقوة حاله حتى يعظهم ويحذّرهم [١٨٥/أ] ويأخذ بأيديهم إلى باب ربّهم عزّ وجلّ. ذاك كان يريد يصلي ويصوم بين المؤمنين، وهذا كان يريد يدعو الناس إلى الله عزّ وجلّ وعبادته.

العارف قد كاري وعبادته دعوة الخلق إلى الله عزّ وجلّ، فهو لا يزال مع الله على هذا المقام. المؤمن رزكاري والمؤمن بشكار والعارف بناء والعالم بالله عزّ وجلّ مهندس ومطرق.(١٧)

ويلك أنتِ ما صح الإسلام لك! كيف تصعد إلى هذا المقام وتعلم الخلق. اِنْزل، وإلا أُنْزِلت منكسا على رأسك، لا بدّ أن يغار الحق عزّ وجلّ لدينه، ويعزل كل منافق عن ولايته ويحطّه عن صنبره، ويخرسه عن الكلام على الناس.

---

(١٧) تذكاري ورزكاري وبيشكار كلمات فارسية وتعني العمل اليومي ومقدماته.

يا منافقين/ أما علمتم أنّ لي شجنكية عامة وولاية على الدين. [١٨٥/ب]

يا جميع الخلق: إني غني عنكم بالله عزّ وجلّ. الغنى بيدي وإن كنت لا أملك ذرّة من الدنيا. إن أعطاني من الخلق أحد شيئا ومَنّ علي أخذت ذلك الشيء من يد الله عزّ وجلّ، ورأيت منّته هذيانا منه وجهلاً بربّه عزّ وجلّ وبعداً منه، وإن أعطيت أحد شيئا فأرى توفيق الله عزّ وجلّ. كيف أجْرى على يدي عطيته فأرى أنّ الله تعالى هو المعطي لا أنا، على قدر همِّك تعطى، على قدر همّك تمنع؛ ولهذا قال النّبي صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم: «إنّ الله يحبّ معالي الأمور ويكره سفاسفها»[١٨].

يا قوم: أدّبوا أولادكم وأهاليكم، وعلموهم عبادة الله عزّ وجلّ، وحسن الأدب معه والرضا عنه، ولا تهتموا بأرزاقكم/ ومن حيث قلوبكم بل اهتمّوا بها [١٨٦/أ] من حيث كسبكم وسعيكم، إني أرى الأكثر منكم قد تركوا تأديب أولادهم، واهتموا بأرزاقهم، اعكسوا تصيبوا. عن النّبيّ صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم أنّه قال: «كلّكم راعٍ وكلّكم مسؤول عن رعيته»[١٩]. يسأل الأب عن أولاده وزوجته، ويسألون الأولاد والزوجة عنه. يسأل كلّ سيّد عن مملوكه. وكلّ مملوك عن سيّده، ويسأل المعلم عن صبيانه، والرئيس عن أهل قريته، والملك عن أهل مملكته، ويسأل أمير المؤمنين الذي هو راع الخلق كلّهم عن رعيته. ما منكم إلا مَنْ يسأل. كل واحد على حدة.

اجتهدوا أنكم لا تظلمون. اجتهدوا في أداء الحقوق إلى مستحقيها. تواهبوا فيما بينكم. تراحموا فيما بينكم. لا يلعن بعضكم بعضا. ولا يقهر بعضكم بعضا،

---

(١٨) رواه الطبراني في المعجم الكبير، عن الحسين بن علي رضي الله عنهما، ٢٨٩٤ . بزيادة (الأمور وأشرافها). كما رواه ابن عدي في الكامل، ج ٣/٨٧٩ . والعراقي في تخريج أحاديث الإحياء ج ٢/٣٥٨ .

(١٩) انظر تخريجه ص **٣٨** .

[١٨٦/ب] تحاسنوا/ وتجاملوا ولا تكاشفوا. تجاوزوا عن زلات بعضكم مع بعض. دعوا النّاس تحت ستر الله عزّ وجلّ، مُروا بالمعروف وانهوا عن المنكر من غير تفتيش ولا تجسّس، وأنكروا ما ظهر، وما عليكم مما بطن. استروا، يستر الله عزّ وجلّ عليكم. كان النبي ﷺ يحبّ الستر على الخلق، ويكره تتبّع العثرات ولهذا قال: «ادرؤوا الحدود بالشبهات»(٢٠). وقال لعليّ بن أبي طالب كرم الله وجهه: «يا علي على مثلها فاشهد وأشار إلى الشمس»(٢١).

يا غلام: الإحسان أن تعطي الحقّ وتأخذ بعض الحقّ، وإن قدرت فهب حقّك كله وزد عليه شيئا آخر. هذا يرجع إلى قوة إيمانك ويقينك بربك عزّ وجلّ. إذا وزنت فأرجح يرجح الله لك ميزانك يوم القيامة. يا وزان أرجح حتى يُرْجح [١٨٧/أ] لك، ما تغلظ بشيء. عن النبي ﷺ/ أنّه استقرض من رجل شيئا من الدراهم فقال للوزان عند القضاء: «زن وأرجح»(٢٢).

إذا استقرض أحدكم من إنسان شيئا فليعطه خير ممّا أخذ منه ويزيد عليه من غير مشارطة في الأول.

يا قوم: اشتروا من الله قرب الله. اشتروا من الله الله، وأمّا الأقسام فإنّها مكتوبة مؤرّخة، ما تزيد ولا تنقص، إن طلبتموها أو لمْ تطلبوها، إن عبدتم ربّكم عزّ وجلّ أو عصيتموه، إنْ أحسنتم أو أسأتم، ما يتقدم مُؤَخَّرُها، ولا يتأخر مُقَدَّمها. عليكم بالخروج عن الخلق من حيث قلوبكم والقيام مع الخالق على

---

(٢٠) ذكره العجلوني في الكشف، ١٦٦ . والزيلعي في نصب الراية، كتاب الحدود، باب الوطء الذي يوجب الحدّ، ج ٣٣٣/٣ . وذكره الهندي في الكنز، ١٢٩٥٧ .

(٢١) لم نعثر عليه.

(٢٢) أخرجه أبو داود بالسنن، كتاب البيوع والإيجارات، باب في الرجحان في الوزن، ٣٣٣٦ . والترمذي في البيوع، باب ما جاء في الرجحان ١٣٠٥ . والنسائي في البيوع، ٤٥٩٦ . والحاكم في المستدرك، كتاب البيوع ج ٣/٢ .

أقدام أسراركم. إنّ الله هو الرزاق، وغيره المرزوق، هو الغني وغيره الفقير، هو القادر وغيره العاجز، هو المحرّك والمسكّن والمسلّط والمسخّر كل الخلق أسباب بين يديه. جعل لكل شيء سببا. انسوا الخلق والأسباب/ والدنيا من حيث قلوبكم [١٨٧/ب] من حيث خلواتكم ومعانيكم وأسراركم، أخرجوا ما سواه من قلوبكم. احذروا أن ينظر إلى قلوبكم وفيها طلب غيره وإرادة غيره[٢٣]. اسلموا واستسلموا. وحدّوا وتوحدوا. وارضوا بالقضاء وافنوا في المقضي. اسمعوا من ربّكم عزّ وجلّ وتطارشوا عن السماع من خلقه. تطارشوا عن الخلق وتعاموا عنهم ساعة. الشجاعة صبر ساعة. توبوا في هذه الساعة بكل قلوبكم. اذكروا الموت وما وراءه. كان النبي ﷺ يقول: «أكثروا من ذكر هادم اللّذّات فما ذكر في كثير إلا قلّله ولا في قليل إلا كثّره»[٢٤]. ذكر الموت دواء لمرضى النفوس، وشحنة ومنفعة على القلوب. نسيان الموت يقسّي القلب ويكسّله عن الطاعات، والنظر إلى الخلق وإضافة الضرّ والنفع/ إليهم يكفّره ويسوّده ويَحْجِبُه عن ربّه عزّ وجلّ. الاعتماد على [١٨٨/أ] الأسباب ينقص الإيمان، ويطفي نور الإيقان، ويحجب القلب عن ربّه عزّ وجلّ، ويستدعي المقت منه ويسقط من عينيه، ويسدّ بابه قربه.

واحسرتاه عليكم! كيف تموتون وأنتم على ما أنتم عليه وقلوبكم فارغة من الإيمان والإيقان والتوحيد والإخلاص والمعرفة لربّكم عزّ وجلّ؟ ما أكثر اعتراضكم على ربّكم عزّ وجلّ.

ويحكم مَنْ أنتم؟! ما أكثر وقاحتكم! قد جعلتم الاعتراض على ربّكم

---

(٢٣) «إرادة غيره»: نقص من «أ».

(٢٤) أخرجه الترمذي في السنن، كتاب الزهد، باب ما جاء في ذكر الموت، ٣٣٠٨، بلفظ: (أكثر ذكر هاذم اللذات (يعني الموت). كما أخرجه النسائي في السنن، كتاب الجنائز، باب كثرة ذكر الموت، ١٨٢٤ . والحاكم في المستدرك، كتاب الرِّقاق ج ٤/ ٣٢١ . والهيثمي في المجمع، باب ذكر الموت ج ١٠/ ٣٠٩ .

عزّ وجلّ دأْبكم في ليلكم ونهاركم. المعترض لا يجد نسيم القرب. لا يقع بيده منه ذرة. اتركوا الاعتراض على ربّكم عزّ وجلّ. يا فقداء القلوب يا دبري الإيمان.
[١٨٨/ب]اللهم اجمع بيننا وبين ما تحبّ، وفرّق بيننا وبين ما تكره، وآتنا في الدنيا/ حسنة، وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار، آمين.

* * *

مجلس

عن بعض الصّالحين أنّه قال: (المنافق يبقى على حالة واحدة أربعين سنة. والصّديق يتغيّر في كلّ يوم أربعين مرة). المنافق قائم مع نفسه وهواه وطبعه وشيطانه ودنياه في خدمتهم، لا يخرج لهم عن رأي، ولا يخالف لهم قولا، كل همّه الأكل والشرب واللبس والنكاح والجمع، لا يبالي من أيّ طريق حصّل ذلك. يعمّر جسده ودنياه، ويخرّب قلبه ودينه. يُرضي الخلق ويسخط الخالق. كلّما دام نفاقه قسا قلبه واسود؛ فلا يتحرّك ولا ينزعج بموعظة ولا يتعظ من عظة، ولا يتذكر من تذكرة، فلا جرم يبقى على حالة واحدة أربعين سنة. وأما الصّديق يتغيّر في كل يوم أربعين مرّة؛ لأنه قائم مع مقلّب القلوب، غائص في بحر/ قدرته، ترفعه [١٨٩/أ] موجة وتحطّه أخرى، هو في تصاريف الحقّ عزّ وجلّ وتقاليبه كالريشة في الفلاة، وكحامة الزرع وكالميت بين يدي الغاسل، والطفل في حجر الظئر(٢٥)، وكالكرة بين يدي صوجان(٢٦) الفارس، قد سلّم ظاهره وباطنه إليه ورضي بتدبيره وتوليه له، لا يهتم في أكله ونومه وشهواته؛ بل همّه خدمة ربّه عزّ وجلّ ورضاه عنه؛ ولهذا قال بعضهم: (القوم أكلهم أكل المرضى، ونومهم نوم الغرقى، وكلامهم ضرورة). كيف لا يكونون هكذا وقد شاهدوا بقلوبهم ما لا يشاهده غيرهم. نسوا ما سوى ربّهم عزّ وجلّ. غابوا عن الدنيا والآخرة وما سواه. خيموا على بابه،

---

(٢٥) الظئر: المرأة العاطفة على غير ولدها، والمرضعة له من الإنسان ومن الحيوان. انظر التاج مادة (ظئر).

(٢٦) هي خشبة معكوفة الآخر يمسك الفارس بطرفها ويضرب الكرة وهو راكب الخيل بطرفها المعكوف، وتسمى هذه اللعبة لعبة الكرة والصولجان وقد اعتنى بها العرب نظراً لما فيها من تدريب للفارس والفرس.

توسدوا عتبة بابه بالموافقة، والتحفوا بالرضا والفناء. القضاء والقدر يخدمانهم، [١٨٩/ب] ويقبّلان بين أعينهم، ويحملانهم على رؤوسهم/ إنْ لم تكونوا من القوم فاخدموا القوم. اصحبوهم وجالسوهم. تقربوا إليهم. ابذلوا لهم أموالكم. اتبعوهم في أفعالهم لا في حكاية كلامهم والاستحسان له والتعجب منه. اجعل صلاحك في قلبك لا في ثيابك. البس ما يلبس العوام، واعمل غير ما يعملون، ما تعرف الرهبانية في الطعام واللباس والنكاح. قال الله عزّ وجلّ: ﴿. . . ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم . . .﴾ [سورة الحديد: ٥٧/٢٧] وقال النبي ﷺ: «لا رهبانية في الإسلام»(٢٧).

الموحدون المخلصون صوامعهم قلوبهم، وخشونتهم على نفوسهم وأهويتهم وطبائعهم، فاكهتهم في خلواتهم، مشاهدتهم الأنس بربّهم عزّ وجلّ والمناجاة له. [١٩٠/أ] الحق عزّ وجلّ إذَنْ يخبركم بحال الصالحين على لساني لتدخلوا فيها/ وتقتدوا بهم، فلا تجعلوا حظكم من ذلك السماع فحسب. يخبركم على لساني؛ لتخبروا بعضكم على لساني، لتتعظوا فاتعظوا، يدعوكم على لساني فأجيبوا داعيه. يدعوكم إلى الصفا. يدعوكم إلى الزهد في خلقه، والرغبة فيه. يدعوكم إلى أن تكونوا ذاكرين له حتى تصيروا مذكورين عنده. العبد الصادق في طلب مولاه عزّ وجلّ لا يزال يذكره ظاهرا وباطنا، وخلوة وجلوة، وليلا ونهارا، عند الشدّة والرخاء، عند النعمة والنقمة، حتى يصير مذكوراً له يسمع ذكره له حواليه وفي قلبه، أنتم تنامون عن نعيم القوم: يا غافلين عن النعيم، أنتم غافلون. أنتم غائبون. أنتم مغمى

---

(٢٧) لم نجده بهذا اللفظ. وقد روى البيهقي في الشعب، باب الصبر على المصائب، ٩٧٦١، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، أنّه قال: توفي ابن لعثمان بن مظعون، فاشتدّ حزنه عليه حتى اتخذ في داره مسجداً يتعبّد فيه، فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه [وآله وصحبه] وسلم، فقال: «يا عثمان: إنّالله عزوجل لم يكتب علينا الرهبانية، إنّما رهبانية أمتي الجهاد في سبيل الله . . .».

عليكم. أنتم عقلاء في الدنيا مجانين في الأمور الآخرة. أنتم في الطين كلّما تحركتم نزلتم. مدّوا أيديكم إلى الله عزّ وجلّ/ بصدق اللجوء والتوبة والاعتذار حتى [١٩٠/ب] يخلّصكم مما أنتم فيه. ألا إنّي داعيكم إلى مخالفة نفوسكم وأهويتكم وطباعكم وشهواتكم، والصبر على كَثْر إعراضكم. أجيبوا دعوتي وقد رأيتم ثمرة ذلك عاجلا وآجلا. ألا إنّي داعيكم إلى الموت الأحمر. بسم الله مَن يهجم، من يتقدم، من يتجاسر، من يخاطر، هو موت ثم حياة الأبد. لا تهربوا. تصبّروا ثم اصبروا. الشجاعة صبر ساعة. اصبروا على موافقة ربّكم عزّ وجلّ. من حمل فيكم الرضا بالقضاء حمل الله عزّ وجلّ عنه وكتبه في ديوان الشجعان. من خاطر بنفسه ملك نفيسا. من علم ما يطلب هان عليه ما يبذل.

يا عباد الله: اثبتوا مكانكم، ولا تستعجلوا. تعالوا بأقدام الصدق حتى ندق باب الحقّ عزّ وجلّ/ ولا نبرح حتى يفتح لنا الباب، وتخرج إلينا المواكب. تواقحوا [١٩١/أ] في طلب حوائجكم منه؛ فهو أحب إليكم من تواقحكم على ملوككم وسلاطينكم وأغنيائكم. اقتدوا بمن تقدّمكم في طلبهم لربهم عزّ وجلّ، وفنائهم فيه. اللهم إنّك ربنا وربهم، وخالقنا، وخالقهم، ورازقنا ورازقهم، فعاملنا بما عاملتهم به. أخرجنا منا عنا إليك، أَنْسِنا الملوك والمماليك، السلاطين والمسلطين عليهم: الأغنياء والفقراء والخواص والعوام، الغلاء والرخص، الكثرة والقلة، ذكِّرنا ذِكرك، الطف بنا في أفعالك، قرّبنا إلى قربك، وآنس قلوبنا بأنسك، اكفنا شرّ عبادك وبلادك، وشرّ كلّ دابّة، أنت الآخذ بناصيتها. اكفنا شرّ الأشرار. وكيد الفجّار. اجعلنا من حزبك المشيرين إليك، المستدلين عليك الداعين إليك، المتواضعين إليك/ المتكبرين على المتكبرين عليك وعلى المؤمنين من خلقك، آمين. [١٩١/ب]

يا غلام: جز سوق الخلق جوازا. ادخل من باب واخرج من باب. اخرج عنهم بقلبك وبنيّتك، وكنْ كالطّير الوحداني، لا تأنس ولا تؤنس، لا تَرَى ولا تُرَ. كنْ كذلك إلى أن يبلغ الكتاب أجله، ويدنو قلبك من باب ربّك عزّ وجلّ؛ فترى

قلوب القوم هناك، فيستقبلونك ويقولون لك: يهنيك سلامتك ويقبّلون بين عينيك، ثم تخرج يد اللطف من داخل الباب فتستقبلك، وتحملك حملاً وتزقك زقا، وتقبل عليك، وتطعمك وتسقيك وتطيّبك، ثمّ تخرجك وتقعدك على الباب متفرّجاً منتظراً لمن يأتي من المريدين الطالبين، فيأخذ بيدك ويسلمك إلى اليد التي تَسَلّمتْك في حال قدومك/ [١٩٢/أ] فإذا صحّ لك هذا فابرز إلى الخلق وكن بينهم كالطبيب بين المرضى، وكالعاقل بين المجانين، وكالأب الشفيق بين أولاده. قبل هذا لا كرامة لك، تكون منافقا لهم، عبدا لهم، تابعاً لأغراضهم، تظنّ أنّك تداويهم وأنت مشرك بهم، تصير مداواتك لهم عقوبة لك؛ لأنّها بالجهل وعدم الصنعة. قال النبي ﷺ: «مَنْ عبد الله بالجهل كان ما يفسد أكثر مما يصلح»[٢٨].

يا غلام: تكلم فيما يعنيك ودع الكلام فيما لا يعنيك. لو عرفت الله عزّ وجلّ كثُر خوفك منه، وقلّ كلامك بين يديه؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «من عرف الله عزّ وجلّ كلَّ لسانه»[٢٩] يعني: يخرس لسان نفسه وهواه وطبعه وعاداته وكذبه وبهتانه وزوره، وينطق/ [١٩٢/ب] لسان قلبه وسرّه ومعانيه وصدقه وصفائه، يخرس لسان باطله، ويتكلم لسان حقه، يخرس لسان كلامه فيما لا يعنيه، وينطق لسان قلبه فيما يعنيه. يخرس لسان طلبه لنفسه وينطق لسان طلبه للحقِّ. في بداية المعرفة ينقطع

---

(٢٨) ذكره الدارمي في السنن، باب من قال العلم الخشية وتقوى الله، ١/ ٩١، وقال: كتب عمر بن عبد العزيز إلى أهل المدينة أنّه من تعبّد بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح. ومن عدّ كلامه من عمله قلّ كلامه إلاّ في ما يعنيه، ومن جعل دينه غرضا للخصومة كثر تنقله.

وقد ذكره القاري، ٥٠٥ وقال: من كلام ضرار بن الأزور. وذكره العجلوني في الكشف، ٢٥٣٠.

(٢٩) ذكره العجلوني في الكشف، ٢٥٣٣، بلفظ (من عرف نفسه كلّ لسانه). وقال: قال القاري نقلا عن السيوطي: ليس بثابت.

كلامه، ويذوب وجوده جملة. يصير فانيا عنه وعن غيره، ثم إذا شاء الحقّ أنشره، إذا أراد منه الكلام خلق له لسانا وأنطقه به. ينطقه بما يريد من الحِكَم والأسرار. يصير كلامه دواء في دواء، نورا في نور، حَقاً في حقّ، صوابا في صواب، صفاء في صفاء؛ لأنّه لا يتكلم إلاّ عن أمر من الله عزّ وجلّ حيث قلبه، فإذا تكلّم من غير أمر هلك. لا يتكلم إلاَّ عن أمر أو فعل غالب يقهره، وإذا كان هكذا فالحقّ عزّ وجلّ أكرم من أنْ يؤاخذ على فعله. الغالب الذي/ ليس فيه نفس ولا هوى [١٩٣/أ] ولا طبع ولا شيطان ولا إرادة، كما لا يؤاخذ الميت بنطقه ولا النائم باحتلامه، وما يراه أو يعلمه في نومه. وسماع(٣٠) الكلام من جماعة الموتى بعد موتهم. من تكلم على الخلق على غير هذه الصفة فسكوته خير من كلامه. لا يبرز إلى الصف الأوّل إلاّ الشجعان. من يبرز من غير شجاعة وصنعة هلك. ويلك تدّعي محبّة الحقّ عزّ وجلّ وأنت تحبّ غيره، تكون دعواك سبب هلاكك. كيف تدّعي المحبّة ولا تُرى علامتها عندك. المحبّة كنار في بيت بلا باب ولا مفتاح، يخرج لهبها من فوقه. المحبّ يغلق باب محبّته ويكتمها، وهي تظهر عليه. له لسان يخصّه وكلام يخصّه، ولا يريد مع محبوبه غيره، وهو من أكبر علاماته وصدقه. يا كذاب، يا هذا، اسكت فما أنت منهم/ ما أنت محبّ ولا محبوب، المحبّ على الباب، [١٩٣/ب] والمحبوب داخل الدّار. المحبّ له حركة وهيجان وانزعاج، والمحبوب له سكون، ساكن في حجر اللطف، نائم فيه. المحبّ له تعب، والمحبوب له راحة. المحبّ متعلّم، والمحبوب عالم. المحبّ مسجون والمحبوب مطلق. المحبّة تجنّن المحبوبية تعقّلُ. الصبي إذا رأى حيّة صرخ. الحوّاس إذا رأى حيّة سكت. من رأى سبعا صرخ وهرب، والسّبّاع يلعب مع السبع وينام عنده. لكل داخل دهشته. قال الله تعالى: ﴿... واتقوا الله ويعلمكم الله ...﴾ [سورة البقرة ٢/٢٨٢].

المحبّ متىٍ يتهذب على الباب، يهذب جوارحه وقلبه، فإذا تهذّب دخل

---

(٣٠) في (أ) و(ب): قد سمع.

كتّاب القرب. الحكم يهذب على الباب، والعلم يهذب داخل الباب. من تهذّب بالحكم فأُنْسُه العلم، وولّاه وأمّره وأغناه/، الحكم باب مشترك، والعلم باب [١٩٤/أ] خاص. من أحسن أدبه وطاعته على الباب المشترك صار مستأنساً مقرّبا وراء الباب الخاص. يصير في زمرة المحبوبين. لا كلام حتى يطول مقامك على الباب مع ملازمة الإطراق والحياء، وتحقيق العبودية، والنظر إلى نفسك بعين النقص والتقصير.

من نظر إلى نقصانه كان له الكمال، ومن نظر إلى كماله كان له النقصان. اعكسوا تصيبوا، استشيروا ترشدوا. اصبروا تظفروا وتملكوا وتجدوا وتحملوا. اصبروا يُصْبر عليكم. ارضوا يرضا عنكم. احملوا يحمل عنكم. سلموا وقد سلمتم، وافقوا فقد وفقتم. اخدموا وقد خدمتم. لازموا الباب وقد فتح لكم. لا تستعجلوا وقد أعطيتم. تكرموا يتكرّم عليكم. تقرّبوا وقد قرّبتم. جدّوا وقد وجدتم. القلب/ إذا سار بأقدام المجاهدات والمكابدات وقطع المسافات إلى ربّه [١٩٤/ب] عزّ وجلّ ووصل إليه ثبت عنده، لا يبقى له رجوع. ينتقل من الحكمة إلى القدرة، من الآلات والأسباب إلى الصّانع المسبّب. ينتقل من مشيته[٣١] إلى مشية ربّه عزّ وجلّ. من سكونه وحركته بربّه عزّ وجلّ. يا طالبي الدنيا: ما دمتم في طلبها أنتم في تعب. هي تطلب الهارب عنها، تختبر الهارب منها بِعَدْوها خلفه؛ فإن التفت إليها استدلّت على كذبه، ومسكتْه ووصلته واستخدمته ثم قتلته، فإنْ لم يلتفت إليها استدلّت على صدقه وَخَدَمَتْهُ. ما يُنْتَفَعُ بها إلا بعد الزهد فيها والهرب منها. اهربوا منها فهي قتّالة مكّارة سحّارة. فارقوها بقلوبكم قبل أن [١٩٥/أ] تفارقكم. ازهدوا فيها قبل أن تزهد فيكم. لا تتزوجوها؛ فإنْ تزوجتم/ بها فلا تجعلوا صَدَاقها أديانكم. هي تُزوّج ثم تُطلّق. ما أسرع تزويجها وتطليقها. إن طلبتها بدينك فدينك صداقها؛ لأن دين المنافق صداق الدنيا، ودم المؤمن الشهيد

(٣١) لعلها مشيئته.

صداق الآخرة، ودم المحبّ صداق قرب المولى.

ويحك ما دمت تخدم الدنيا فهي تضرّك ولا تنفعك؛ فإذا صارت هي تخدمك تنفعك ولا تضرّك. اطردها عن قلبك وقد رأيت خيرها وخدمتها وذلّها. تظهر إلى قلبك المؤمن في أحسن صورة عليها من كل زينة، فيقول: من أنت، فتقول: أنا الدنيا، فيعرض عنها، فيتبينّ له في الحال عيوبها، وتنقلب تلك الصورة الحسنة صورة قبيحة.

ويلك تدّعي الزهد في الدنيا وأنت تحبّ الدّراهم والدنانير، وتعدو خلفهما، وتَذِلّ للملوك والأغنياء من أجلهما، كذبت في زهدك. عن بعض الصالحين رحمة الله/ عليه أنّه قال: رأيت في النوم امرأة مستحسنة، فقلت لها: من تكوني؟ [١٩٥/ب] فقالت: أنا الدنيا. فقلت لها: أعوذ بالله عزّ وجلّ منك ومن شرّك. قالت: أبغضِ الدراهم والدنانير وقد كفيت شرّي.

يا كذابين: من شرط كل صادق في إرادة ربّه عزّ وجلّ أن يبغض ما سواه في الظاهر والباطن: الظاهر الدنيا وشهواتها وأبناؤها وما في أيديهم، وحمْد الخلق وثناؤهم وقبولهم وإقبالهم، والباطن الجنّة وما فيها من النعيم. مَنْ صحّ له هذا صحّت له الإرادة. وقرب قلبه من ربّه عزّ وجلّ، وصار جليس قربه، وضيفاً له. فحينئذ تجيء الدنيا بطبقها والأخرى بطبقها. تجيء هذه بزينتها وهذه بحشمتها. تصيران خادمتان تخدمانه، فيكون طبقها للنفس لا للقلب. طعامُ الدنيا والآخرة للنفس. وطعام القرب للقلب. وهذا الذي أدعو إليه/ ، هو إرادة الله عزّ وجلّ من [١٩٦/أ] خلقه لا الذي تدعون إليه.

يا منافقين: العاقل من ينظر في العواقب ولا يغتر ببداية الأمور. العاقل من استعرض الدنيا والآخرة اللتين هما جاريتان للقوم، يختبرهما ويسمع كلامهما. يسمع من الدنيا وصفتها لنفسها، فيشتري منها ما يصْلح له، ويزهد في الدنيا لكونها فانية، ويعرض عن الآخرة لكونها محدثة مخلوقة، حاجبة عن ربّها عزّ وجلّ

لمن تقيّد[٣٢] بها، ورغب فيها دونه. فتقول له الدنيا/ لا تطلبني ولا تتزوج بي فإنّي أنتقل من دار إلى دار، من ملك إلى ملك، كلّما ربيْت وتزوجت واحدا قتلته، وأخذت ماله. احذرني فإنّي ذوّاقة قتّالة غدّارة، لا أوفي بعهد لمن عاهدني، وأعاهده.

[١٩٦/ب] وتقول له الأخرى: على وسم البيع والشراء؛ لقوله تعالى: ﴿إن/ الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنّة﴾ [سورة التوبة ٩/١١١]. إنّي أرى على وجهك وسم القرب فاشتريني[٣٣]؛ فإن الحقّ عزّ وجلّ يَدَعك معي[٣٤].

فإذا تحقق هذا عنده وتركها وولّى عنها، طالباً قرب ربّه عزّ وجلّ، ردّ الدنيا إليه فيستوفي أقسامه منها من غير ضَرر، وردُّ الآخرة إليه. تكون قهرمانة[٣٥] له، اسمعوا يا طالبين لهذه ولهذه. يا مرضى بهذه وبهذه، هذا الذي شرحته دواء لكم فاستعملوه. كلّ من زهد في شيء طلبه ذلك الشيء. ازهدوا في المخلوقات حتى يحبّكم الخالق. مَثَلُ المحبوب عند الله عزّ وجلّ كمثل المريض في حجر طبيب شفيق، يتولاه بنفسه.

يا قوم: اقبلوا مني وازهدوا في الدنيا؛ فإنّ رغبتكم فيها ومحبّتكم لها تحجبكم عن الآخرة، وعن قرب ربكم عزّ وجلّ، وتعمى عيون قلوبكم، القعود/ مع [١٩٧/أ] الدنيا يحجبكم عن الآخرة، والقعود مع النفس يحجبكم عن الحقّ عزّ وجلّ.

يا جهّال: لا تأكلوا الدنيا بعمل الآخرة فتخسرونهما. الآخرة سيّد، والدنيا مملوكة لها؛ فالمملوك يتبع المالك. هي دنيّة وتلك عليّة، والدّني يتبع العالي.

---

(٣٢) في (أ): يقتد بها.

(٣٣) في (أ): فلا تشتريني، والصواب ما رجحناه من (ب).

(٣٤) في (أ): لا يدعك.

(٣٥) قهرمانة: كلمة فارسية، ومعناها مدبرة البيت، ومتولية شؤونه، ومنه القول المأثور (المرأة ريحانة وليست بقهرمانة). المعجم الوسيط/ ٧٧٠.

لا تأكلوا من طعام الدنيا قبل أكل الترياق؛ فإنّ طعامها مسموم. ما هذا الترياق؟! هو الزهد فيها، والخروج عنها من حيث قلبك من بحر الحكمة إلى بحر القدرة، من الطبّ إلى الطبيب الذي يميِّز لك بين سمّها ولحمها، أمَا رأيت وسمعت أن يأخذ الحيّة فيذبحها ويطبخها ويستخرج سمّها ثم يأكل لحمها. الحقّ عزّ وجلّ يجعل سمّ الدنيا للكفّار المتجبّرين عليه، الناسين له. ولحمها المصفّى من السمّ للمؤمنين به، المتذلّلين له، الذاكرين له، الناسين لغيره. كيف لا يصفّى/ لهم [١٩٧/ب] وهم أضيافه يفعل معهم كفعل المحبّ في حقّ الحبيب، يصفّي لهم الحلاوة من بين المرارة، والصفاء من بين الكدر. المرادون يصفى لهم الطعام والشراب واللباس وجميع ما يحتاجون إليه. المتزهد مجتهد، تارة يصفو وتارة لا يصفو، تارة يقوم وتارة يقعد. الزاهد قد انكشف له معظم الأمر. صوابه أكثر من أخطائه، والعارف قد انكشف له الأمر كله. يعرف الصّافي من الكدر. الصافي يناديه، والكدر يناديه.

القوم اتحدت جهاتهم، بقيت لهم جهة واحدة. ضاقت جهات الخلق في وجوههم، واتسعت جهة الحق عزّ وجلّ لهم. سدوا جهات الخلق بأيدي صدقهم وفتحوا جهات الخالق بأيدي قلوبهم. فلا جرم اتسعت قلوبهم وكبرت وعظمت ووقفت الغيرة على أبواب قلوبهم/ فلم تمكن أحدا من الدخول إليها سوى مالكها [١٩٨/أ] وخالقها. كل واحد من هؤلاء القوم كالشمس والقمر في الدنيا، هم سبب لنور الدنيا، وجوههم إلى الحق عزّ وجلّ وظهورهم إلى الخلق، لو كانت وجوههم إلى الدنيا لاحترق كل ما عليها. أنتم موتى تمشون على وجه الأرض. كن عاقلاً، فمالك عقل. لست من الرجال، ولا تعرف الرجال. ما تعرف رؤساء الخلق ولا كبراءهم. كلامك يدل على ما في قلبك. اللسان ترجمان القلب. إذا وقع لك حبّ رجل وبغض آخر فلا تحبّ ذاك ولا تبغض هذا لنفسك وطبعك، بل حكمهما كليهما على الكتاب والسنّة، فإذا وافقا على الذي أحببته فدم على محبته وإذا خالفاه فارجع عن محبته. وإن وافقا الذي أبغضته فارجع عن بغضه. وإن خالفاه فدم على بغضه/. [١٩٨/ب]

ويلك تبغضني لأنّي أقول الحقّ وأحاققك. ما يبغضني ويجهلني إلا الجاهل بالله، كثير القول، قليل العمل. وما يحبّني إلا العالم بالله عزّ وجلّ، كثير العمل، قليل القول. قرب الحقّ عزّ وجلّ قد أغناني عن الكلّ، الماء كثير حولي، وأنا كضفدع. ما أقدر أن أتكلّم بما عندي، أنتظر نضب الماء، وأتكلم. فحينئذٍ تسمع خبرك وخبر غيرك. متى تتوبوا يا دبراء[٣٦]، يا عصاة. صالحوا ربّكم عزّ وجلّ بواسطة التوبة. لولا حيائي من الله عزّ وجلّ ومن حلمه لنزلت وأخذت بيد واحد واحد منكم، وقلت له: أنت فعلت كذا وكذا، تب إلى الله عزّ وجلّ، لا كلام لك ومعك حتى يقوى إيمانك وإيقانك ومعرفتك لمولاك، فحينئذٍ تتعلق بالعروة الوثقى [١٩٩/أ] وهي وصول قلبك إليه، فيباهي بك النبيّ ﷺ/ جميع الأمم..

يا مَنْ آمن بلسانه متى تؤمن بقلبك؟ يا مؤمنا في جلوته متى تكون مؤمنا في خلوتك. إيمان القلب مع الخلوة هو الشيء النافع. إيمان اللسان مع كفر القلب لا فائدة فيه. إيمان المنافق إيمان الذين يخافون من السيف. يا عصاة: توبوا ولا تقنطوا من رحمة ربّكم عزّ وجلّ، ولا تيأسوا من روح الله. يا موتى القلوب: دوموا على ذكر ربّكم عزّ وجلّ، وتلاوة كتابه وسنّة نبيّه، وحضور مجالس الذكر وقد حييت قلوبكم كما تحي الأرض الميتة بنزول الغيث عليها. إذا دام القلب على ذكر الحقّ عزّ وجلّ جاءت إليه المعرفة والعلم والتوحيد والتوكل والإعراض عمّا سواه في الجملة. دوام الذكر سبب دوام الخير في الدنيا والآخرة. ما دمت مع الخلق [١٩٩/ب] والدنيا/ فأنت متأثر بالحمد والذم؛ لأنّك موجود بنفسك وهواك وطبعك، فإذا وصل قلبك إلى ربّك عزّ وجلّ وصار أمرك إليه زال تأثّرك بهما، واسترحت من ثقل عظيم. إذا اشتغلت بالدنيا مع اعتمادك على حولك وقوتك انقطعت وتمزقت وتعبت وتسخطت، وكذا إذا اشتغلت بالآخرة بقوتك تنقطع، وإذا اشتغلت بالحقّ عزّ وجلّ استفتح باب المعاش بيد قوّته والتوكل عليه، واستفتح بابَ الطاعات بيد

---

(٣٦) في (أ): بادروا.

توفيقه. فإذا وصلت إلى مقام طلبه فاطلب منه القوة والصّدق في طلب قوته ومعونته. يثبّت أقدام قلبك وسرّك بين يديه مع الفراغ من شغل الدنيا والآخرة.

ويحك نفسك مريضة فاحمها عن التخليط في المواكيل حتى تأتيها/ عافية [٢٠٠/أ] القرب من ربّها عزّ وجلّ.

ويحك كيف تطمع في قرب الله عزّ وجلّ والحرام على جسدك وفي مأكولك ومشروبك ومنكوحك وجميع تصرّفاتك. كيف تطمع في قرب الله عزّ وجلّ ونفسك مستولية عليك، وهواك يقودك، ويميل بك إلى الشهوات واللذات. ونار طبعك تحرق تقواك ودينك. كن عاقلاً ما هذا عمل من يؤمن بالموت، ويوقن به. ما هذا عمل من يرتقب لقاء الحقعزّ وجلّ ويخاف من محاسبته ومناقشته. لا فكرة لك. لا تروّي لك، لا تقوى لك، لا تدبير لك، لا سكون لك الليل والنهار. وإنّك غائص في جَمْعِ الدنيا والتفكير فيها ومصاحبة أهلها والذلّ بين أيديهم. القوم يستقيلون من الدنيا والحياة ومقاساة الخلق. أحدهم كرجل بعث رحله إلى خراسان/ وقعد ها هنا على خيل جريدة، ينتظر سير القافلة وخروج الأمير. [٢٠٠/ب] فجسده حاضر وقلبه إلى بيته.

المؤمن بعث ماله إلى الآخرة قد بنى هناك قصراً وقد اقتنى فيه كل ما يحتاج إليه[٣٧]. كلّ قلبه إلى قرب الله عزّ وجلّ؛ ولهذا قال النّبي ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن»[٣٨] لا يزال المؤمن يتحقق في إيمانه حتى يصير عارفاًبالله عزّ وجلّ، وعالما به، قريبا منه، واصلاًإليه. فحينئذ يؤْثره على كلّ شيء، يفرّق ماله على الحواشي الوقوفِ على الباب. فيبقى كلّ همّه الدخول إلى دار القرب. يردّ[٣٩] مفتاح قصره الذي في الجنة على خازنها يجيء سرّه إلى أبواب الجنان فيغلقها ويسدّ أبواب الخلق

(٣٧) كل ما يحتاج إليه: نقص من (أ).

(٣٨) انظر تخريجه ص **١٦٧**.

(٣٩) يردّ: نقص من «أ».

والوجود، ويرمي بنفسه بباب الملك، يتمارض هناك، ويقع كأنّه قطعة لحم ملقاة.
[٢٠١/أ] ينتظر أن تمرّ به أقدام اللطف فتدوسه، ينتظر لمحة من عين/ الرحمة، وامتداد يد المنّة والكرم. فبينما هوَ كذلك إذا هو في مخدع القرب، في حجر اللطف، بين يديّ الطبيب الخبير، فيمرضه ويردّ إليه قوته، ويؤنسه ويخلع عليه الحلل والحليّ والتيجان، ويطعمه من طعام الفضل، ويسقيه من شراب الأنس، فحينئذ جاءت الراحة في دار القرب، جاء الفرج على شرفات القرب(٤٠)، صارت الخليقة كلهم تحته، ينظر إليهم بعين الرحمة والرأفة، يتخلّق بأخلاق الحقّ عزّ وجلّ؛ لأنّالواصلين إليه تمتليء قلوبهم رحمة للخلق، ينظرون إلى المسلمين والكافرين، وإلى العوام والخواص بعين الرحمة، يرحمون الكلّ(٤١) مع مطالبتهم لهم بحدود الشرع. المطالبة ظاهرا والرحمة باطنا.

يا عباد الله: إذا رأيتم واحدا من هؤلاء القوم فاخدموه، واقْبلوا منه؛ فإنّه [٢٠١/ب] ناصح لكم. يا قعوداً في البيوت والصوامع مع النفس والطبع والهوى/ وقلة العلم، عليكم بصحبة الشيوخ العمّال بالعلم، اتبعوهم واتركو أقدامكم خلف أقدامهم، ذلّوا لهم، واصبروا على كسرهم حتى تزول أهويتكم، وتنكسر نفوسكم، وتنطفيء ثائرة(٤٢) طباعكم. فحينئذ تعرفون الدنيا فتجتنبونها، تصير خادمتكم، تعطيكم ما فرض عليها؛ وهي أقسامكم المقسومة. عندها تأتيكم بها وأنتم على باب قربكم من ربّكم عزّ وجلّ. هي والآخرة خادمتان لمن خدم الحقّ عزّ وجلّ.

القلب إذا تربىّ فيه التّوحيد والقرب كان كلّ يوم في زيادة. كلّما جاء كبر

---

(٤٠) في (أ): الوصول.

(٤١) الكلّ: نقص من «أ».

(٤٢) في (أ): نارية.

وعظم وارتفع، لا يَرى على وجه الأرض ولا في السماء غير الله، تصير كل[43] الخلائق في أسْره[44]، يقوم سرّ بينه وبين ربّه عزّ وجلّ، فحينئذ يتمكّن منه، ويتصل به، يصير سلطان زمانه، يتمكّن من القضاء والقدرة، والحكم والعلم، تخدمه/ صفات الملك، وتقربه ذاته. [٢٠٢/أ]

يا قوم: صدّقوا الله عزّ وجلّ ورسوله والصالحين من خلقه، هو صادق لأنّه قال: ﴿... ومن أصدق من الله قيلا﴾ [سورة النساء: ٤/١٢٢] صدْق الصالحين، وصدْق الرسول، مشتق من صدقه.

يا غلام: إذا طال قيام قلبك على باب الحقّ عزّ وجلّ زال شرهك وطلبك، وكثُر حسن أدبك. الصبر يزيل الشهوات، الصبر يُفني العادات، ويقطع الأسباب، ويخلع الأرباب، أنت مهوس! أنت جاهل بالله عزّ وجلّ وبرسوله وأوليائه وخواصّه من خلقه! تدّعي الزهد وأنت راغب. زهدك زمن الإقدام، وكل رغبتك في الدنيا. لا رغبة لك في ربّك عزّ وجلّ، دونك والقيام بين يديّ ربّك عزّ وجلّ. حسِّن الظنّ والأدب حتى أدلّك على ربّك عزّ وجلّ، وأعرفك الطريق إليه. انزع/ عنك لباس الكبر والبس لباس التواضع حتى ترتفع. ما أنت فيه [٢٠٢/ب] هوس في هوس. إذا أعرضت عن خاطر النفس، وخاطر الهوى، وخاطر الشيطان، وخاطر الدنيا جاءتك الآخرة: خاطر الملك، ثمّ خاطر الحق عزّ وجلّ أخيرا وهو الغاية. إذا صحّ قلبك وقف عند الخاطر، وقال له: أيّخاطر أنت؟! من أنت؟! فيقول: أنا خاطر كذا وكذا.

ويحكم، الأكثر منكم هوس في هوس، يعبدون الحقّ [عزّ وجلّ] في صوامعكم. هذا الأمر لا يجيء بمجرد الصعود في الخلوات مع الجهل. ويلك اِمْش

---

(٤٣) كلّ: نقص من (أ).

(٤٤) في (أ): في أثره.

في طلب العلم والعلماء العاملين حتى لا يبقى مشي، امش حتى لا يطاوعك شيء، فإذا عجزت فاقعد عن ظاهر، ثم بقلبك ومعناك، فإذا غبت ظاهراً وباطنا وقعدت [٢٠٣/أ] جاءك القرب من الله عزّ وجلّ والوصول إليه. إذا انقطعت/ خطرات قلبك وذهبت قواك في السير إليه كان ذلك علامة قربك منه. سلِّم واستطرح. إمّا [أنْ] نبني لك صومعة في البريّة، ونقعدك في الخراب، أو نردّك إلى العمران، ونوقف الدنيا والآخرة والجنّ والإنس والملك والأرواح في خدمتك. إذا وقفت على باب الحق عزّ وجلّ رأيت عجبا، بل عجايبا، أنس طعامك وشرابك ولباسك وجودك وحمد القوم وذمهم، هذه الأشياء كلها أعمال القلوب، يصير هذا القلب بستاناً فيه أشجار وثمار، يصير فيه فيافي وقفار وبحار وجبال. يصير مجمع الجنّ والإنس والملائكة والأرواح. هذا شيء وراء العقول، اللهم إن كان ما أنا فيه حقّ فحققه للسالكين. وإن كان باطلا فامحقه. إن كنتُ على حق فارفع شأني وشيده. وعجّل [٢٠٣/ب] بهداية الخلق على يدي، ارفع قلوبنا/ إليك. إلى متى هذا التعب؟! متى تنتهي خطرات قلوبنا؟! متى نأكل الدعوة على سطح قصر القلب ونتفرّج من شرفاتها على خلقك؟ ونضرب إليه الأمثال. إذا صحّ القلب نسي ما سوى الحقّ عزّ وجلّ القديم الأزلي الدائم الأبدي، كل ما سواه محدث. إذا صحّ القلب صار الكلام الذي يخرج منه صوابا، حقا لا يُردّ، وإذا خاطب القلبُ القلبَ، السرُّ السرَّ، الخلوةُ الخلوةَ، المعنى المعنى، اللبُّ اللبَّ، الصوابُ الصوابَ، فحينئذ يكون الكلام منه إلى القلب كالبذرة في الأرض لينة طيّبة غير سبخة، تنبت وتغصن، إذا تعلمت للدنيا عملت للدنيا، وإذا تعلمت للآخرة عملت للآخرة. الفرع يبنى على الأصل. كما تدين تدان. كل إناء بما فيه ينضح. تضع في إنائك قطران وتريد أن [٢٠٤/أ] ينضح منه ماء الورد. لا كرامة/ لك! تعمل في الدنيا للدنيا لبنائها، وتريد أن تكون للآخرة غدا! لا كرامة. عملت للخلق تريد أن يكون لك الخالق غدا والقرب منه والنظر إليه، لا كرامة لك. هذا هو الظاهر والأغلب، وإن أعطاك تفضلاً بغير عمل فذاك إليه.

اسمعوا مني واعقلوا ما أقول؛ فإنّي غلام من يقدم[٤٥]، أحضر بين أيديهم، وأنشر أمتعتهم، وأنادي عليها ولا أخونهم فيها، ولا أدعي ملكا أبدا. بكلامهم أثني عليه. أهلني الله عزّ وجلّ ببركة متابعتي للرسول ﷺ، وبرّي بوالدي وبوالدتي رحمهما الله، والدي زاهد في الدنيا مع القدرة عليها، ووالدتي وافقته على ذلك ورضيت بفعله. كانا من أهل الصلاح والديانة، والشفقة على الخلق، وما علي منهما ولا من الخلق، أتيت إلى الرسول والمرسل بهما/ أمتنح كل خيري معهما أو [٢٠٤/ب] عندهما. ما أريد من الخلق سوى محمد صلى الله عليه [وآله وصحبه] وسلم، ولا من الأرباب غير ربّي عزّ وجلّ.

يا غلام: كلامك من لسانك لا من قلبك، من صورتك لا من معناك. القلب الصحيح يهرب من الكلام الذي يخرج من اللسان دون القلب، يصير وقت سماعه كالطير في القفص، وكالمنافق في المسجد. إذا التقى واحد من الصديقين في مجلس واحد من العلماء المنافقين كانت أمنيته الخروج منه.

للقوم علامات في وجوه المرائين المنافقين الدجالين البدعيّين أعداء الله عزّ وجلّ وأعداء رسوله ﷺ. علامتهم في وجوههم وفي كلامهم، يفرّون من الصدِّيقين كفرارهم من الأسد، يخافون أنْ يحترقوا بنار قلوبهم. الملائكة/ تدفعهم [٢٠٥/أ] عن الصدّيقين والصالحين. أحدهم عند العوام كبير وعند الصدِّيقين حقير، عند العوام آدميّ وعند الصديقين سنّور[٤٦] لا وزن لهم عندهم.

---

(٤٥) أي ربيب السلف الصالح، فهو يقوم على خدمتهم والثناء عليهم بكل خير.

(٤٦) السنور: حيوان ألوف، خلقه الله تعالى لدفع الفأر، يشبه الهرة، روى الحاكم في المستدرك، ١/ ١٨٣، والدارقطني في السنن، ١/ ٦٣، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: كان النبي صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم يأتي دار قوم من الأنصار ودونهم دور لا يأتيها. فشُقّ عليهم ذلك، فكلموه، فقال: إن في داركم كلباً. قالوا: فإن في دراهم سنوراً. فقال: النبي صلى الله عليه و[آله وصحبه] وسلم: السنّور سبع.

يا قوم: عليكم بطبيب الحكم. فإنّه يداويكم من أمراضكم، واتبعوه واقبلوا منه وقد عوفيتم. اتبعوا الغلام وقد حملكم إلى الأستاذ الحكيم. غلام العلم اتبعوه ولاتنظروا أين يدخل، ادخلوا خلفه، اطلبوا باب ربكم، وأحسنوا العشرة مع الحكم الذي هو غلام الباب. إذا لم تتبعوا الحكم فلا وصول لكم إلى العلـم. أما سمعتم قو ربّكم عزّ وجلّ ﴿... وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا...﴾ [سورة الحشر ٥٩/٧]. إذا أحسنتم العشرة مع الحكم على باب ربّكم عزّ وجلّ، وتأدّبتم معه أحبّكم، وفتح لكم باب قربه، وأقعدكم على مائدة فضّله وإكرامه، تصيرون/ ضيفان له، يحادث قلوبكم، ويؤانس [٢٠٥/ب] أسراركم، ويعلمها العلم الذي يعلمه خواصّكم من خلقه، فيصير حكمه بينه وبين الخلق، وعلمه بينه وبينكم؛ لأنّ الحكم مشترك، والعلم خاص. الحكم إيمان، والعلم عيان.

(دعاء)

أيها العبد ألق سمعك وأنت شهيد بأنّك مني مريد. وأصغ بسمع قلبك وأنا عنك لست ببعيد. أيّها العبد كنت تدبيري لك من قبل أنْ تكون لنفسك؛ فكن لنفسك بأن لا تكون لها، وتوليتُ رعايتها قبل ظهورك وأنا الآن عليّ الرعاية لها.

أيّها العبد أنا المنفرد بالخلق والتصوير وأنا المنفرد بالحكم والتدبير/، لمَ [٢٠٦/أ] يشاركني في خلقي وتصويري ولا تشاركني في حكمي وتدبيري، أنا المالك لملكي وليس فيه نظير، وأنا المنفرد بحكمي فلا احتياج فيه إلى وزير.

أيها العبد من كان بتدبيره لك قبل الإيجاد فلا تنازعه في المراد مَنْ عوّدك حسن المنظر منه لك فلا تقابله بالعناد.

عوّدتك حسن النظر مني لك فعودني ساقط التدبير منك مني.

ايها العبد: أشكاً بعد وجود التجربة، وحيرة بعد وجود البيان، وخللاً بعد وضوح الهدي. أمّا يجليك إليّ علمك بأنّه لا مراد لك غيري، أما [يخيفك[47]] من المنازعة بي ما سبق من وجود الخير.

أيّها العبد، انظر نسبة وجودك من أكواني ترى أنك متلاش في الفاني، فما ظنّك بما ليس بفاني؟ اقعد وقد سلّمت/ إليّ قيامي بمملكتي وأنت من مملكتي فلا [٢٠٦/ب] تنازع ربوبيتي ولا تضاد بتدبيرك مع وجود الإلهي.

أيها العبد، أما يكفيك أنيّ أكفيك؟! أما يوجب سكونك إليّ سوائق عوايدي فيك.

---

(٤٧) في (أ): يحنيك.

أيها العبد متى أحوجتك إليك حتى تحتال عليّ، ومتى وكلت شيئاً من مملكتي لغيري حتى أكِلَ إليك ذلك. أيها العبد أعددْتُ لكَ جودي من قبل أن أظهرك لوجودي، وظهرت بقدرتي في كل شيء، فكيف تملك حجودي.

أيها العبد متى خاب من كنتُ له مريدا؟ ومتى خُذِل من كنتُ له منتصرا؟.

أيها العبد لتشغلْك خدمتي عن طلب قسمتي، وليمنعْك حسن الظَّنّ بي عن إبهام ربوبيتي.

[٢٠٧/أ] أيها العبد: لا ينبغي أن تتّهم محسناً، ولا أن تنازع/ مقتدرا، ولا أن تصادد قهّارا، ولا أن تعرض عن حكم حكيم، ولا أن [تَعْيا لهمٌ(٤٨)] مع لطيف.

أيّها العبد لقد فاز بالنجاح من خرج عن الإرادة معي، ولقد دلّ على سير الأمر من احتال عليّ، ولقد ظفر بكنز الغنا من صَدق في الفاقة إليّ. ولقد استوجب النصر مني من عبْدٍ إذا تحرك تحرك بي، ولقد استمسك بأقوى الأسباب من استمسك بسببي. إني آليت على نفسي أن أجازي أهل التدبير بوجود التكدير، وأنْ أهدم ما شيّدوا وأحل ما عقدوا. وأن أكلهم إليهم وأن أحيلهم عليهم ممنوعين من روح الرضا ونعيم التفويض فلو وثقوا بي(٤٩) لاقتنعوا بتدبيري لهم عن تدبيري لأنفسهم، وبرعايتي لهم/ عن رعايتهم إياها؛ فإذن كنتُ أسلك بهم عن سبيل [٢٠٧/ب] الرضا، وأنهج بهم منهج أهل الهدى، وأسعى بهم في طريق بيضاء، وأجعل عنايتي بهم وافية لهم من كل ما يخافونه، وجالبة لهم من جميع ما يرجونه، وذلك على يسير.

أيها العبد نريد منك أن تريدنا ولا تريد معنا، ونختار لك أنْ تختارنا ولا تختار معنا، ونرضى لك أن ترضانا ولا نرضى أن ترضى سوانا.

---

(٤٨) في (أ): يعالهم.

(٤٩) في (أ): عني.

أيها العبد: إن قضيتُ لك [فإرادتي[٥٠]] فضلي عليك، وإن قضيت عليك بلائي أريد أن أورد في قضائي أسرار لطفي إليك.

أيّها العبد لا تجعل جزاء ما أظْهَرْت فيك من نعمي وجود منازعتي، ولا عوض ما أحسنت لك بالعقل الذي ميزتك به وجود مضادتي.

أيها العبد كما سلّمت لي: تدبيري في أرضي وسمائي وانفرادي فيهما بحكمي [٢٠٨/أ] وقضائي سلّمْ وجودّك لي؛ فإنك لي ولا تدبير معي؛ فإنّك معي واتخذني وكيلا، وثق بي كفيلا. أعطيك عطاء جزيلا ووهبتك فخرا جليلا.

أيها العبد إني حكمت في أزلي أنّه لا يجتمع في قلب عبدي ضياء التسليم بي وظلمة المنازعة معي. [فإن] كان واحد منهما لم يكن الآخر معه فاختر لنفسك.

ويحك إنّا أجللنا قَدْرَك أن تشتغل بأمر نفسك فلا تَضَعَنّ قدرك يا من رفعناه، ولا تدللن بحوالتك على غيري يا من أعززناه. ويحك أنت أجلّعندنا من أنْ تشتغل بغيرنا، لِحَضرتي خلقتك وإليها خطبتك، وبجواذب عنايتي بها جذبتك؛ فإن اشتغلت بنفسك حجبتك، وإن اتبعت هواها طردتك، وإنْ/ خرجت عنها [٢٠٨/ب] قويتك، وإن تتودّد إليّ بإعراضك عما سواي أجبتك.

أيها العبد: أما كفاك لو اكتفيت وهداك لو اهتديت أني أنا الذي خلقتُ فسوّيت وتصدّيت فأعطيت، أما يمنعك من منازعتي فيما قضيت ومعارضتي فيما أتيت.

أيها العبد ما آمن بي من نازعني، ولا وحّدني من دبّر معي، ولا رضي بي من شكا ما أنزلتُهُ به إلى غيري، ولا اختارني من اختار معي، وما امتثل أمري من لم يتسلسل القهر، ولا عرفني من لم يفوّض أمره إليّ ولقد جهلني من لم يتوكّل عليّ.

---

(٥٠) في (أ): بل إرادتي.

أيها العبد: يكفيك من الجهل أنْ تسكن لما في يديك ولا تسكن لما في يديّ، وأنا أختار لك أن تختارني فتختار عليّ، ويحك لا يجتمع عبودية ولا اختيار ولا ظلم. ولا توجهك إليّ وتوجهك/ للآثار؛ فإمّا أنا لك أو أنت لنفسك، فاختر [٢٠٩/أ] على بيان ولا تتبدل الهوى بالخيرات.

أيها العبد: لو طلبت مني التدبير لنفسك جهلت فكيف إذا دبرتَ لها ولو اخترت معي ما أنصفت فكيف إذا اخترت علي؟!

أيها العبد: لو أذنتُ لك أن تدبّر كان يجب عليك أن تستحي منّي من أن تدبر، فكيف وقد أمرتك أن لا تدبر. يا مهموما بنفسه لو ألقيتَه إلينا لاسترحت.

ويحك أعباء التدبير لا تحملها إلا الربوبيّة، وليس يقوى بها ضعف البشرية.

ويحك أنت محمول فلا تكن حاملا، أردنا راحتك فلا تكن متعبا لنفسك. مَنْ دبّرك في ظلمات الأحشاء وأعطاك بعد الوجود ما تشاء لا ينبغي لك أن تنازعه فيما يشاء.

[٢٠٩/ب] أيها العبد: أمرتك/ بخدمتي وضمنت لك قسمتي فأهملتَ ما أمرتُ وشككتَ فيما ضمنتُ، ولم أكتف بالضمان حتى أقسمْتُ، وما اكتفيتُ بالقسم حتى مثّلْتُ فخاطبت عبادا يفهمون، فقلت: ﴿وفي السماء رزقكم وما توعدون، فوربّ السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون﴾ [سورة الذاريات ٥١/٢٢-٢٣].

ولقد اكتفى بوصفي العارفون واحتال على كرمي الموقنون فلو لم يكن وعدي لعلموا أني لا أقطع عنهم واردات رفدي، فلو لم يكن ضماني لوثقوا بوجود إحساني وقد رزقت من غفل عني وعصاني فكيف لا أرزق من أطاعني(٥١) ودعاني.

ويحك الغارس لشجرة هو ساقيها، والممد للخليقة هو باريها، يكفيها أنّه

---

(٥١) في (أ): أعطاني.

كافيها ومكافيها. متى كان الإيجاد فعليّ دوام الإمداد. متى كان/الخلق فعليّ دوام [٢١٠/أ] الرزق.

ويحك هل تدعو لدارك إلا من تريد أن تطعمه، وهل تنسب لنفسك إلا من تحبّ أن تكرمه.

أيها العبد: اجعل همّك بي مكان همّك برزق فانٍ، ما حمّلْتُهُ عنك فلا تتعبنّ به، وما تحمله لك فكن أنت به. أندخلك داري ونمنعك جودي. أطالبك بحقي وأمنعك جودي. أقتضي منك خدمتي ولا أقضي لك قسمتي، لك قسمة عندي. لا يبقى عندي[٥٢]. لك هيّأت منّي وفيك أظهرت رحمتي، وما قنعتُ لك بالدنيا حتى أزهرت لك جنتي، وما اكتفيت بذلك حتى ألحقتك برؤيتي فإذا كانت هذه أفعالي فكيف تشك في أفضالي.

أيها العبد: لا بد لنعمتي من آخذ ولفضلي من قابلٍ، وأنا الغني عن الانتفاع بالمنافع لما دلّ/ عليه الدليل القاطع، فلو سألتني أن أمنعك رزقي ما أجبتك، ولو [٢١٠/ب] سألتني أنْ أحرمك من فضلي ما حرمتك. فكيف وأنت دائما تسألني، وكثيرا ما تطلب مني، فاستحِ مني إنْ كنت لا تستحي، وافهم عني. ولقد أُعطيَ كل العطاء من فهم عني.

أيها العبد: تَخَيّرني ولا تتخيّر عليّ، ووجّه قلبك بالصدق إليّ فإنّك إنْ تفعل أريك غرائب لطفي، وبدائع جودي، وامنع سرّك. بشهودي أظهرت الطريق لأهل التحقيق، وبيّنت معالم الهدى لذوي التوفيق. فبحقٍ سلّم إليَّ الموقنون، وبتبيانٍ توكّل عليّ المؤمنون. علموا أنّي لهم خير من أنفسهم وأنّ تدبيري لهم أجدى عليهم من تدبيرهم لها فَدَعوا ربوبيتي مستسلمين/، وطرحوا أنفسهم بين يدي [٢١١/أ] مفوضين، فعوضتهم عنه ذلك راحة في نفوسهم، ونورا في عقولهم، ومعرفة في

---

(٥٢) أي أن العبد لا يموت حتى يستكمل رزقه المقدر له كاملاً.

قلوبهم، فحقاً عليّ أنْ أجلّ [من[٥٣]] منصبهم وأعلي محلّهم، وأنشر ألوية المجد عليهم، ولهم إذا أدخلتهم داري ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

أيها العبد: الوقت الذي أنت تستقبله له، أطالبك فيه بالخدمة فلا تطالبني بالقسمة، فإذا تكفّلتُ لك، وإذا استخدمتك أطعمتك. واعْلم بأنّي لا أنساك وإنْ نسيتني، وإني ذكرتك من قبل أن تذكرني، وإنّ رزقي عليك دائم وإنْ عصيتني، وإذا كنتَ كذلك في إعراضك عني فكيف ترى أكون في إقبالك عليّ، ما قَدّرْتَني حق / قدري، إن لم تستسلم لقهري ولا رغبت حتى ترى. إن لم تتمثل أمري فلا [٢١١/ب] تعرض عني فإنّك لا تجد من تستند [إليه] مني، ولا تغتن بغيري فإنّ أحداً لا يغنيك عني. أنا الخالقّ لك بقدرتي، وأنا الباسط منّتي، فكما أنّه لا خالق غيري كذلك لا رازق غيري، أخلق وأحيل على غيري، وأنا المتفضّل، وأمنع العباد وجود خيري فثق أيها العبد وأنا ربّ العباد، واخرج عن مرادك معي أبلغك عين المراد، أذكر سوابق لطفي ولا تنسَ حقّ الوداد.

وقد أردنا أن نختم هذا الكتاب بدعاء مناسب لما الكتاب موضوع له وهو: أنّا نسألك أنْ تصلي على [سيِّدنا] محمد وعلى آل [سيدنا] محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم في العالمين إنّك / حميد مجيد. اللهم اجعلنا من المستسلمين إليك [٢١٢/أ] ومن الدائمين بين يديك، وأخرجنا من التدبير معك أو عليك واجعلنا من المفوضين إليك، إنّك قد كنت لنا من قبل أن نكون لأنفسنا، فكن لنا بعد وجودنا كما كنت لنا من قبل وجودنا، وألبسنا ملابس لطفك وأقبل علينا بحيائك، وأخرج ظلمات التدبير من قلوبنا، وأشرق أنوار التفويض في أسرارنا، وأشهدنا حسن اختيارك لنا حتى يكون ما تقتضيه فينا وتختاره أحب إلينا من مختارنا.

اللهم لأنفسنا لا تشغلنا بما ضمنت لنا عن ما أمرتنا، ولا بشيء أنت طالبتنا به

---

(٥٣) في (أ): أنّ.

عن شيء أنت طالبه منا. اللهم إنّك دعوتنا إلى الانقياد إليك والدّوام / بين يديك [٢١٢/ب] وإنّا عن ذلك عاجزون إلاّ أن تعنّا، وضعفاء إلاّ أنْ تقوينا، ومن أين لنا أن نكون في شيء إلا إنْ كونتنا؟ وكيف لنا [أن] نصل إلى شيء إلاّ إن وصلْتنا؟ ومن أين لنا أنْ نقوى على شيء إلا إنْ أعنتنا، فوفقنا لما به أمرتنا، وأعنّا على الانكفاف عمّا عنه زجرتنا.

اللهم أدخلنا رياض التفويض، وجنات التسليم، ونعمنا بها وفيها، واجعل أسرارنا معك لا مع نعيمها ولذاتها، وبك لا بزينتها وبهجتها.

اللهم أشرق علينا من نور الإسلام إليك والإقبال عليك ما تبتهج به أسرارنا وتتكمل به أنوارنا. إنّك قد دبرت كلّ شيء قبل وجود كل شيء، وقد علمنا أنه لا يكون [إلا] ما تريد، وليس هذا العلم نافعاً لنا إلا أن تريد فأردنا / بخيرك، [٢١٣/أ] وسلمنا بفضلك، واقصدنا بعنايتك، وحُفّنا برعايتك، واكسنا من ملابس أهل ولايتك، وأدخلنا في وجود حمايتك إنّك على كل شيء قدير.

اللهم إنا قد علمنا أن حكمك لا يعاند، وقضاءك لا يضاد، وقد عجزنا عن ردّ ما أمضيت فنسألك لطفاً فيما قضيت، وتأييداً فيما أمضيت، واجعلنا في ذلك ممّن رعيت يا ربّ العالمين.

اللهم إنك قد قَسَمْتَ لنا قسمة أنت موصلها لنا فوصلها إلينا بالهناء والسلامة من العناء، مصونين فيها من الجحيم، محفوفين بأنوار الوصل، نشهدها منك فنكون لك من الشاكرين ونضيفها لك ولا نضيفها إلى أحد من العالمين.

اللهم إنّ الرزق بيدك رزق الدنيا/ ورزق الآخرة فارزقنا منها ما علمت فيها [٢١٣/ب] المصلحة لنا، والعود بالخير لنا.

اللهم اجعلنا من المختارين لك ولا تجعلنا من المختارين عليك، ومن المفوضين لك لا من المعترضين عليك.

اللهم إنا إليك محتاجون فأعطنا، وعن الطاعة عاجزون فاقدرنا، وهب لنا قدرة على طاعتك، وعجزا عن معصيتك، واستسلاما لربوبيتك/ [٢١٤/أ] وصبراً على أحكام ألوهيتك، وعزّاً بالانتساب إليك، وراحة في قلوبنا بالتوكل عليك، واجعلنا ممن دخل ميادين الرضا وكرع من تنسّم التسليم وجنى من ثمار المعارف، وأُلبس خِلع التخصيص، وأُتحف بتحف القرب، وفَتْح من حضرة الحبّ، دائمين على خدمتك متحققين بمعرفتك/ [٢١٤/ب] متبعين لرسولك، وارثين عنه، آخذين منه، ومحققين به، وقائمين بالنيابة، واختم لنا منك بخير يا رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد [وآله وصحبه] وسلم، ورضي الله عن أصحاب رسوله أجمعين.

اللهم هب لنا العمل والإخلاص في أعمالنا وهب لنا الاطلاع على علمك والثبات في إطلاعنا، وآتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة وقنا عذاب النار. والحمد لله ربّ العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم. حسبنا الله ونعم الوكيل، نعم المولى ونعم النصير ولا حول ولا قوة إلاّ بالله العلي العظيم، وصلّى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه وسلم تسليما كثيراً كثيراً إلى يوم الدين.

❊ ❊ ❊

المصادر والمراجع

- أساس البلاغة للزمخشري دار صادر بيروت.
- إتحاف السّادة المتّقين بشرح إحياء علوم الدّين، محمّد بن محمّد بن محمّد بن عبد الرّزاق الحسيني الزّبيديّ، دار الفكر، لبنان.
- الإتحافات السّنيّة في الأحاديث القدسية، محمّد المدني، صححه وعلق عليه محمود أمين النّواوي، دار الجيل، لبنان.
- الآثار الخطيّة في المكتبة القادريّة (في جامع الشّيخ عبد القادر الكيلاني ببغداد)، عماد عبد السّلام رؤوف، مطبعة الإرشاد، العراق.
- الأحاديث القدسيّة، لجنة من العلماء، دار النّصر، سورية.
- الإحسان بترتيب صحيح ابن حبّان، ترتيب الأمير علاء الدّين عليّ بن بلبان الفارسي، قدَّم له وضبط نصّه كمال يوسف الحوت، دار الكتب العلميّة، لبنان.
- إحياء علوم الدين أبي حامد الغزالي، ط دار الشعب.
إحياء علوم الدين أبي حامد الغزالي، ط دار المعرفة لبنان.
- الأدب المفرد، أبي عبدالله محمّد بن إسماعيل البخاريّ.
- الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة (الموضوعات الكبرى)، نور الدّين ملا عليّ بن سلطان بن الهروي المعروف بالقاري، حقّقه وعلّق عليه محمد الصّبّاغ، دار الأمانة، مؤسسة الرسالة، لبنان.
- الأسماء والصفات للبيهقي، دار التراث العربي، بيروت.
- أسنى المطالب في أحاديث مختلفة المراتب، محمّد درويش الحوت، دار الكتاب العربي، لبنان.
- إصطلاحات الصّوفيّة، كمال الدّين عبد الرّزّاق القاشاني، تحقيق وتعليق الدّكتور

محمّد كمال إبراهيم جعفر، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، مصر.
- الأعلام (قاموس تراجم لأشهر الرّجال والنّساء من العرب والمستعربين والمستشرقين)، خير الدّين الزركلي، دار العلم للملايين، لبنان.
- الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني مؤسسة جمّال للطباعة والنشر بيروت.
- إيضاح المكنون في الذّيل على كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون، إسماعيل باشا بن محمّد أمين بن مير سليم البابانيّ البغداديّ، دار الفكر، لبنان.

- ب -

- البداية والنهاية لابن كثير، مكتبة المعارف بيروت.
- بذل المجهود في حلّ ألفاظ أبي داود، خليل أحمد السّهارنفوري، دار الكتب العلميّة، لبنان.

- ت -

- تاريخ بغداد أو (مدينة السّلام)، أبي بكر أحمد بن عليّ بن ثابت بن أحمد بن مهدي الخطيب البغداديّ، دار الكتاب العربي، لبنان.
- التاريخ الكبير للبخاري دار الكتب العلمية بيروت.
- تذكرة الموضوعات، محمد طاهر بن علي الهندي الفتى، نشر أمين دمج، لبنان.
- الترغيب والترهيب من الحديث الشّريف، أبي محمّد زكي الدّين عبد العظيم بن عبد القوي المنذريّ، ضبط أحاديثه وعلّق عليه مصطفى محمّد عمارة، دار إحياء التّراث، لبنان.
- تفسير الخازن - دار المعرفة بيروت.
- تلخيص الحبير لابن حجر العسقلاني دار المعرفة بيروت.
- تنزيه الشّريعة المرفوعة عن الأخبار الشّنيعة الموضوعة، أبي الحسن عليّ بن محمّد بن عراق الكتّاني، حقّقه وراجع أصوله وعلّق عليه عبد الوهّاب عبد اللّطيف - عبدالله بن محمّد الصّدّيق، دار الكتب العلميّة، لبنان.

- ج -

- جامع الأصول في أحاديث الرّسول ﷺ، مجد الدّين أبي السّعادات المبارك محمّد بن الأثير الجزري، تحقيق الشّيخ عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، سورية.
- الجامع الصّحيح (سنن التّرمذيّ)، أبي عيسى محمّد بن عيسى بن سَوْرة التّرمذيّ، تحقيق وشرح أحمد محمّد شاكر وغيره، دار إحياء التّراث العربي، لبنان.
- الجامع الصّغير من أحاديث البشير النّذير، جلال الدّين عبد الرحمن بن أبي بكر السّيوطيّ، دار الكتب العلميّة، لبنان.
- جمهرة الأولياء وأعلام أهل التّصوّف، السّيد محمود أبو الفيض المنوفي الحسيني، مؤسسة الحلبي وشركاه، مصر.

- ح -

- الحاوي للفتاوي (في الفقه وعلوم التّفسير والحديث والأصول والنّحو والإعراب وسائر الفنون)، جلال الدين عبد الرّحمن بن أبي بكر السّيوطيّ، دار الكتب العلميّة، لبنان.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، أبي نعيم أحمد بن عبدالله الأصفهاني، دار الفكر، لبنان.

- د -

- الدّرر المنتثرة في الأحاديث المشتهرة، جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر السّيوطيّ، تحقيق الدّكتور محمّد بن لطفي الصّبّاغ، جامعة الملك سعود، السّعوديّة.
- ديوان أبي الأسود الدؤلي لابن سعيد العسكري بتحقيق محمد حسن آل ياسين مؤسسة إيف بيروت.
- الرّسالة القشيريّة في علم التّصوّف مع شرح شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، أبي القاسم عبد الكريم بن هوزان القشيريّ، دار أسامة، لبنان.

ـ الروض الداني إلى المعجم الصغير للطبراني، المكتب الإسلامي ـ دار عمّار.

ـ ز ـ

ـ الزّهد، أبي عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل الشّيباني، دار الكتب العلميّة، لبنان.

ـ س ـ

ـ سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني مكتبة المعارف، الرياض.
ـ سلسلة الأحاديث الضعيفة. للألباني مكتبة المعارف الرياض.
ـ سنن الدّار قطني، تأليف عليّ بن عمر الدّارقطني، عني بتصحيحه السّيد عبدالله هاشم يماني المدني، دار المحاسن للطباعة، مصر.
ـ سنن الدّارمي، أبو محمّد عبدالله بن عبد الرّحمن بن الفضل بن بهرام الدّارمي، عناية محمّد أحمد دهمان، دار إيحاء السّنّة النّبويّة، سورية.
ـ سير أعلام النّبلاء، شمس الدّين محمّد بن أحمد بن عثمان الذّهبيّ، تحقيق عدد من الباحثين بإشراف الشّيخ شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرّسالة، لبنان.

ـ ص ـ

ـ صحيح البخاريّ، أبي عبدالله محمّد بن إسماعيل البخاريّ الجعفيّ، ضبطه الدّكتور مصطفى ديب البغا، دار العلوم، سورية.
ـ صحيح مسلم بشرح النّوويّ، محيي الدّين أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري الخرامي الحوراني الشّافعيّ، المطبعة المصريّة، مصر.

ـ ط ـ

ـ طبقات الأولياء، سراج الدّين أبي حفص عمر بن عليّ بن أحمد المصري المعروف بابن الملقن، حقّقه وخرّجه نور الدّين شريبه، دار المعرفة، لبنان.
ـ طبقات الصّوفيّة، أبي عبد الرّحمن السّلمي، تحقيق نور الدّين شريبه، دار الكتاب النّفيس، سورية.

ـ الطّبقات الكبرى (لواقح الأنوار في طبقات الأخيار)، أبي المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن عليّ الأنصاري الشّعراني، مكتبة مصطفى البابي الحلبي، مصر.

- ع -

ـ العبر في خبر من غبر، شمس الدّين محمّد بن أحمد بن عثمان الذّهبيّ، حقّقه وضبطه محمّد السّعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلميّة، لبنان.
ـ عوارف المعارف في التّصوّف (مع الإحياء)، شهاب الدين أبي حفص محمّد بن محمّد بن عبدالله السّهروردي، بدون تاريخ، دار المعرفة، لبنان.

ـ ف ـ

ـ الفتح الكبير في ضم الزّيادة إلى الجامع الصّغير، تأليف جلال الدّين عبد الرحمن بن أبي بكر السّيوطيّ، ترتيب يوسف النّبهاني، دار الكتب، مصر.
ـ الفردوس بمأثور الخطاب، أبي شجاع شيرويه بن شهرزاد بن شيرويه الدّيلميّ، تحقيق محمّد السّعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلميّة، لبنان.
ـ فهارس التّرغيب والتّرهيب في الحديث الشّريف، إعداد خالد عبد الرحمن العكّ وغيره، دار الإيمان، سورية.
ـ فهارس جامع الأصول في أحاديث الرّسول ﷺ، صنعة يوسف الزّبيبي، دار المأمون للتراث، سورية.
ـ فهارس صحيح البخاريّ، إعداد الدّكتور مصطفى ديب البغا، دار العلوم، سورية.
ـ فهارس كشف الأستار، أحمد الكويتي، دار عمّار، الأردن.
ـ فهارس مسند أبي يعلى الموصلي، القسم الأوّل، دار المأمون للتراث، سورية.
ـ فهرس مخطوطات دار الكتب الظّاهريّة (التّصوّف)، وضع محمّد رياض المالح، مطبوعات مجمع اللغة العربية، سورية.

- فيض القدير شرح الجامع الصّغير، محمّد المدعو بعبد الرّؤوف المناوي، دار المعرفة، لبنان.

- ك -

- الكامل لابن عدي. دار الفكر.
- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عمّا اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس، إسماعيل بن محمّد العجلوني، تحقيق أحمد القلاش، مؤسسة الرّسالة، لبنان.
- كشف الظّنون عن أسامي الكتب والفنون، مصطفى بن عبدالله القسطنطينيّ الرّومي المعروف بـ ـ حاجي خليفة، دار الفكر، لبنان.
- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، علاء الدين علي بن حسام الدين الهندي، مكتبة التراث الإسلامي، حلب.
- اللآلىء المنثورة في الأحاديث المشهورة (التّذكرة في الأحاديث المشتهرة)، بدر الدّين أبي عبدالله محمّد بن عبدالله الزّركشي، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميّة، لبنان.
- لسان العرب، أبي الفضل جمال الدّين محمّد بن مكرّم بن منظور، دار صادر، لبنان.

- م -

- مجمع الزّوائد ومنبع الفرائد، نور الدّين عليّ بن أبي بكر الهيثميّ، دار الكتاب العربي، لبنان.
- مجمع الأمثال للميداني.
- مختصر تاريخ مدينة دمشق (لابن عساكر) محمّد بن مكرّم المعروف بابن منظور، تحقيق جماعة من الباحثين، دار الفكر، سورية.
- المستدرك على الصّحيحين، للإمام أبي عبد الله الحاكم النيسابوري، مكتب المطبوعات الإسلاميّة، سورية.
- مسند أبي يعلى الموصلي، أحمد بن عليّ بن المثنى التّميميّ، حقّقه وخرّج أحاديثه

حسين سليم أسد الدّاراني، دار المأمون للتراث، سورية.
- مسند أحمد بن حنبل، تحقيق محمد شاكر مصر.
- مسند أحمد بن حنبل تحقيق عبد الله درويش دار الفكر.
- مسند الشّهاب، أبي عبد الله محمّد بن سلامه القضاعي، حقّقه وخرّج أحاديثه حمدي عبد المجيد السّلفي، مؤسسة الرّسالة، لبنان.
- المصنف لابن أبي شيبة، الحافظ أبي بكر بن أبي شيبة، الدار السلفية.
- مصنف عبد الرزاق، أبي بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني تحقيق حبيب الأعظمي.
- المعجم الصّوفيّ، الدّكتورة سعاد الحكيم، دار دندرة، لبنان.
- معجم مصطلحات الصّوفيّة، الدّكتور عبد المنعم الحفني، دار المسيرة، لبنان.
- معجم المؤلفين (تراجم مصنّفي الكتب العربيّة)، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى، لبنان.
- المعجم الوسيط، دار إحياء التراث العربي بيروت.
- المقاصد الحسنة في بيان كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة، محمّد بن عبد الرّحمن السّخاويّ، دراسة وتحقيق محمّد عثمان الخشت، دار الكتاب العربي، لبنان.
- موسوعة أطراف الحديث النّبويّ الشّريف، إعداد محمّد السّعيد بن بسيوني زغلول، عالم التّراث، لبنان.
- الموطّأ، مالك بن أنس، صحّحه وخرّج أحاديثه وعلّق عليه محمّد فؤاد عبد الباقي، .دار إحياء التّراث العربي، لبنان.

- ن -

- نصب الراية للزيلعي، المكتبة الإسلامية.
- نيل الأوطار للشوكاني، دار القلم بيروت.



في الباطن والظاهر ، المسمى جلاء الخاطر / تأليف : عبد القادر الجيلاني ؛ تحقيق : خالد الزرعي ، عبد الناصر سري ــ دمشق : دار ابن القيم ، ١٩٩٤. ــ ٢٣١ ص ؛ ٢٤ سم .

١ ــ ٢١٨,٣٧ ع ب د ف ٢ ــ ٢١٨,٩٧ ع ب د ف ٣ ــ العنوان ٤ ــ العنوان البديل ٥ ــ عبد القادر الجيلاني ٦ ــ الزرعي ٧ ــ سري

ع ــ ٩٢٩ / ٩ / ١٩٩٤ - مكتبة الأسد

هذا الكتاب

إمّـا أن يكون المرء مّحباً أو محبوباً ، فإن كـان مّحبـاً أفنى نفســه وأتعبهـا في خدمـة المحبـوب . وإن كـان محبـوبـاً استـراح من المشقة والتعب ؛ فلقد وصل .

وكذلك حـال الـولي الذي تخلّص من عنـاء العمل والعبادة إلى فيء الراحة بقرب المحبوب عزّ وجلّ .

ومـابين عنـاء العمل واصطفاء المحبة رحلةٌ طويلة من الصبر والصدق والإخلاص والقناعة وحسن العبادة وحسن العمل وحسن معاشرة الخلق والصـدق مـع الحقّ والخلق والـرضـا والتسليم والاستقامة .

ودروس الشيـخ الجيـلاني في هذا الكتـاب تعلّم هذه الصفات ليصل المرء إلى المحبوبية ؛ فينعم بدرجة القرب .

